

# علم النفس الاجتماعي



٢١٤ نفس

الأستاذ الدكتور / سمير سعد خطاب

استاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية آداب قنا

جامعة جنوب الوادي

٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، إمام الأنبياء ، وخاتم النبيين وأفضل المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين . ،وبعد ....

يسعدني أن أقدم للمكتبة العربية الطبعة الثانية لهذا العمل المتواضع، ساعيا من خلاله إلي تقديم صورة معاصرة لبعض موضوعات وقضايا . تم اختيارها بدقة من مجال رحب فسيح، وهو مجال علم النفس الاجتماعي \_ وإعطاء تصور واقعي لهذه الموضوعات المختارة كما توجد في التراث البحثي المحلي و العالمي المعاصر والتي اعدت تنقيحها ومراجعتها لتضم البحوث الحديثة، التي أمكن الاطلاع عليها سواء كانت محلية او عالمية، بما يفى بأهداف الكتاب من تقديم موضوعات تعبر عن علم النفس الاجتماعي المرتبط بالواقع الذي نحياه بكافة ابعاده؛ حتى يمكن للقارئ ان يجد واقعه بين جنباته ، وبذلك ينهض لتغيير ما يرى أنه بحاجة الى ذلك إعمالا لاهداف العلم من فهم وتفسير وتنبؤ .

و يتناول الفصل الأول : لمحة تاريخية وتعريفية بمجال علم النفس الاجتماعي وعلاقته بالعلوم الاخرى ، والفصل الثاني: موضوع الادراك الاجتماعي ، أما الفصل الثالث الاتصال غير اللفظي بوصفه وسيلة اجتماعية مؤثرة للغاية في التفاعل الاجتماعي: . كما يتناول الفصل الرابع موضوع الاتجاهات من حيث المفهوم، وكيف يتشكل، وطرق قياسه . و يتناول الفصل الخامس موضوع القيم من حيث مفهومها،وكيفية اكتسابها ،وأهم المؤسسات الاجتماعية التي تسهم في تنمية القيم . و يعالج الفصل السادس موضوعاً يبدو تقليدياً وهو التنشئة الاجتماعية التي تعد حجر الزاوية في صناعة الإنسان- إن جاز التعبير- ويحاول هذا الفصل تحديد المفهوم، و أهم طرق للبحث فيه. ويناقش الفصل السابع؛ العدوان ، المفهوم والعوامل البيولوجية، والاجتماعية ،والموقفية التي تشكله، ونختم هذه الباقة المنتقاة من موضوعات علم النفس الاجتماعي بالفصل الثامن والأخير والذي أ قوم فيه بإلقاء الضوء علي الجانب المشرق للطبيعة الإنسانية وهو علم النفس الإيجابي إذا كان علم النفس التقليدي

يركز على السلبيات؛ فإن علم النفس الإيجابي يعالج الضعف، ويغذي مواضع القوة لدى الفرد، ويعمل على بناء السمات الإيجابية، التي تساعد الأفراد والمجتمعات، ليس على التحمل والبقاء فقط، بل وتساعدهم أيضاً على الازدهار. كما أن استخدام إستراتيجيات علم النفس الإيجابي، تؤدي إلى نقل الشخص بعيداً عن التركيز ضيق الأفق، على معايشة المواقف السلبية والأمراض النفسية، إلى منهج جديد هو تنمية السمات الإيجابية والفضيلة والقوى الإيجابية على مدى الحياة، والاستفادة منها في الصحة والعلاقات والعمل. ويقوم علم النفس الإيجابي على تعظيم المهارة، التي يمتلكها جميع الأفراد، وهي مهارة الكفاح من أجل الهدف، والتي تؤدي إلى تنمية السمات البشرية الإيجابية، واستخدامها في مكانها الصحيح.

وهو سلوكيات المساعدة و مفهوم المعاوضة الاجتماعية، وكيفية تشكيله، والعوامل البيولوجية الاجتماعية المؤثرة فيه .

راجيا الله تعالى التوفيق في عرض تلك الموضوعات بالصورة اللائقة، التي تراعي الخصوصية الثقافية المصرية والعربية و أن يستفيد من هذا الكتاب دارسوا علم النفس والعلوم الإنسانية والمتقنين غير المتخصصين بصورة عامة .

كما أتوجه إلي الله تعالى بالحمد والثناء الجميل علي توفيقه علي هذا الإنجاز والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

د/ سمير خطاب

طنطا في ٢٠٢١/١/١

## الفصل الأول

### علم النفس الاجتماعي لمحة تاريخية وتعريفية

#### لمحة تاريخية

- \* تعريف علم النفس الاجتماعي.
- \* علم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية.
- \* علم النفس الاجتماعي كمادة مستقلة.
- \* مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي.

## الفصل الأول

## لمحة تاريخية:

لا شيء يضير بتاريخ العلم أكثر من تجاهل الفترات الحاسمة في هذا التاريخ، أو محاولة إسقاطها، وتبدو هذه الظاهرة بالغة الخطورة حينما يعتمد ذلك كبار المتخصصين في هذا العلم أو ذاك، ولعل ذلك يصدق بصفة خاصة على محاولات علماء النفس الغربيين وهم بصدد التأريخ للعلم وتتبع حركة تطوره، فنجدهم ينجحون إلى تجاهل أثر الحضارة الإسلامية في ميدان العلوم الاجتماعية (بصفة خاصة) في الوقت الذي نجدهم يؤكدون على أن المعارف الاجتماعية عموماً قد تراكمت خلال خبرة الإنسان الحياتية على مر العصور والأجيال!!!

ومن الثابت أن الإسلام قد أسهم إسهاماً رائداً في دفع الفكر الاجتماعي دفعاً قوياً نحو النموذج العلمي، إذ أن الفكر الاجتماعي الذي انطوي عليه الإسلام لم ينشأ أو يتطور في فراغ و لم يكن يحوي أفكاراً مجردة وإنما أتى بوصفه نسقاً اجتماعياً وثقافياً يتعلق بالعالم الذي نعيش فيه وأبعاده الحياتية، ولمن يشك في هذا عليه بالرجوع إلى كتب تاريخ الإسلام ويتتبع مراحل الدعوة الإسلامية ويرى كيف تغيرت شخصيات العرب المسلمون الأول، من الجاهلية بغلظتها وطباعهم الشديدة إلى الهداية والاستقامة والتسامح. هذا التغير السريع الذي أحدثه القرآن الكريم ومدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم في شخصيات العرب تعجز عنه كل مدارس العلاج النفسي الى اليوم .

فضلاً عن أن أسس و نظريات العلاج النفسي المختلفة الحديثة وما تضمنته من طرق علاجية مثل فنيات التحصين المنهجي Systematic Desensitization نجد القرآن الكريم:أوردها منذ مايزيد عن ألف وأربعمائة عام موضحاً ذلك عبر التدرج في تحريم الخمر؛ فمراعاة طبائع البشر التي لا تتغير بصورة مفاجئة. وإنما أى تغيير في العادات والسلوكيات إنما يجب أن يتم بصورة متدرجة ففي أول الأمر نزل قول الله تعالى:(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)،ثم نزل قوله تعالى: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) ثم بعد ذلك قوله تعالى (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ). ثم بعد ذلك نزل التحريم القاطع .



والمدقق ينظر إلى عمليات العلاج النفسي القائمة الآن والتي ترجع إلى مائة عام على الأكثر - يجد سبق القرآن منذ ألف وأربعمائة عام على تناولها بشكل واف. والأمثلة كثيرة وليس هذا موضوعنا الآن. فلقد تضمن القرآن إشارات محددة لعدد من القضايا والمسائل التي ما تزال موضع البحث في العلوم الاجتماعية المعاصرة مثل :

١- المنهج العلمي وأسس التفكير.

٢- المشكلات الاجتماعية والشخصية. ٣- الطبيعة البشرية والشخصية .

٤- النظام الاجتماعي والنظم الاجتماعية.

٥- الأسرة والحياة العائلية. ٦- التنشئة الاجتماعية.

ونجد ترجمة لهذه القضايا في أعمال فلاسفة المسلمين (الفارابي، الغزالي، ابن سينا، ابن رشد، ابن خلدون) والذين تناولوا موضوعات في علم النفس والاجتماع ما زالت موضوع البحث حتى الآن (محمد عثمان نجاتي ، مصطفى سويف ١٩٨٦).

وتجدر الإشارة إلى أن الاستطراد في ذكر وتتبع هذه الإسهامات ليس هو هدف هذا الكتاب إذ يختص به كتب تاريخ العلم ،ولكن قصدنا الإشارة فقط و التنبيه إلى أهمية النظر بموضوعية خاصة إذا ما تعلق الأمر بإسهامات مفكرينا والعمل على نشرها بدلا من أن نردد ونشايح تلك المقولات المنقوصة ( الأوروبية أو الأمريكية ).

ففي كتابة تاريخ علم النفس الاجتماعي صور جوردون البورت G.Allport (أحد رواد هذا العلم) بأن جذور علم النفس الاجتماعي تكمن في الفكر الغربي(١٩٥٤، Allport).ولسنا نريد أن نجادل البورت فيما ذهب إليه،وقد نلتمس له العذر في إغفاله لإسهامات أعلامنا في نشأة علم النفس الاجتماعي، إذ أن أعمالهم لم تكن منشورة أو مترجمة في تلك الفترة،ولكن من واجبنا نحن العرب أن نساعد على ذلك أو على الأقل نعمل على تصحيح ما نراه مزيفا.

وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة لإسهامات بعض المفكرين العرب،فمثلا (الفارابي) (٢٥٧هـ-

٨٧٠م) في كتابة المدينة الفاضلة يشير إلى أهمية التفاعل الاجتماعي Social

interaction، وكذلك إشارته إلى القيادة Leadership ومواصفات شخصية القائد.

ونجد الشيخ الرئيس (ابن سينا)(٩٨٠هـ-١٠٣٧م) تناول التفاعل الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية ودور المعلم وأثر جماعات الرفاق والثواب والعقاب في التنشئة الاجتماعية ولن نستطرد في ذكر هؤلاء أو أعمالهم ولكن قصدنا التذليل على ما طرحناه.وغنى عن البيان أن

النموذج الإسلامى الذى تم تطبيقه منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام (فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ) أثبت بشكل قاطع فعاليته فى فهم أسس السلوك الاجتماعى والتنبؤ به بصورة غير مسبوفة ولم تتكرر ..... و على الرغم من ذلك نجد المحاولات التى تؤرخ للعلم من بداية القرن العشرين بالتحديد فى عام ١٩٠٨ عندما اصدر Edward Ross -وهو أحد علماء الاجتماع- كتابا يحمل عنوان علم النفس الاجتماعى وسلوك الجماهير وما قد يؤثر فيه من تقليد وإيحاء ثم تبعه مكدوجال Macdougall وأصدر كتاب مقدمة فى علم النفس الاجتماعى ولعل ظهور كتاب مكدوجال مؤكداً فيه على أهمية الجانب النفسى من حيث الاهتمام بالدوافع،والتي أعتبرها المحرك الأساسى للسلوك الإنسانى مثل السلوك الحيوانى.

ومما لا شك فيه أن الكتابات التى قدمها العديد من الفلاسفة الاجتماعيين تضمنت أفكاراً وأساساً هامة ونظرات فاحصة عن الطبيعة البشرية،مقامات أفلاطون Plato و أرسطو Aristotale ،وغيرهما مثل هونر ولوك ولا يستطيع منصف أن ينكر دور رواد الأنثربولوجى كذلك فى الإسهام فى تنمية هذا العلم،فأول مجلة تحمل هذا العنوان أسسها لازوراس وستهل ١٨٦٠ باسم علم نفس الشعوب Folk psychology وركزت على مناقشة مدى تأثير علم نفس الشعوب باللغة والعادات والتقاليد و أدى ذلك إلى البحث عن قوانين عامة وشاملة للعقل على عكس العمليات النفسية للعقل الفردي.

كما أن لعلماء الاجتماع إسهامهم فى تنمية هذا العلم والذي لا يمكن إنكاره ، ففى كتابه الفلسفة الوصفية (أوجست كونت ١٨٣٠ Cont ) ذهب كونت إلى أن الإنسان كائن اجتماعى بطبيعته ،وأن العقل البشرى لا يمكنه أن ينمو إلا بعقل المجتمع ،وأنه ينبغى أن يدرس الفرد دائماً من وجهة الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها.

علم النفس الاجتماعى إذن ميدان يلتقى فيه الكثير من الاهتمامات والحقائق،وقد نما هذا التخصص منذ الحرب العالمية الثانية نمواً واضحاً ، ونستعير الوصف الذى يقدمه لامبرت والاس Wallace,w لعلم النفس الاجتماعى وتطوره ( بأنه طفل متفاخر وصاحب) متفاخر لأنه له آباء كثيرين وصاحب لأنه يعانى من آلام النمو (سلوى الملا -١٩٩٣) ولاشك أن ميدان علم النفس الاجتماعى اليوم أصبح أكثر تجريبية وأخذ على نفسه بأن يكون علماً تطبيقياً.

## تعريف علم النفس الاجتماعي :

يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة التفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين والعوامل التي تؤثر في هذا التفاعل أي أنه علم سلوك الفرد في الجماعة والمجتمع وكما نلاحظ أن ميدان علم النفس الاجتماعي يعد القاسم المشترك بين علم النفس والاجتماع ، وبعيداً عن الفصل بين علم النفس وعلم الاجتماع نود صياغة تعريفاً إجرائياً طبقاً للموضوع بأنه العلم الذي يتناول بالوصف والتجريب سلوك الفرد مع الآخرين واستجابته لهم ، أي تأثيره وتأثره بهؤلاء الآخرين .ويمكننا رصد تعريفات متعددة لهذا العلم ، يمكننا اختزالها في فئتين من التعريفات كما يلي :

الفئة الأولى: والتي يري أصحابها أن علم النفس الاجتماعي يعني بـ:

١-دراسة الحياة العقلية الجمعية .

٢-دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع .

وبصورة تاريخية فإن ذلك قد يكون مرجعه إلى أنه في بدايات علم النفس الاجتماعي لم تكن الحدود الفاصلة بينه وبين علم الاجتماع واضحة ،مما جعل الرواد يميلون إلى التركيز علي الجماعة أكثر من الفرد (فؤاد البهي السيد ١٩٨١ص٢) وبذلك فإنه في هذه الحالة يصبح علم الاجتماع النفسي .

الفئة الثانية :والتي يري أصحابها أن علم النفس الاجتماعي يعني بـ:

١-دراسة التنشئة الاجتماعية

٢-دراسة سلوك الفرد في استجابته مع الآخرين

٣-دراسة السلوك الفردي داخل إطار الجماعة

ومما يلاحظ في محاور اهتمام الفئة الثانية للتعريفات بأنها بدأت تهتم بالفرد دون إهمال للجماعة ،وبذلك نجد أن معالم علم النفس الاجتماعي تتشكل وتتبلور بصورة واضحة في اهتمامه بدراسة تفاعل الفرد مع غيره وتعلقاته التي تنشأ من دوافعه وشخصيته التي يحددها المجتمع والثقافة .



ويتحدد موضوع علم النفس الاجتماعي بدراسة السلوك الاجتماعي والذي يعد القاسم المشترك لاهتمام تخصصات أخرى كالاجتماع والاقتصاد والسياسة... الخ فكل من هذه التخصصات تسعى لدراسة عوامل أخرى و مدى تأثيرها على سلوك الإنسان ولكن الأمر يختلف كثيراً بينها و بين علم النفس الاجتماعي خاصة في جوهر تناوله للسلوك أو في وحدة التحليل الأساسية حيث يعنى بالجذور الأولى والاهتمامات الأساسية للفرد والعمليات النفسية المميزة للإنسان من عقل وذاكرة وحب وكراهية.

بينما تسعى التخصصات الأخرى للاهتمام بدراسة المحددات الخارجية (المجتمعية)، فعلماء السياسة والاقتصاد يدرسون العوامل التاريخية وأثرها على المجتمع، وعلماء الاجتماع يهتمون أساساً بدراسة الطبقات الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية (Aronson, E, etal ١٩٩٩, p١١) وتصبح مشكلة علم النفس الاجتماعي هي تمييزه عن علم الاجتماع، ويرى البعض أنه يجب على علم النفس الاجتماعي أي يقصر ميدانه على الفرد فقط في تفاعله مع الآخرين حتى يستقل بذلك عن علم الاجتماع ولكن نجد أن هناك اهتماماً لدى علماء النفس بدراسة الخصائص النفسية للجماعات، الأمر الذي يستوجب التفرقة الواضحة بين كل من علم النفس الاجتماعي والاجتماع على أساس المفاهيم التي يقوم عليها كل منهما ففي حين نجد أن مفاهيم الأول تشتق من دراسة سلوك الأفراد نجد أن مفاهيم الثاني تشتق من التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية ولكن هذه التفرقة هي عملية شكلية ليس إلا، خاصة في حالة تداخل بعض المفاهيم المستخدمة، ولأن وجود علم النفس الاجتماعي نفسه رهن مصدرين رئيسيين هما:

أ- علم النفس.

ب- علم الاجتماع.

كما أن التداخل بين العلوم (Interdisciplinary) الإنسانية بوجه خاص تجعل ضرورة التعاون بين مختلف التخصصات في بحث الظواهر المختلفة فنجد عالم التاريخ الأنثروبولوجي والسيكولوجي والاجتماع والاقتصاد والطب يبحثون معا في ظاهرة ما.

- علم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية :

من المؤكد أن العلاقة بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى لا تتوقف عند علم الاجتماع والتاريخ الأنثروبولوجي، لكنها تشمل علاقة أيضاً مع الأخلاق والقانون وعلوم اللغة علاوة على

الكثير من العلوم الأخرى، ذلك أن المعرفة النفس الاجتماعية تتطلب أن نضع في الاعتبار ليس فقط تأثير المكونات الاجتماعية التاريخية ولكن أيضاً تأثير المكونات الفسيولوجية والبيولوجية للفرد على حالته النفسية ومن هنا تنشأ الصلة بين علم النفس الاجتماعي والفسيولوجي والطب فإذا ما تناولنا الأساس البيولوجي للإنسان فنحن نكشف عن خواص التكوين العضوي وما يحدث فيه من عمليات فسيولوجية.

فالإنسان حتى يعيش عليه إشباع الحاجات الأولية(والتي تتعلق بالتكوين العضوي من جوع، عطش... الخ، ومع ذلك يظل كائناً اجتماعياً حيث من الثابت أنه الكائن الحي الوحيد الذي استطاع تحويل هذه الحاجات من حاجات غريزية فجأة-مثل الحيوان-إلى سلم أخلاقي لأنه جعل إشباع هذه الحاجات مرتبطاً بالقيم الاجتماعية؛ لأن هذه الحاجات عند الحيوان وسيلة للحفاظ على الحياة بينما الأمر مختلف عند الإنسان حيث يرتبط بنوع آخر من الحاجات الاجتماعية التي هي من صنع المجتمع. كما سنرى في ثنايا هذا الكتاب في تناولنا العدوان مثلاً هذا فضلاً عن دور الوراثة في اكتساب صفات بعينها وتقلص أخرى لدى بعض الأفراد وإن كان موضوع أثر الوراثة أو بالأحرى دور الوراثة أو البيئة والغلبة لأيهما لا يزال مثار جدل واسع بين العلماء.

#### علاقته بالعلوم الاجتماعية الأخرى :

- بعلم النفس العام: يرتبط هذا المجال المعرفي ارتباطاً وثيقاً بعلم النفس حيث يعد حقلًا من حقوله وتكمن العلاقة بينهما في أن علم النفس الاجتماعي يستمد فقط طبيعة السلوك الفردي ودوافعه وأهدافه من علم النفس.

- بعلم الاجتماع: يدرس علم الاجتماع الظواهر الاجتماعية ومدى تأثير الجماعة على الفرد لذلك فإن علم النفس الاجتماعي يركز أساساً على التفاعل بين الفرد والمجتمع . إن العلاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع هي التي تشكل طبيعة وموضوعات علم النفس الاجتماعي .

- علاقته بالأنثروبولوجيا : يوجد علاقة وطيدة بين علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا حتى أن بعض العلماء تحدثوا عن تسمية جديدة نتيجة هذا الترابط بين العلمين وهو " علم النفس الاجتماعي الثقافي" حيث يهتم علم النفس الاجتماعي

بالتأثير الذي تحدثه القيم والمعايير الثقافية والاجتماعية والدينية في تشكيل الرأي العام وتوجيهه، وفي التضامن الاجتماعي بين الأفراد...

- بعلم السياسة : يهتم علم النفس الاجتماعي بوظيفة النظم والأحزاب السياسية ودور السلطة والدولة في توظيف مؤسساتها المختلفة في التأثير على الرأي العام واتجاهاته لذلك فالسلوك السياسي هو سلوك له دوافعه النفسية وأهدافه الاجتماعية أي أن السلوك السياسي يؤثر ويتأثر بالمحيط الاجتماعي والثقافي .

- بعلم الإعلام والاتصال: يحاول علم النفس الاجتماعي فهم دور وسائل الإعلام والاتصال في تشكيل اتجاهات الرأي العام والتأثير عليها وقياسها تجاه مختلف الأحداث المحلية والإقليمية والدولية المرتبطة بالحروب والثورات والانتفاضات والأزمات السياسية والاجتماعية والثقافية.

ومن المهم أن نؤكد على دور علم النفس الاجتماعي- مثل التربية - والاستفادة من تطبيقاته في تنشئة الأجيال الصاعدة وذلك بالاستعانة بالأساليب الطبيعية-الرياضية- في تصميم وقولبة عمليات الاختلاط والمعاشية وتبادل المعلومات في الجماعات الاجتماعية المختلفة بما يتيح أفضل عائد بالنسبة للفرد والمجتمع.

وهكذا نستطيع القول بأن الاستفادة من معطيات العلوم الطبيعية في علم النفس الاجتماعي يمكن أن يسهم في تنمية وتطور المجتمع.

#### علم النفس الاجتماعي كمادة مستقلة :

من الثابت أن المشكلات النفسية الاجتماعية يتم بحثها بطرق مختلفة، في نطاق العلوم الإنسانية المختلفة ،ويقف علم النفس الاجتماعي في مفترق الطرق بين علم النفس العام وعلم الاجتماع.

ولكن مشكلات علم النفس الاجتماعي التي لها - بدرجات متفاوتة- طابعا فلسفيا أو اجتماعيا أو نفسيا لا يمكن أن تدرس بصورة كاملة في مجال أي من العلوم القائمة.

وهكذا فإن تمثيل علم النفس الاجتماعي في مجالات المعرفة الأخرى لا يعنى أ نه يفقد حقه في التواجد المستقل.

على أن هناك مسألة أخرى أكثر أهمية وهي التقاء جهود كل العلوم بقصد الدراسة الأكثر فعالية للبيولوجيا الاجتماعية، فالجهود الجماعية للعلماء بالإضافة إلى الاستعانة بمعطيات العلوم الأخرى يمكن أن يسهم في تحقيق طفرة كبيرة في هذا المجال. وأخيراً يجب أن نؤكد على أن تشبع علم النفس الاجتماعي بمعطيات العلوم الإنسانية الأخرى لا يعنى الإذابة التامة لكل الحدود بين هذه العلوم. ولنا أن نتوقع -في المستقبل القريب أو البعيد- حين يحدث التكامل وتوحيد العلوم بين العلوم الإنسانية ليس فقط الحفاظ على التخصص ولكن تطوراً فيه مما يسهم بدوره في إيجاد الحلول للمشكلات الإنسانية.

#### مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي

يشارك علم النفس الاجتماعي مع غيره من العلوم في الهدف العام وهو الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر وتفيد في التنبؤ بحدوثها كما يشترك مع هذه العلوم في منهج البحث العلمي المستخدم. ويختلف كل علم عن غيره من العلوم في الظواهر موضع الدراسة أو المشكلات موضع البحث، فيختلف عن العلوم الطبيعية أو البيولوجية في الدراسة، موضوعات التي نهتم بها فهو يهتم بموضوعات خاصة مثل التنشئة الاجتماعية وتكوين الاتجاهات والتعلم الإدراك والتفكير وغير ذلك من عمليات تعتبر بمثابة أوجه نشاط يقوم بها الإنسان وتدخل جميعاً ضمن إطار مفهوم عام يطلق عليه علماء النفس مفهوم السلوك.

ويرتبط المنهج ارتباطاً وثيقاً بالظواهر موضع الدراسة، بل إن الباحث الذي لا يأخذ في اعتباره طبيعة الظاهرة التي يدرسها عند اختيار أسلوب البحث يكون عرضة للخروج بنتائج لا معنى لها. وقد يلتزم باحث بأسلوب معين دون غيره فيضيع عليه نتائج قيمة كان من الممكن الوصول إليها إذا عدل من أسلوب البحث.

وفي علم النفس كبقية العلوم نجد أن البحث ينصب على فحص مفاهيم Concepts معينة والعلاقة بين هذه المفاهيم، وقد تملى هذه المفاهيم أسلوباً معيناً على الباحث. ويحدثنا تاريخ علم النفس بذلك فمثلاً نجد (فونت ١٨٧٩) الذي أنشأ أول معمل لعلم النفس واهتم كثيراً



## (١) المنهج القبلي والبعدي :-

كما سبق أن ذكرنا فإن هذا التصنيف يعتمد على العلاقة بين حدوث الظاهرة وطريقة البحث المتبعة، بحيث إذا سبقت الطريقة الظواهر وقمنا بالتخطيط لحدوثها وقياسها...الخ، سمي المنهج قبليا Priors. ويتدرج تحت هذا الطرق التجريبية نظرا لأنها تهتم باستحداث التغير للكشف عن العوامل والأسباب وكذلك رصد ما يحدث من تغيرات في المتغيرات التابعة نتيجة لأحداث التغير في المتغيرات المستقلة.

ومن أمثلة المنهج أبعدي Post طريقة الملاحظة لأنها تعتمد على تسجيل الظواهر كما تحدث.

## (٢) المنهج الداخلي والخارجي:-

يسمى المنهج الخارجي الأرسطالي Aristotelian Methodology وهو منهج في البحث يؤكد على العلاقات القائمة بين الجنس وأنواعه أو الفئة أفرادها أو بين القاعدة والحالات التي تنتمي إليها. إذن فهو منهج استقرائي في دراسته للظواهر بهدف الكشف عن العلاقات القائمة بينها للوصول من تلك العلاقات إلى القضايا العامة أو القوانين كما يستخدم التفكير الاستنباطي كذلك في بناء نظام معين من الظواهر في ضوء القانون.

يسمى المنهج الداخلي بالجاليلي Galilean Methodology، والذي يسعى إلى تفسير الظواهر في ضوء قوى المجال التي تؤثر فيها ويتأثر بها فينظر إلى الظاهرة على أنها كل متكامل. وجدير بالذكر أن علم النفس الاجتماعي يستخدم في بحوثه المنهج الأرسطالي عندما يستخدم الطريقة التجريبية، والجاليلي في دراسة ديناميات الجماعة والتفاعل الاجتماعي.

## ب- معنى الطريقة:

تعنى الطريقة مجموعة الإجراءات Procedures المتبعة للإجابة على استفسارات بحثية. والحصول على البيانات التي تكشف عن العلاقات القائمة بين متغيرات البحث.

ولقد طور علماء النفس الاجتماعي عدة طرق للبحث في هذا المجال وهي:

- ١\_ البحوث التجريبية.
- ٢\_ البحوث الميدانية.
- ٣- الدراسات الارتباطية.
- ٤- البحوث المسحية.
- ٥- دراسات الحالة.
- ٦- بحوث التحليل المركب.

من الملاحظ أن لكل من تلك الطرق ميزتها الخاصة في معالجة إحدى الظواهر وفي نفس الوقت عدم صلاحيتها في كل الحالات وإمكانية الخطأ فيها فالتصميمات التجريبية تقدم أفضل ضبط للمتغيرات في حين نجد صعوبة في تعميم نتائجها على حياتنا اليومية. على أية حال سوف نحاول إلقاء الضوء على تلك الطرق .

#### (١) البحوث التجريبية Experimental research :

تهتم البحوث التجريبية بتوفير أعلى درجة من الضبط للمتغيرات موضع الدراسة ومن ثم إمكانية إلقاء الضوء على العلاقات القائمة بين المتغيرات المستقلة وتلك النابعة، وذلك بإحداث تغييرات مقصودة في المتغيرات المستقلة للكشف عن أثر ذلك في المتغيرات التابعة وذلك بهدف الوقوف على الأسباب والعوامل المؤثرة. والطريقة التجريبية في بحوث علم النفس الاجتماعي تتطلب أن يهيئ الباحث الظروف ويوفر الشروط لإنشاء الموقف الذي تحدث فيه الظواهر.

من أبرز الأمثلة على تهيئة الظروف التجريبية ما قام به سولومون آش ١٩٥١ Asch في دراسته لأثر الضغوط الجماعية على سلوك الفرد ، طلب الباحث من سبعة أفراد أن يحددوا طولاً غير صحيح لخط واضح الطول، وليكن هذا التحديد ٥ سم بينما الطول الحقيقي للخط ٤ سم وترك الباحث للفرد الثامن وحده ليحدد هو بنفسه طول الخط الذي يراه، وكان على كل فرد من الجماعة أن يعلن حكمه. وقال كل فرد من المجموعة أن طول الخط هو ٥ سم وعندما جاء الدور على الفرد الثامن كان عليه إما أن يخضع لرأي الجماعة أو يعلن رأيه المستقل.

ففي الحالة الأولى يكون تحت ضغوط الجماعة وتأثيرها وفي الحالة الثانية يكون مستقلاً عنها.

ومن الملاحظ أن المتغير المستقل هنا هو رأي الجماعة في طول الخط ويستطيع الباحث أن يتحكم في ذلك زيادة ونقصاناً وفق ما يريد والمتغير التابع هنا هو رأي الفرد الذي لم يحدد له الباحث مسبقاً أي طلب.

ومن الجدير بالذكر أن أولى التجارب في علم النفس الاجتماعي تلك التي قام بها تريبلت Triplet 1898 والتي تعد أساساً في فهم التيسير الاجتماعي Social Facilitation وتقوم على فكرة مؤداها أن سلوك الفرد يتحسن حينما يكون الفرد في جماعة عنه حينما يكون بمفرده. (Aronson,etal 1999).

ثم تطور التجريب بعد ذلك في علم النفس الاجتماعي ولم تعد نظرة العلم إلى الجماعة الصغيرة على أنها متغيراً مستقلاً داخلياً، حيث بدأ ينظر إلى الجماعة على أنها تمتاز بوحدة عضوية تحدد سلوك أفرادها، ولعل تلك هي إسهامات كيرت ليفين Levin والجشطات عن ديناميات الجماعة..

#### الجماعة التجريبية والضابطة :-

بصورة مبسطة يمكننا القول أن الجماعة التجريبية هي تلك التي يتعرض أفرادها للمتغير المستقل، والجماعة الضابطة هي التي يناظر أفرادها أفراد الجماعة التجريبية في كل الجوانب ولا يتعرضون للمتغير المستقل.

فإذ، كان الهدف مثلاً هو قياس أثر وجود الجماعة على أداء الفرد فإن الجماعة التجريبية في هذه الحالة يمكن أن تتكون من مجموعة من الأفراد بحيث يعمل كل فرد من أفرادها في مواجهة جماعة من الناس وتصبح المتغيرات التابعة في هذه الحالة هي مقدار الإنتاج الذي يقومون به.

وتتكون الضابطة بنفس الطريقة من مجموعة من الأفراد الذين تتكافأ لديهم كافة المتغيرات مثل المجموعة الأولى من سن وجنس وتعليم..... الخ، ويعمل أفرادها بمعزل عن جماعة المواجهة وبذلك لا يتعرضون للمتغير المستقل وتصبح المتغيرات التابعة أيضاً هي إنتاج الأفراد.



## ( ٢ ) البحوث الميدانية Field Studies:

هناك ثلاث أنماط يمكن أن تندرج تحت هذه البحوث وهي:-

(١)-الملاحظة الطبيعية.

(٢)-الملاحظة المشاركة.

(٣)-التجارب الميدانية.

لعل الميزة الرئيسية التي يمكن أن تسهم بها هذه الطرق هي إثراء معارفنا و إمكانية تعميم نتائجها نظرا لأنها أتت من مواقف طبيعية أي تمت بدون صناعة أو استحداث، ففي الملاحظة الطبيعية يقوم الباحث بملاحظة سلوك الأفراد كما يحدث بالفعل وبالطبع فإنه قبل ذلك لديه تخطيط واضح لما يريد ملاحظته، وعلى من سيقوم بالملاحظة ، وكذلك عدد الأفراد المناسب ، وكذلك لابد أن يكون القائم بالملاحظة على وعى بما يحدث بالفعل، وتفسيره لما يحدث وعدم الخلط بينهما .

ومن الضروري ألا يشعر الفرد بأنه موضع الملاحظة حتى يكون سلوكه طبيعيا، ويجب ألا ننسى احترام الباحثين لأخلاقيات الملاحظة وعدم تطرقها لانتهاك خصوصيات الأفراد. وفي الملاحظة بالمشاركة والتي يقوم الباحث فيها بدور عضو في الجماعة موضع الملاحظة حتى يمكنه الاندماج في هذه الجماعات ويتعرف على كل الجوانب التي يريد أن يسبر أغوارها ولا يمكن له ذلك من خلال الملاحظة البسيطة وإنما عليه المعاشية مع الجماعة. وفي التجربة الميدانية يسعى الباحث أن يرصدها في الموقف الطبيعي ،ويجب على الباحث أن يحدد متغيراته وأسئلته التي يحاول الإجابة عنها ويورد بننجتون ١٩٩٥ Pennigton,etal, مثلا لذلك حيث كان السؤال الرئيسي لتجربته هو ...هل يبدي الأفراد ميلا للمخاطرة حينما يشاهدون نموذج يقوم بذلك بصورة أكثر أم يقومون بذلك في حالة غياب نموذج؟ واستدعى الإجابة على هذا التساؤل أن يكون ميدان التجربة في الشارع وفي أثناء الانتظار في إشارة المرور قام الباحث (النموذج)بالسير أثناء الإشارة الحمراء وبالطبع تبعه بعض المارة.في هذه الحالة يقوم الباحث بتسجيل عدد الأفراد الذين قاموا بهذه المخاطرة.

## ( ٣ ) الدراسات الارتباطية Co relational studies:

تهدف الدراسات الارتباطية إلى تقييم :-

١- إذا كان هناك تلازم بين متغيرين أو أكثر.

٢- فحص العلاقة بين متغيرين .

والمنهج الارتباطي يسعى إلى فهم العلاقة بين المتغيرات عن طريق معامل إحصائي يسمى معامل الارتباط ويتراوح بين -١،٠ +١.

وللارتباط الإيجابي +١،٠ يعني تمام التلازم والتطابق بين المتغيرين، والارتباط السلبي -١،٠ يعني انعدام العلاقة بين المتغيرات، الارتباط الذي يدور حول الصفر يعني ضعف العلاقة.

وبصفة عامة تتلخص أهمية الدراسات الارتباطية في أنها تكشف عن الخصائص المشتركة لمتغيرات عدة مهما كان نوعها، فهي بهذا المعنى تمتد إلى ما بعد التعرف على الظواهر العلمية المختلفة التي تنتهي عندها بحوث المسح التتبعية إلى اكتشاف التنظيم بين الظواهر المشتركة.

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الارتباط لا يعني السببية فنتيجة الارتباط أن هناك علاقة بين المتغير أ، ب ولكن ليس معنى ذلك أنه هو سببه.

#### ( ٤ ) البحوث المسحية Archival research

تختص البحوث المسحية بتجميع البيانات من التقارير والجدول أو كليهما معا- ويعتمد المسح على أدوات مختلفة لتجميع البيانات من أهمها الملاحظة والقوائم والتقارير الوصفية التي يكتبها الباحثون كذلك الوثائق والاستبيانات والمقابلات.

ويجب على الباحث أن يحدد مدى شمول البحث المسحي الذي يرغب فيه إما أن يكون إحصاءاً تاماً لكل مفردات المجتمع أو عينة ممثلة تمثيلاً صادقاً للمجتمع المراد مسحه، فإذا كان المجتمع مثل طلاب مدرسة أو خلاله فإن في هذه الحالة لا بد من الاعتماد عليهم جميعاً، لكن في حالة كبر أفراد المجتمع فمن الضروري أن يعتمد على عينة مناسبة بطريقة علمية كأن يختار مفرداته بالطريقة العشوائية الطبقية أو العشوائية فقط... الخ.

#### ( ٥ ) دراسة الحالة Case study :

هي نوع من البحث المتعمق وراء العوامل المتشابكة التي تسهم في وحدة اجتماعية ما بصورة فردية، سواء كان ذلك شخصا أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة. وتأتي بيانات دراسة الحالة من مصادر متعددة منها معلومات يحصل عليها من المفحوص أثناء إجراء المقابلة أو إجراء الاختبار أو من أولئك المحيطين بالفرد، أو من خلال الوثائق الشخصية والمذكرات اليومية... الخ.

وتفتقر هذه الطريقة إلى الموضوعية خاصة بالنسبة بالباحث ولذا فمن الصعوبة إمكان تعميم نتائج مثل هذه الدراسات.

#### (٦) بحوث التحليل المركب Meta-analysis:

إن نتائج التجربة في علم النفس الاجتماعي بمفردها لا تعد دليلا كافيا يمكن الاعتماد عليه وصياغة تعميم بناءً عليه وتظل نتيجة التجربة بمثابة دليلا على مجموعة الأفراد التي أجريت عليهم.

لذا فإن التحليل المركب للبيانات المختلفة (Rosenthal ١٩٩١) يسهم بصورة منهجية في تحليل نتائج مجموعة من الدراسات المتعددة وتقييمها من حيث اهتمامها بنفس الموضوع والتعرف على نتائجها، ومدى اتساق الدراسات المختلفة في النتائج التي أفضت إليها يمثل دعما وتأييداً يمكن الباحثين من تعميم النتائج وبنفس الطريق نجد أن التضارب في نتائج الدراسات المختلفة لموضوع ما واختلاف نتائجها قد يوحي بعدم مصداقية النتيجة.

## الفصل الثاني

### الإدراك الاجتماعي من المنظور المعرفي.

الإدراك الاجتماعي .

أنماط المخططات .

كيفية عمل المخططات صور التحيز في كيفية عمل المخططات.

تشكيل الانطباعات عن الناس .

صور التحيز في تشكيل الانطباعات.

## إدراك الاجتماعي من المنظور المعرفي.

إدراك الذات والآخرين:

لا يقل اكتشاف الآخر أهمية وقوة عن أي اكتشاف او ابتكار علمي حديث. إنه تعرّف على حقيقة لا تحوزها الأنا، وإدراك لكائن مماثل يحتل مساحة وجود لا يمكن للأنا أن تتمدد في فضائها. الآخر هو اللا - أنا الذي يحدها ويعرفها، إنه مدى الحياة المتنوعة وصور الوجود المتعدد، وحقل إمكانات خصبة ومحطة توليد خيارات لا متناهية. بهذا يكون الآخر مصدر تحرر الأنا من أنا نهائية وحتمية، وساحة اكتشاف وتعرف على ميدان انتشار وتحقق جديد لها، أي يكون الآخر وسيط خروج من الذات وطريقاً للعودة إليها، ومجالاً لاكتشاف النقص فيها وطريق امتلائها في آن، هو اكتشاف لخارطة وجود الأنا التي لا ترسمها الذات، بل يرسمها وضع وتموضع الذات ضمن نسيج الآخرين. واكتشاف الآخر لا ينفك عن الاعتراف به، ولا ينفصل عن ترتيب الأثر الوجودي على حقيقته ، وكما يقول هيجل: كل عقلي هو واقعي وكل واقعي هو عقلي، وكما يقول ادموند هوسرل: المعرفة هي معرفة بشيء. لذلك، ورغم ان هيدجر اعتبر ان الوجود مع الغير في العالم، من شأنه ان يضيف الوجود الحق ويحوّله الى حياة زائفة مبتذلة، الا أنه رأى أن تحقيق الإمكانات الوجودية لا يكون إلا بالمشاركة في العالم الذي يوجد فيه. ورغم أن سارتر أيضاً وجد أن الغير يهدد الذات، فالغير هو الجحيم كما يقول، إلا أنه اكتشف أن حرية الذات تتوقف تماماً على حرية الآخرين، وأن الفرد مضطر ان يختار الحرية للغير في الوقت نفسه الذي يختار فيه الحرية لنفسه. وقد أدرك كارل باسبرز أن الآخر ضروري لوجودي، كما أنه ضروري للمعرفة التي لدي عن نفسي ومعرفة الآخر لا تتحصل بالنظر إليه من بعيد أو من خارجه، بل تتحصل بالدخول الى أعماقه وبتحسس حقيقته المحتجبة وراء التصوّر. وهنا يكمن مأزق الفلسفة الذي كشف عنه ايمانويل كانت، حين دعا الى تواضع الفلسفة لأنها تقف عند تخوم الشيء في ذاته فلا تدرك إلا ظاهره، وتعجز عن إزاحة حجبه. عندها بدأ البحث عن ذلك البعد الذي يخرج المعرفة من سجن ظاهريتها.

يقدم الفصل الحالي موضوعاً جديداً في علم النفس الاجتماعي هو "المعرفة الاجتماعية Social Cognition". ويمكن تعريف المعرفة بأنها الطريقة التي يكتسب بها الناس المعلومات

ويشغلونها وينظمونها ويستخدمونها. والمكونات المركزية في علم النفس المعرفي هو الانتباه، الإدراك، الذاكرة، التفكير؛ اللغة. على هذا، تهتم المعرفة الاجتماعية بنفس هذه الموضوعات ولكن في السياق الاجتماعي.

. وبصورة محددة كيف تؤثر المواقف والسياقات الاجتماعية المختلفة في هذه العمليات المعرفية داخل الناس. ويمكن تعريف المعرفة الاجتماعية بأنها الطريقة التي يفسر بها الناس المعلومات عن عالمهم الاجتماعي ويحلونها ويتذكرونها ويستخدمونها ( &Byrne, ١٩٩٧ )

Boron وباستخدام القليل من المعلومات والمعارف يتشكل الانطباع وهو ما يطلق عليه فيسك وتاييلور Taylor & Fiske بالبخل المعرفي Cognitive miser، ويفسر جلبرت Gilbert ذلك في نظريته الاعتقاد الآلي Automatic Believing (١٩٩٩, in: Aronson E et al.) (( لما نراه ونسمعه Seeing is believing) حيث نميل إلى الاعتقاد فيما نراه ونشاهده بصورة آلية. ومن المثير للدهشة أنه مع تحول العالم إلى قرية صغيرة وزيادة فرص الاتصال بين الجماعات بدأت تسود العالم موجات من العنف والتوتر!!! وذلك إما لعدم توفر معرفة سليمة أو لتعمد عرض معلومات من شأنها تزييف وعى مجتمع بعينه، بتعمد نشر أو بث معلومات خاطئة عن الآخر والحكم عليه بصورة مسبقة ومتحيزة كما يعالج الاعلام الغربى المشكلة الفلسطينية، كما أظهرت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ رؤية متحيزة للأمريكي عن الإسلام والمسلمين لا تستند إلى حقائق واقعية.

وتسعى إلى إظهار اليهود على أنهم دعاة سلام في مقابل أن الفلسطينيين وما يحدث لهم وما يحدث في العراق من مجازر وحشية يفسر على أنه نشر للديمقراطية... الخ.

وما دامت عمليات التصنيف النمطي للأفراد والجماعات رغم سلبيتها تمثل حقيقة من حقائق التفاعل الاجتماعي (محمد خليل ١٩٩٢: ٧٣) تعمل على تأكيد النظام الاجتماعي السائد فالنتيجة الحتمية لذلك كما يقرر وولتر ١٩٩٦ Walter أن المشكلات التي تواجه عمليات التفاعل الاجتماعي ستظل موجودة عبر الثقافات والمجتمعات المختلفة وباتت تهدد عملية التفاعل والاتصال بين الثقافات بل وحتى داخل الثقافة الواحدة ولها نفس الآليات والتأثيرات بما يؤدي إلى الغموض والارتباك في التفاعل الاجتماعي (في: مجده أحمد ٢٠٠٤، ١٥٠) مما يفسر لنا انتشار مظاهر التوتر والصراع بين الجماعات المختلفة دينياً أو سياسياً... الخ عما

ذي قبل سواء بين الثقافات أو حتى داخل الثقافة الواحدة كدالة لإدراك مشوه لصورة (الآخر) وعدم الاعتراف به أو محاولة تصفيته في مقابل تضخم الأنا.

الأمر الذي يفرض على المتخصصين فهم الظاهرة ووضع البرامج اللازمة لحلها فالعلاقات بين الأفراد في المجتمع الواحد يجب أن تسير في إطار قبول "الأنا" لـ "الآخر" داخل المجتمع الواحد على الأقل والأمر كذلك بين المجتمعات والدول.

وفي المجتمع المصري تشير الأدلة إلى وجود بعض مظاهر الخلل في الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية والدينية، بدأت تسود بعض جماعته ففي جماعة الطلاب نجد سلوكيات العنف والغش والإدمان وتبنى البعض منهم طقوس مخالفة لمعايير المجتمع أي رفض الآخر، وعلى المستوى السياسي أيضاً نجد تبايناً واضحاً بين الشعارات المطروحة والسلوك الفعلي للنخبة السياسية، وعلى المستوى الديني نجد هناك من يعطى نفسه حق تكفير الآخرين وفي المستوى الاقتصادي نجد الممارسات غير المشروعة (مصطفى سويف ٢٠٠٠، أحمد كمال أبو المجد ٢٠٠٢، فرج طه ١٩٩٤، أحمد أنور ١٩٩٣).

مما يفسر لنا مظاهر الاضطراب في التفاعل الاجتماعي الذي قد يرجع بصفة أساسية الى سيادة أحادية الرؤية وعدم الاعتراف أو رفض الآخر والإسراف في الأنا.

تتعدد صور الآخر وتباين الأساليب التي تؤكد التنشئة على إتباعها حيال كل منها ويصف "قدي حفني" الآخر في ثلاث صور هي:

الآخر المجهول - الآخر الصديق - الآخر العدو (قدي حفني ٢٠٠٠ / ٢٣٥)

ومن الأخرى بنا في الوقت الذي تتعالى فيه مقولات صراع الحضارات "وتقبل الآخر" من الأولى أن نتعرف على الصورة التي ندرك بها من تفاعل معهم أفراداً أو جماعات في مجتمعنا المصري لننتعرف على مدى تقبلنا أو رفضنا للآخر القريب؛ لننتعرف على أوجه القصور والضعف في تفاعلاتنا ونسعى لتغييرها قبل أن نلقى اللوم على الآخر الخارجي أو نطلب منه تقبلنا فالوعي بالذات وعيوبها هو أول خطوة على طريق الشفاء من أمراضها، وليس معنى هذا أن نتجاهل الآخر الخارجي وإنما محاولة فهم الذات أولاً يجعلنا نتعامل مع الآخر بصورة أفضل.

تبصراً بأهمية معرفة صورة الذات والآخر لدى المصري فقد نشطت العديد من الدراسات النفسية لتناول هذا الموضوع، ومن الجدير بالذكر أن هذا الاهتمام قد أثرى معلوماتنا في هذا الجانب

إلا أنه يمكن ملاحظة التعارض بين نتائج الدراسات التي أجريت فى هذا السياق؛ فنجد دراسات اختصت برصد صورة الذات والآخر الداخلي (الغريب) فى المجتمع المصري- يمكننا ملاحظة أن بداية الاهتمام بدراسة خصائص الشخصية القومية قد نشأ عقب نسخة ١٩٦٧ لمحاولة تفسير ما حدث وتبريره- فيعرض السيد يس (٩٩٣) لمجموعة من الدراسات العربية التي ناقشت صورة الذات العربية إزاء هذه الفترة، ويقلل البعض من قيمة تلك الدراسات على اعتبار أن معظمها دراسات انطباعية تأملية (أحمد زايد ١٩٩٠، ٢١:٣٠) وبصفة عامة يمكن تصنيف الدراسات حسب منهجها فى التعرف على صورة الذات إلى ثلاث فئات هى:-

الفئة الأولى:- دراسات اعتمدت تحليل المضمون سواء للكتب الدراسية أو الأعمال الأدبية أو المواد الإعلامية فى استخلاص ملامح لصورة الذات، يمكن إدراجها ضمن الدراسات الانطباعية- مع تسليمنا بأهمية منهج تحليل المضمون فى بعض الدراسات الاجتماعية - طالما لا تعطينا بيانات إمبريقية تؤيدها. وبالتالي لن نتناولها فى دراستنا الحالية.

الفئة الثانية:- دراسات اختصت برصد صورة الذات والآخر الداخلي (القريب) فى المجتمع المصري من خلال أدوات متعددة، نجد مثلا دراسة عزة حجازي (١٩٨٣) والتي هدفت التعرف على طبيعة الإدراك المتبادل بين جماعات الموظفين والحرفيين وأصحاب المهن العليا واستخدمت المقابلة الشخصية والاستبيان، ومن بين نتائجها أن أدرك الحرفي والمهني أنفسهم بصورة إيجابية بينما صورة الموظف عن نفسه مشبعة بالسلبية، إدراك الموظف المهني جيد وإن بدت صورته لدى المهني غير ذلك، كما إدراك الموظف الحرفي بصورة يغلب عليها التناقض بين الإعجاب والاحتقار. وفى دراسة ميدانية منضبطة نشرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية عام (١٩٩٠) كشفت النتائج عن وجود بعض السمات السلبية التي يراها المصري عن نفسه فالازدواجية بين الأحكام المثالية والسلوك العملي والتناقض بين العام والخاص وازدواجية المعرفة السياسية والسلوك السياسي والشك فى السلطة والتعلق بالأشخاص وليس بالمؤسسات (أحمد زايد ١٩٩٠ ص ١٥٧ : ١٧٦) وتمثل هذه ملامح صورة للذات من منظور تفاعلي يكشف عن جوانب ضعف واقعية، وفى نفس الاتجاه اهتمت (منى أبو طيره ١٩٨٥) بمعرفة صورة كل من الجنسين عن نفسه والآخر لدى طلاب الجامعة واستخدمت المقابلة واختيار



تفهم الموضوع واختيار رسم الشخص، كشفت نتائجها عن ملامح واقعية أيضاً فجاءت الأنثى لدى الذكور معبرة عن علاقة مادية سطحية بينما جاءت صورة الذكر لدى الجنسين محتفظة بالسيادة والايجابية والتميز الاجتماعي بينما الأنثى تتسم بالدونية والتبعية.

الفئة الثالثة: دراسات اعتمدت على القالب النمطي Stereotype:

ففي دراسته المعنونة كيف يرى المصريون أنفسهم؟ اهتم محمد خليل (٢٠٠٤ ص ٨٧ : ١٧٢) بالتعرف على مكونات القالب النمطي للمصري والمصرية وهل يختلف تصور كل منهما عن الآخر. استخدم مقياس القالب النمطي وقائمة خاصة بالمرأة المصرية على عينة مكونة (١٥٤٦) مفردة (٩٨٨ ذكور، ٥٥٨ إناث) من الريف والحضر والطلاب والمهنيون والعمال وأصحاب المصانع، ومن أبرز نتائجه أن صورته الذكر لدى الجنسين تتسم بدرجة عالية من الإيجابية والأنثى على العكس من ذلك، والنتائج في مجملها تؤكد على أن المصريين يقدرون أنفسهم تقديراً عالياً يتمثل في تلك الصورة الناصعة الخالية من السمات السلبية على النحو الذي تقدمه هذه الصورة المليئة بالصفات المتطرفة: (محمد خليل ٢٠٠٤ ص ١٤٩).

كما تأتي نتائج دراسة مجده أحمد (٢٠٠٤) عم ملامح صورة الذات والآخر بين جيلين (الآباء والأمهات) و (الأبناء والبنات) مستخدمه قائمة عين شمس للصفات النمطية (إعداد محمد خليل وآخرون) وكشفت نتائجها عن صورة الذات الإيجابية للإباء والأمهات، بينما صور الأبناء عموماً لديهم سلبية كما رأى الأبناء والبنات صورتهم سلبية.

وحاول طه المستكاوى (٢٠٠٤ ، ٢٦٣-٣٥٥) دراسة صورة الصعيدي والبحراوي لدى عينة من الصعايدة من طلبة جامعة أسيوط، كشفت نتائجها أيضاً عن تلك الصورة الإيجابية للذات عند الصعايدة وكذلك صورة الآخر (والبحراوي) لديهم كانت إيجابية !!.

ولعل التناقض بين نتائج دراسات ميدانية عنيت بنفس الموضوع (صورة الذات) في فترة زمنية قصيرة في نفس المجتمع (المصري) أمر يستوجب الوقوف للتأمل، وربما يكمن التعارض فيما بين نتائج دراسات (أحمد زايد ١٩٩٠، منى أبو طيرة ١٩٨٥، عزة حجازي ١٩٨٣) في إبرازها لصورة بها سمات سلبية (واقعية) بينما دراسات (محمد خليل ٢٠٠٤، مجده أحمد ٢٠٠٤، طه المستكاوى ٢٠٠٤) تشير إلى إبراز صورة إيجابية. الأمر الذي أثار تساؤل البعض بقوله "الشيء المؤكد أن صورة المصري هذه ينقصها الكثير من الواقعية، فلا يوجد

إنسان يخلو من السمات السلبية على النحو الذي تقدمه هذه الصورة المليئة بالصفات المتطرفة) محمد خليل (٢٠٠٤، ١٤٩). ربما يرجع كون هذا الاختلاف إلى اعتماد الدراسات الثلاث الأخيرة على مقياس القالب النمطي الجامد الذي قد يصلح لتفسير عملية الإدراك المتبادل بين الجماعات المتصارعة ، أو بين صورة الآخر الخارجي ( البعيد) الذي لم تتوافر لدينا معلومات كافية عنه، كما يضيف البعض أن الصورة الذهنية التي تعكسها القوالب النمطية الجامدة يكونها (الأننا) عن الآخر بغض النظر عن واقعيته ومدى صدقها دون دراية ومعرفة به (عبد المنعم شحاتة ٢٠٠١). لكن عند محاولة التعرض لفهم صورة الذات أو الآخر المتمثل في الجماعات التي يخبرها الفرد أو يتفاعل معها بدرجات متفاوتة نجد هذا التناقض الذي كشفت ملامحه نتائج الدراسات بين صورة واقعية وآخري مثالية لا يتوافر لها الصدق الواقعي.

ونتناول أولاً تحديد هذه المكونات الأساسية للتفكير الاجتماعي، والنماذج الأصلية . prototype ويمكن تعريف المخططات والنماذج الأصلية بأنها أبنية عقلية أو أطر عمل تتيح لنا تنظيم مقادير هائلة من المعلومات المتنوعة بطريقة فعالة ( Fiske & 1990 toyLor فإذا تشكلت المخططات والنماذج الأصلية؛ فإنها تميل إلى الثبات والاستمرار حيث تؤثر بقوة على كيفية معالجتنا للمعلومات الجديدة وعلى هذا ؛يمكن أن تكون دقة معالجة المعلومات موضع شك؛ولهذا فمن المحتم أننا نضطر إلى أخذ شذرات صغيرة من المعلومات والتعامل معها على أنها تمثل مقادير هائلة من المعلومات . وسنبدأ هذا الفصل بتحليل العمليات والمكونات الداخلة في الإدراك الاجتماعي .

#### - الإدراك الاجتماعي:

##### - ١- التصنيف Categorization:

هو العملية التي يقوم عليها الإدراك. من حيث كيفية تحديد للمثيرات و تجميعها معا كوحدات في فئة معينة ، و صور التشابه بين هذه الفئات الاخرى و صور الاختلاف كذلك . و يحدث التصنيف تلقائيا ، و بقليل من الجهد المعرفي . فمثلا ، من السهل تصنيف كل من الكتاب و الشجرة و الحيوان بصور متميزة. و بمجرد تصنيف الوحدات ، يتم ترتيب المواد الاخرى في البيئة الفيزيائية و العالم الاجتماعي المعقد . نحن كذلك نضع أنفسنا في فئات، فعندما نملا

استمارة عمل مثلا، يطلب منا وضع أنفسنا في فئات تتعلق بالنوع، الجنسية، العمر، الحالة الاجتماعية. .... الخ.

## ٢- النماذج الأصلية Prototypes:

يتضح هذا من استخدام فئة معبرة عن " الطيور " كنموذج ، ( فمثلا العصافير و الحمام ) أكثر تمثيلا للطيور من البط و الإوز رغم اشتراكهما أيضا في نفس الفئة ، و لان هناك ملمحا مميذا مهما للطيور هو أن الطيور تطير فيكون الأفضل للنموذج هو العصافير، و علي هذا يمكن وضع أعضاء فئة ما علي متصل من حيث الانطباق التام علي النموذج الأصلي إلى عدم الانطباق التام ، و من هنا تحديد الأكثر تمثيلا لتلك الفئة .

و يزعم كانتور و ميشيل Michel ١٩٧٩&Cantor أن النموذج الأصلي يحدد في علاقته بعدد الخصائص التي يشترك فيها أعضاء الفئة ، و رغم وجود وحدات تشترك فيها مع أعضاء فئة أخري أو أكثر .

و يستمر كانتور و ميشيل في الاقتراح بأن الناس ذوي النماذج الأصلية هم الأسرع في تشغيل و معالجة المعلومات ، إذن فمن السهل التنبؤ بسلوكهم.إننا نتبنى " نماذج عقلية " أو نماذج أصيلة عقلية لكثير من الجوانب المختلفة للناس: القرويين، أهل الصعيد. او من خلال التخصصات مثل: المحامين أو الأطباء أو علماء النفس، رجال الدين، المجانين، .... الخ.

٣. مفهوم المخطط :

إن المفهوم ذي الصلة بالنماذج الأصلية هو المخطط. ويمكن تعريفه على انه إطار عمل Framework عقلي يحتوى على معلومات تتصل بالذات والآخرين ومواقف وأحداث محددة. فإذا تشكلت المخططات، فأنها تساعدنا على تفسير المواقف الجديدة وتوجيه السلوك.وقد حدد فسيك وتايلور Taylor &Fisk (١٩٩١) أربعة أنماط رئيسية تخدم كلها وظائف متشابهة في ضوء فهم (حل الشفرة) المعلومات الجديدة وذاكرة المعلومات القديمة. الأنماط الأربعة هي: مخططات الذات، مخططات الشخص، مخططات الدور ومخططات الحدث.وتقودنا

المخططات كذلك إلى عمل استدلالات في غياب معلومات أخرى، ويمكن إن يؤدي هذا إلى إصدار أحكام خاطئة عن الناس أو الأحداث.

### ١- مخططات الذات:

يمكن تعريف مخططات الذات على أنها العموميات المعرفية عن الذات التي تقوم على الخبرة السابقة. وهي تنظم وتوجه في تشغيل المعلومات المتعلقة بالذات (Markus, 1977) وتشكل مخططات الذات المكون المعرفي لمفهوم الذات وتنظم حوله السمات أو الملامح النوعية التي نعتقد أنها مركزية ومهمة في صورة الذات لدينا.

والسمات المخططية Schematic traits هي تلك التي نستخدمها غالبا عندما نريد تعريف من نكون نحن. ولهذه السمات تأثير في كيفية شعورنا إزاء أنفسنا، ولكل فرد سمات أو ملامح مختلفة تعد مركزية في مفهوم الذات لديه فمثلا، قد يكون ذكاء طالبي الجامعة سلمى ونهى متوسطا وتتمتعان بحب الرياضة وبالنسبة لسلمى. فمستوى الذكاء مهم وقلقة بخصوص الحصول على التقديرات العالية بين مجموعة رفاقها. في المقابل، تعمل نهى بجد وجدية وتحصل على تقديرات طيبة إلى حد ما ولكن الأكثر أهمية لها هي إن تكون مميزة ضمن فريق التنس وتكون كابتن فريق الجامعة. وعلى هذا، فرغم إنهما متشابهان في السمات والقدرات، فهما مختلفتان في درجة الأهمية التي يحدد أنها فيما يتعلق بمفهوم الذات لديهما. وباستخدام المصطلحات التي قدمها ماركوس Markus، فلدى سلمى سمة مخططيه تتعلق بالذكاء وسمة غير مخططيه تتعلق بالرياضة، بينما لدى نهى سمة مخططيه تتعلق بالرياضة وسمة غير مخططيه تتعلق بالذكاء.

وبينما لأي مخطط للمعلومات قوة في أي معالجة المعلومات الجديدة، يظل هناك تساؤل عما إذا كان لدى كل فرد مخطط ذات مفرد يكون نشطا في كل المواقف أم إن لديه عدد مختلف من مخططات الذات بالنسبة للمجالات المختلفة من الحياة. ويمكن إن يرتبط هذا مخطط الدور الذي سنتناوله لاحقا، حيث إن لدى أغلب الأفراد عددا من الأدوار في حياتهم.

وقد افترض لينفيل Linville (١٩٨٧) أن الأفراد يختلفون في الدرجة التي ينظم بها مفهوم الذات لديهم إلى بناءات فرعية لتتوافق مع الأدوار المتعددة. وتشير إلى بعد تعقد الذات-self Complexity الذي يتصل بالدرجة التي يدرك بها الأفراد أنفسهم على نحو مختلف أو بنفس الطريقة عبر المواقف أو الأدوار المختلفة. ويعد الأفراد منخفضين في تعقد الذات إذا هم اعتمدوا على مخطط ذات واحد، ومرتفعين في تعقد الذات إذا كان لديهم عدد من مخططات الذات متصلة بالأدوار التي يؤديونها ووفقا للينفيل، فلتعقد الذات متضمنات ذات أهمية، بالنسبة لتقدير الذات لدى الشخص. فمثلا، إذا حدث حادث ضاغط في أحد مجالات حياة الشخص التي تؤثر على صورة الذات لديه، وإذا كان مستوى تعقد الذات لديه منخفضا، فمن ان تنتقل التأثيرات إلى مجالات أخرى من حياته. ومع ذلك، إذا كان لديه تعقد ذات مرتفع، فإنه يعمل كملطف لان بإمكان الفرد ان يضم تأثيرات الحدث السلبي في ذلك الموقف ويحتفظ بمستوى تقدير الذات لديه كما هو عبر المواقف أو الأدوار الأخرى (Linville, ١٩٨٧).

وهناك جانب آخر لكيفية استخدام مخطط الذات في معالجة المعلومات هو مفهوم الذوات الممكنة Possible selves. وفي محاولة لتوسيع عملها، تعتقد ماركوس أن مختلف مخططات الذات التي نملكها في الوقت الراهن "هنا والآن" يمكن أن تتسع لتشمل كيفية تخيلنا لما سنكونه في المستقبل. ويمكن أن تشمل هذه كلا من الجوانب الايجابية والسلبية للذات. ويعتقد ماركوس ونوريوس Nurius & Markus (١٩٨٦) ان هذه تفيد كوظائف دافعية مهمة. وفي ضوء الجوانب الايجابية التي تشجع الفرد لبذل الجهد المطلوب لتحقيق الذات الممكنة وبصورة بديلة إذا كان بإمكان الشخص ان ذلك سيكون ضعيفا في المستقبل ومحبطا ولاامل فيه.. الخ، فإن ذلك يدفعه لياخذ حيطته لتحاشي هذه العواقب وتشجيع إدراك الذوات المستقبلية يؤثر بقوة علي الأداء في الوقت الحاضر ويقترح هيجينز (١٩٧٨) Higgins وجود ثلاثة أنماط أخرى من مخططات الذات لها متضمنات فيما يتعلق بكيفية شعور الفرد إزاء نفسه وهي :

الذات الفعلية: كيف نكون في الوقت الحاضر .

الذات المثالية: ما نرغب في أن نكونه .

الذات الواجبة: كيف نذكر فيما يجب ان نكونه .

فإذا كان هناك مدى واسع بين مخططات الذات الفعلية والمثالية فإن تقدير الذات يمكن أن يكون منخفضاً أما التناقض بين مخططات الذات الفعلية والمتوقعة فمن الممكن أن يسبب القلق أو التهديد أو حتى الخوف وأفضل طريقة لحل التناقض ومن ثم التأثيرات اللاحقة علي تقدير الذات ومشاعر التهديد إذا حدث ما يستدعي ذلك في موقف من المواقف هو العمل بجدية في الامتحانات وهذه الأنماط الثلاثة للذات التي اقترحها هيجنز Higgins (١٩٨٧) تذكرنا بمفاهيم فرويد عن الأنا الفعلية والأنا الأعلى التي تتكون من الأنا المثالية ( الذات المثالية هنا ) والضمير (الذات المتوقعة هنا )

#### ٢- مخططات الآخر :

مخططات الآخر هي بناءات عقلية تمثل المعرفة بسمات أو أهداف إما نمط معين من الأشخاص أو شخص معروف ( Taylor & Fiske ١٩٩١ ) فمثلاً إذا وجه شخص ما سؤالاً : ماذا يشبه س او ص ؟ ربما تجيب في ضوء مخططات الآخر فتستخدم كلمه انبساطي extrovert لوصف س او ص . وبامتلاكه هذه المعرفة سيكون الشخص قادراً علي توقع كيفية تعرف س أو ص في اللقاء القادم حيث ان مخطط انه انبساطي قد علقت بذهنه .

#### ٣- مخططات الدور :

تشير مخططات الدور إلى معرفة الناس بالبناءات التي لديهم بخصوص المعايير و السلوكيات المتوقعة من الذين يقومون بدور محدد في المجتمع و يمكن إنجاز هذه الأدوار أو عزوها و تكتسب الأدوار المنجزة بالجهد والتدريب كما في الأدوار المهنية بينما نشير الأدوار المعزوة إلى تلك التي لا نملك سيطرة عليها مثل العمر والنوع و العرق وغالباً ما تعتبر مخططات الدور شكلاً من أشكال التنميط ، (Fisk Taylor ١٩٩١) وخاصة إذا اتصلت بالأدوار المعزوة للنوع او العرق والتنميطات هي بصورة عامة نمط من المخططات ناتج عن عملية التصنيف التي تنظم الفئات الاجتماعية .

و بالنسبة للنوع gender قدمت ساندرابيم Sandra Bem نظرية مخطط النوع ( Bam ١٩٨١ تذكر بم أن تنميطات دور الجنس البشري تعمل كمخططات تنظيمية للمعلومات المرتبطة بالنوع في الطفولة المبكرة وتعتقد أن نمو الطفل غالباً وعمره يتراوح من ١٨ حتى ٢٠ شهراً يسمح له

بتقييم المعلومات الداخلة إليه علي أنها إما ملائمة أو غير ملائمة لجنسه ونتيجة لذلك يصبح مفهوم الذات لدي الطفل متمثلا في مخطط النوع .

#### ٤ - مخططات الحدث :

يتضمن النمط الرابع من المخططات أطر العمل العقلية المتصلة بمواقف أو أحداث محددة أنها أوصاف scripts (توضح ما المتوقع أن يحدث في سياق معين وتساعدنا مخططات الحدث علي توقع كيفية التصرف في مواقف معينة . ولدي أغلبنا مثلا مخططات لأحداث الزفاف و الجنائز و تناول الطعام في المطاعم و ركوب الطائرة الخ... و توجه مخططات الحدث هذه قراراتنا فيما يتعلق بأي شيء نرتدي والوقت الذي نتوقع ان نقضيه وكذلك السلوك المعياري لهذا الحدث او ذلك و قد بحثت تجربة قام بها روزو فريز Rose Frieze ( ١٩٩٣ ) ما يتوقع المراهقون حدوثه عندما يقابلون أحد افراد الجنس الاخر في أول موعد ( غرامي ) ذكر كل من الذكور و الاناث أوصافا عن الحدث " الموعد الاول " حيث يصطحب الفتى فئاته للنزهة و يكون قلقا بشأن مظهره ويأخذها إلى مكان لتناول الطعام أو مشاهدة السينما ثم يوصلها لمنزلها و يقبلها قائلا طابت ليلتك و كلما تصرف الطرفان (الفتى والفتاة ) وفقا لمقتضيات أوصاف الموعد الأول كلما كان ذلك طيبا ومع ذلك إذا لم يتصرف لما هو موصوف قد يصبح الموعد الأول آخر موعد كذلك !

يستلزم عمل المخططات ثلاث عمليات رئيسية داخلة في المعرفة الاجتماعية هي الانتباه، تشفير الرسائل والاسترجاع.

#### الانتباه :

إن عالمنا الاجتماعي مليء بالمتغيرات الاجتماعية ولهذا فمن المستحيل للفرد أن يولي انتباهه لكل شيء حوله فمن الضروري الانتقاء ،ونحن أكثر احتمالا أن نلاحظ بعض جوانب الناس والمواقف أكثر من الجوانب الاخرى وتزودنا المخططات الأخرى بمحكات للانتقاء ونحن غالبا ما نلاحظ المعلومات او الأحداث غير المتسقة مع المخططات الموجودة مقارنة بالمعلومات المتسقة مع المخططات وهذا ليس غريبا لأن المخططات تساعدنا علي التنبؤ بما يمكن أن يحدث فإذا حدث شيء غير متوقع أو كان سلوك شخص ما غير متوقع اذن فمن المحتمل أن يشد الشيء أو السلوك انتباهنا إليه فمثلا إذا كنت طالبا تحضر محاضرة فأنت تتوقع أن يقف

المحاضر علي المنصة أمام الطلبة ولهذا تستغرب أن يسترقوا إلى المحاضرة من حجرة خلفية إنه سلوك غير متوقع ولا يتلائم مع ما هو موصوف script للحدث .ويؤدي مثل هذا السلوك غير المتوقع إلى البحث عن الأسباب لتفسير الانحراف عما هو موصوف .

تشفير ( الرسائل ) Encoding والاسترجاع :

وجدت البحوث المبكرة على الذاكرة-بصورة عامة-أن المخططات تسهل استدعاء المعلومات، وأن المواد المتسقة مع المخططات تكون أفضل في تذكرها من المواد غير المتسقة مع المخططات.وقد تدعم هذا من خلال البحث التجريبي الذي أجراه كوهين Cohen(١٩٨١).فقد عرض على المشتركين في التجربة شريط فيديو لزوجين يتناولان العشاء.وأخبر نصف المشتركين بأن الزوجة أمينة مكتبة،بينما أخبر النصف الآخر بأن الزوجة نادلة(عاملة في كافتيريا) .استدعى المشاركون الذين قيل لهم أن الزوجة أمينة مكتبة ملامح النموذج الأصلي المتصل بمخطط الدور هذا مثل "ارتداء النظارة "(وهي الملامح التي حكمت المجموعة الاخرى أنها النموذج الاصلى لأمينات المكتبة).وبصورة بديلة استدعى المشاركون الذين قيل لهم بان الزوجة تعمل نادلة ملامح النموذج الأصلي مثل "شرب الجعة".وتأثر وقت العمل في الاسترجاع بما إذا كانت المعلومات الداخلة متسقة أم غير متسقة مع المخطط.فقد كانت معالجة المعلومات المتسقة كذلك مع المخطط تتم تلقائيا ولا تحتاج إلا للقليل من الجهد،ولكن المعلومات غير المتسقة مع المخطط استغرقت عملا عميقا أكثر .وسنرى في الجزء التالي ان معالجة المعلومات بعمق ليست ممكنة دائما.

#### تشكيل الانطباع عن الناس

نحن بصورة منتظمة نشكل الانطباعات عن الآخرين ، و بالمثل يشكل الآخرون الانطباعات عنا . هذه العملية المتبادلة من الطرفين لتشكيل الانطباعات تمثل لب التفاعلات الاجتماعية . و غالبا ما تشكل هذه الانطباعات في ضوء القليل من الخبرة المباشرة (بل وانعدام الخبرة احيانا)مع الطرف الآخر،حيث غالبا ما تأتي المعلومات بصورة غير مباشرة من شخص اخر . كذلك تزودنا الاشارات غير اللفظية التي تشمل من بين ما تشمل المظهر الخارجي بمعلومات لها اهميتها . و للانطباعات المتبادلة المشكلة نحو شخص ما متضمنات مهمة ، حيث أنها



تميل إلى الاستمرار و قد تؤثر علي ما إذا كانت ستنمو علاقة أم لا . و بالمثل ، وفي المواقف الرسمية مثل المقابلات يقوم الانطباع المبدئي إما علي جانب يمكن أن يؤثر في تقديم الوظيفة أو علي جانب قبولها . و مع ذلك ، كما سنري ، يمكن أن تكون الانطباعات الأولى غير دقيقة ، حيث تعكس خطأ في معالجة المعلومات أو تفكيراً نمطياً أو حتي تعصباً. و علي هذا ، فقد تكون قاسية و تمثل نظرة انتقائية تعكس ما يرغبه الشخص بالفعل.

و قد مثل تشكيل الانطباعات مصدراً لكثير من البحوث في علم النفس الاجتماعي عبر الخمسين سنة الاخيرة .، و لفهم تسلسل الفكرة من المنطقي أن نأخذ منظوراً تاريخياً. وسوف نستهل هذا الجزء بتناول الأعمال المبكرة لسولومون آش Solomon Asch (١٩٤٦). فقد شكلت أعماله حجر الزاوية لكل الأعمال اللاحقة عن تشكيل الانطباعات، ومرت سنوات قبل أن تتبلور رؤية بديلة على يد اندرسون Anderson (١٩٦٨) وكان يعتقد في البداية أن مدخل اندرسون القائم على الجبر المعرفي Cognitive Algebra يأخذ الاتجاه العكسي لنموذج آس، ولكن العمل اللاحق الذي قام به فيسك ونيوبرج Neuberger & Fiske (١٩٩٠) أوحى بأن النموذجين يكملان بعضهما أكثر من كونهما متعارضين. ونتيجة لذلك، افترض فيسك ونيوبرج نموذجاً على شكل متصل لتشكيل الانطباعات. وسيتم التعريف بهذه النماذج في المناقشة التالية.

١ . سولومون آش Asch والنموذج الشكلي

٢ . نظرية الشخصية الضمنية

٣ . أثر الهالة

٤ . نموذج المتصل لفيسك ونيوبرج

٥ . التشوهات المعرفية

١- سولومون آش Asch والنموذج الشكلي Configral:

زعم سولومون آش (١٩٤٦) -من المنظور الجشطلطي- أن نوع الخبرة النفسية ككل أكبر من مجموع أجزائها المفردة. ولفهم هذا التصور يمكن تشبيهه بالتناغم الموسيقي، الذي يعني أكثر

من مجموع النغمات المفردة التي تشكله،بينما يعد الأداء الاوركسترالى أكبر من مجموع الأداء الفردى لكل عازف.

في البداية وعندما كان آش(١٩٤٦) يفكر فى النموذج الشكلى وجد أنه عندما يطلب من الناس تشكيل انطباع عن شخص مفترض على أساس سمات شخصية تصوره،كان بإمكانهم تشكيل الانطباع بسهولة.بل كانوا قادرين على خلق أوصاف أخرى للشخص باستخدامهم صفات أكثر بل واقترحوا نوع الوظيفة التي يقوم بها هذا الشخص المفترض .ونتيجة لذلك،ابتكر آش طريقة تجريبية رائدة استخدمت في مناسبات لا تعد ولا تحصر لبحث تشكيل الانطباعات.وبصورة اساسية ،يتم اعطاء قائمة من الصفات تصف الشخص (سمات المثير)،ثم يطلب من المشاركين اعطاء مجموعة اخرى من الصفات(سمات الاستجابة)تصف هذا الشخص على ضوء الوصف المقدم لهم.وببحث السمات المركزية والمحيطية،اعطى آش قوائم مختلفة قليلا عن الصفات التي تصف شخصا مفترضا.وفي هذه التجربة كانت توجد أربعة ظروف تجريبية وظرفا ضابطا.في الظرف الضابط،تم إعطاء المشاركين سبع سمات مثير.

وسمات المثير الاضافية (واحدة لكل ظرف تجريبى)اعتقد آش انها مركزية،وفيما يلى توضيح كل هذه الظروف التجريبية.

-المجموعة التجريبية (أ):ذكى،ماهر كادح،دافئ،حاسم،عملى،حذر.

-المجموعة التجريبية (ب):ذكى،ماهر،كادح،بارد،حاسم،عملى،حذر.

-المجموعة التجريبية(ج):ذكى،ماهر،كادح،مؤدب،حاسم،،عملى،حذر.

-المجموعة التجريبية(د):ذكى،ماهر،كادح،فظ(عديم الاحساس)،حاسم،عملى،حذر.

وكما نرى،تم إعطاء المجموعتين أ،ب سمتين إضافيتين متضادتين(دافئ،بارد)وتم إعطاء المجموعتين ج،د نفس السمة العكسية(مؤدب،فظ).ثم طلب من المشاركين ما إذا كانوا يعتقدون أن الشخص المفترض كريم،حكيم،بهيج،يعتمد عليه ومهم.ويلخص جدول ٢-٢ النتائج.

جدول ٢- النسب المئوية للمشاركين الذين يعتقدون أن الشخص المفترض يمتلك صفات الكرم

والحكمة والسعادة والبهجة في دراسة آش(١٩٤٦)(نقلا عن: ١٢٦،p.١٩٩٩،etal،Pinnington)

الصفة	المجموعه	المجموعه"أ"	المجموعه"ب"	المجموعه"ج"	المجموعه
-------	----------	-------------	-------------	-------------	----------

الضابطه				"د"
كريم	%٥٥	%٩١	%٨	%٥٨
حكيم	%٤٩	%٦٥	%٢٥	%٥٠
سعيد	%٧١	%٩٠	%٣٤	%٦٥
بهيج	%٦٩	%٩٤	%١٧	%٥٦

و يوضح الجدول أن المشاركين الذين أعطو سمة " دافئ" اعتقدوا أن الشخص "كريم" (%٩١) وسعيد (%٩٠) وبهيج (%٩٤). وفي المقابل، لم يعتقد الذين أعطى لهم سمة "بارد" أنه تخيلك مثل هذه السمات. والمشاركون الذين أعطيت لهم سمة "مؤدب" أو "فظ" كانت أحكامهم أقل تطرفاً. وهذا يتضح - على سبيل المثال - من حقيقة أن %٥٨ فقط ، %٥٦ اعتقدوا أن الشخص المفترض كريم وبهيج على التوالي (قارن هاتين النسبتين بالنسب المئوية للمجموعتين أ، ب). وفي ضوء هذه النتائج، يحتاج آش بأن الدفاء/ البرودة سمات مركزية، بينما الأدب/الفظاظة سمات محيطية. ويعتقد آش أن السمات المركزية يستدل عليها من وجود سمات معينة أخرى تؤثر بقوة في الانطباع النهائي. ومن جهة أخرى فليس للسمات المحيطية - مثل الأدب/الفظاظة إلا القليل من التأثير على الانطباع الكلي .

وقد دعمت الدراسات اللاحقة فكرة السمات المركزية والمحيطية سواء في الدراسات التجريبية أو في المواقف الطبيعية مثل التعليم. فمثلاً قام كيلي Kelley (١٩٥٠) بتوزيع نسختين تصفان السيرة الذاتية لمحاضر صيف على الطلاب الذين قابلهم لاحقاً. اشتملت إحدى النسختين على سمة "الدفاء" وضمت الأخرى سمة "البرودة". وعند وصول الضيف لبدء المحاضرة قام المجرب بتسجيل كم مرة اشترك فيها كل طالب معه في مناقشة. وبعد الجلسة، وبعد مغادرة المحاضر /طلب من الطلاب تقدير المحاضر على مقياس متدرج يضم ١٥ سمة. قام الذين اعطيت لهم سمة انه "دافئ" بتقدير المحاضر إيجابياً على سمات مثل أنه مراعى لحقوق ومشاعر الآخرين، لا يهتم بالرسميات، اجتماعي، بهيج، لديه روح الفكاهة، عطوف كما أنهم اشتركوا أكثر في المناقشة. وقد تم إجراء مطابقة لهذه الدراسة في سياق تعليمي آخر بعد مرور ٣٨ سنة

وكانت النتائج متشابهة (انظر: 1988 Loy & Wiolmeyer). وهنا نتيجة إضافية خرجت بها هذه الدراسة اللاحقة وتمثلت في أن المحاضر الضيف تم تقديره على أنه محاضر أكثر فعالية من جانب الطلاب الذين قدمت لهم سمة "الدفاء" قبل الالتقاء به وعلى هذا ينشأ عن السمات المركزية توقعات معينة عما يكونه هذا الشخص وهذا يؤثر - من ثم - على كيفية معالجة المعلومات الجديدة عن هذا الشخص. وسيتم تناول هذه المسألة مرة أخرى عند الحديث عن صور التحيز الملازمة لتكوين الانطباعات والانتقاد الذي يوجه لهذا المنحى هو التساؤل عن كيفية تحديد السمات المركزية. ومن المنظور الجشطلتي، فإنه يعتمد على درجة ارتباط السمة بالسمات الأخرى إلا أنه يمكن الاعتماد على السياق حيث أنه في تجارب آش، تم اعتبار سمات الدفاء/ البرودة مركزية لأنه بعد ارتباط سيمانتيا بأبعاد الاستجابة.

## ٢ نظرية الشخصية الضمنية implicit

كان برنر وتاجيوري Tagiori & Bruner (1954) سابقين لاقتراح أن لكل فرد فكرة خاصة به عن خصائص الشخصية المنسجمة والمتسقة مع الخصائص الأخرى. وكانت نظرية الشخصية الضمنية The implicit personality - وهو الاسم الذي أصبحت معروفة به - تطويراً آخر قام به روزنبرج وزملاؤه. Rosenberg, et al., (1968). طلب روزنبرج وزملاؤه من طلبة الجامعة أن يفكروا في عدد الناس الذين يعرفونهم ولكنهم مختلفون عن بعضهم بعضاً. وتم إعطاؤهم بعد ذلك ستون (60) سمة وطلب منهم وضعها في فئات منفصلة، كل فئة تمثل وصفاً لكل شخص مختلف معروف لهم حصل كل الطلبة على نفس السمات الستين، ولكن كان كل طالب يفكر في أناس مختلفين.

أظهرت نتائج تحليلهم للسمات الستين أنه (أ) توجد نظرية الشخصية الضمنية مشتركة بينهم، (ب) يوجد نمطان مرتبطان ولكنهما متمايزان للتقييمات الجيدة - السيئة. أطلق على أحد النمطين البعد العقلي intellectual الجيد - الرديء، والآخر البعد الاجتماعي social الجيد - الرديء. فهذا قد يفسر بدرجة ما مركزية تمايز الدفاء - البرود في تشكيل الانطباعات التي وجدها آش (1946)، حيث وقعت هاتان السماتان على طرف في محور المرغوبية الاجتماعية.

والأفكار المبكرة لنظريات الشخصية الضمنية سبقت الجهود البحثية على نظرية المخطط ، ولكن نظريات الشخصية الضمنية تفيد وظيفة أى مخطط. وتوضح النظريات نزعنا لأن نكون بخلاء معرفيا ( Cognitive misers & Fiske ) ( Taylor, ١٩٩١ ) عندما نكون انطباعاتنا عن الناس باستخدام القليل من المعرفة عنهم أو لا نقضى إلا فترة قصيرة جدا معهم.

وقد اتضح التنوع الثقافى فى نظريات الشخصية الضمنية ( Hoffman, et al., ١٩٨٦). وقد لاحظ هوفمان وزملاؤه أنه فى الثقافة الغربية ، يكون لدينا فكرة مشتركة عن شخص ما له شخصية فنية artistic ، أى أن خصائص الإبداع تكون وقتية ومن المحتمل أن يكون له أسلوب حياة غير تقليدي ومع ذلك ، فبعض الثقافات - كالصينية مثلا - ليس لديها فى أدبياتها الثقافية شخص له تلك التجميعية من الخصائص. وبالمثل ، هناك أفكار مشتركة عن أنماط الشخصية يتبناها الصينيون لا توجد فى الثقافة الغربية. فمثلا ، نمط شى جو Shigu هو الشخص الذى له توجهات أسرية وعالمية (مهتم بقضايا العالم) ولديه مهارة اجتماعية ولكنه متحفظ ، ولاختبار صحة هذا الاختلاف الثقافى ، كتب هوفمان وزملاؤه Hoffman, et al., (١٩٨٦) قصصا تصف كيف يتصرف الشخص الفنان ولكن بدون تسمية لفظية وقد تم كتابة القصص بكل من اللغة الإنجليزية والصينية. والقصص بالإنجليزية أعطيت للمتكلمين بالإنجليزية والذين يتكلمون الإنجليزية من الصينيين. أما النسخة الصينية فقد أعطيت للصينيين. ثم طلب من المشاركين كتابة انطباعاتهم عن الشخصية التى تصفها القصص.

### ٣ أثر الهالة Holo effect

التحيز التقييمى شائع عند تكوين الإنطباعات ولتأثير الهالة. - كما يتضح من اسمها - على إدراكاتنا حتى بالنسبة للخصائص الموضوعية للشخص الآخر. والجانب الإقناعى لتأثير الهالة هو أنه يرتبط إلى حد بعيد بالخصائص الفيزيقية. ويبدو أن القول بأن "الجمال هو فقط بعمق قشرة الجلد" لا ينطبق ، لأن الذين يتسمون بالجمال يخضعون لتقييمات إيجابية متحيزة لصالحهم. وفى مراجعة بحثية ، وجد ايجلى وزملاؤه Eagly, et al., (١٩٩١) أنه مهما تأسس حكمنا على ما هو جميل فإنه يؤثر كذلك على تقييمنا لما هو جيد (طيب) وبتطبيق هذه

الظاهرة على النظام القضائي ، وجد عدد من الباحثين ( Lyons, &e.g., Founs ١٩٩١ ) أن المتهمين الجذابين - سواء كانوا ذكورا أو إناثا - حصلوا على عقوبة أخف من عقوبة المتهمين غير الجذابين جسميا. وترتبط الجاذبية الجسمية كذلك بالكفاءة المدركة. فقد وجد جاكسون وزملاؤه. Jackson, et al., (١٩٩٥) - لدى كل من الأطفال و الراشدين - أن الأشخاص الجذابين يتم إدراكهم على أنهم أكثر كفاءة من غير الجذابين. وكانت التأثيرات أقوى بالنسبة للذكور عن الإناث ، وكذلك فى حالة غياب المعلومات الفعلية عن الكفاءة مقارنة بوجود تلك المعلومات. وإحدى مشاكل هذا النمط من البحوث هو التوصل إلى مجموعة موضوعية متفق عليها من المحطات التى تحدد الشخص الجذاب وغير الجذاب. وهذا يختلف بالاعتماد على ما إذا كنت تدرك نفسك جذابا أو غير جذاب فى المقام الأول !

#### ٤ نموذج المتصل لفيسك ونيوبرج

كنتيجة لنتائج فيسك ونيوبرج (fiske & neuberg ١٩٩٠) تم ابتكار نموذج المتصل *continuos model* عن تشكيل الانطباع فى البداية نحن نصنف الشخص على أساس المعلومات التى نملكها عنه .

وقد تكون هناك علامة بارزة للتصنيف مثل لون البشرة ، النوع ، العمل . وإذا لم يكن هناك انشغال شخصى أو كان الشخص لا يهمننا ، فمن غير المحتمل أن تستمر العملية لمدى أبعد من ذلك فمثلا ينطبق هذا على شخص نقابله مقابلة عابرة فى القطار او على قارعة الطريق ولكن إذا دخلنا فى تفاعل اجتماعى مع الشخص وكان يمثل أهمية لنا ، فنحن أكثر ميلا لأن نولى انتباهنا للمعلومات الواردة عنه ومن ثم يتم بحث المعلومات بمضاهاتها مع تصنيفها المبدئي ، فإذا كانت متسقة مع التصنيف ، تأكد الانطباع المبدئي .

أما اذا كنت المعلومات الاضافية غير متسقة مع التصنيف الذى أجريناه سلفا فالمرجح أن يستخدم تصنيف بديل وإذا لم تؤكد فئات تصنيفية، متاحة يتم تبني العملية التدريجية التى تركز على الصفات فى تكوين الانطباع .

وقد اعتبر فيسك (١٩٩٠) التمثيل المخططى لنموذج المتصل عن تكوين الانطباع العمليات القائمة (التصنيف المبدئي) والعمليات المتركة حول الخصائص والانطباعات المكونه على معلومات اضافيه لاحقه ( عند احدى طرفى المتصل ويستخدم فى ذلك اما تأكيد التصنيف أوإعادته أو التكامل التدريجى بين طرفي المتصل ، وهذا يعتمد على الموقف . ويبدو هذا

تفسيرا معقولا ، إذا قبلنا بأن الانطباعات التي تقوم على التصنيف يكون لها الأولوية عندما لا يوجد الا القليل من الوقت او الدافعية لتلقى معلومات اخرى . وفي المواقف التي يمثل تشكيل انطباع دقيق امرا حيويا ، كما في مقابلات التوظيف في العمل ، لابد من استخدام تشكيل الانطباع تدريجيا ومن ثم يرجح أن يكون هناك تصارعا او عدم اتساق في المعلومات . ويبدو أن الأفراد ينهمكون دائما في عملية التشكيل خطوة خطوة جنبا إلى جنب مع عملية التصنيف بصورة تلقائية. وهم لا يطيقون إلا العملية التي تقوم على الخصائص إذا كانت دافعتهم عالية أو إذا كانت طبيعة الخاصية أو السمة تستعصى على إعادة تصنيف الفرد إلى جماعة معينة.

٥ - التشوهات المعرفية:

يقصد بالتشوهات المعرفية تلك المعاني والأفكار التي يُكونها الفرد عن الحدث أو الموقف، وتكون خاطئة ولا تمثل بالضرورة مكونات الواقع الفعلي فهي ترتبط بالبنية المعرفية التي تكون مختلة نتيجة الطريقة التي ينشأ بها الأفراد ونظام المعتقدات الذي يؤثر على حياتهم بالكامل والذي يتشكل في سنوات الطفولة المبكرة (٩٠٧: ٢٠١٧، Hatice Devci Sirin). ويعرفها اليس Ellis بأنها: تلك الأفكار غير المنطقية والخاطئة، وغير الواقعية، حيث تتأثر بالأهواء الشخصية، وتتسم بعدم الموضوعية، وأنها مبنية على توقعات وتعميمات خاطئة، وعلى مزيج من الظن والاحتمالية، والتهويل والتضخيم، حيث لا تتفق مع قدرات وإمكانيات الفرد الواقعية (Ellis, ١٩٧٩: ١٨٥). وعرفها "بيك" بأنها: أفكار سلبية ومشوهة ومبالغ فيها، تجعل الشخص يفسر المواقف والأحداث بصورة غير منطقيه وخاطئة، لا تتلاءم مع الواقع؛ حيث تتسم بالانتقائية والتعميم والمبالغة أو التهويل. في حين عرفها سبورل تومسجان (٥٤٣: ٢٠١٠، Sporrle & Tumasjan) بأنها: أفكار ومعتقدات سلبية تتضمن تقييمات خاطئة، حيث يتم تقييم الخبرات والذات والآخرين بشكل متحيز مما يؤدي إلى تطور بعض المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الفرد نتيجة بعض الأخطاء المعرفية في معالجة البيانات.

والتشوهات المعرفية تعني الصورة المعرفية التي يكونها الفرد عن ذاته والعالم والمستقبل والتي تؤثر على سلوكه وتكيفه مع ذاته

أبعاد التشوهات المعرفية:

أ- التعميم الزائد: يعني عند الـEllis أنه: لجوء الأفراد إلى تعميم النتائج التي لا تعتمد على التفكير الدقيق القائم على الملاحظة الذاتية، كحكم الفرد على نفسه بأنه فاشل عندما لا يستطيع إنجاز مهمة معينة مثال "أنا فاشل في كل شيء". إنه النظرة الجزئية من جانب الفرد للموقف والحدث دون النظر والأخذ بجميع الجوانب، مما يترتب عليه صدور حكم عام على الموقف مستنداً من خلاله على نظرتة الجزئية (Serine, Amelia, ٢٠١٦: ١٥). ويتمثل ذلك في أن شخصاً نجا من حادث تحطم طائرة قد يميل إلى الاعتقاد بأن معدلات كوارث الطيران أكبر من معدلات غيرها من الكوارث، وأن السفر بالطائرة أخطر من السفر بأي وسيلة أخرى، وإن كانت الإحصائيات تقطع بخطأ هذا الاعتقاد. فحين يسمح المرء لعقله أن يشيد تعميمات عريضة على أساس معلومات شحيحة أو أدلة هزيلة أو أمثلة قليلة أو عينة غير ممثلة، فلن يُعييه أن يُقيض أدلة لكل شيء، ويجد بينة لأي دعوى مهما بلغت من البطلان والسخف، ولن يُعجزه أن يؤيد أي شيء يميل إلى الاعتقاد به ما دام يعنيه الاعتقاد ولا تعنيه الحقيقة. لعل التعميم المتسرع من أكثر المغالطات شيوعاً، فهو يتبطن كثيراً من التحيزات (عادل مصطفى، ٢٠١٩: ٤٩).

ب- التفكير الثنائي: هو إدراك المواقف في شكل مطلق (أبيض - أسود). مثال لذلك: إذا كانت نتيجة موقف عكس ما يريدها الشخص يعتبر الموقف فاشلاً تماماً ونمط التفكير هذا يجعل الفرد يدرك ذاته والعالم بطريقة حادة متطرفة، فالأمور إما تكون جيدة جداً أو سيئة جداً، وبالتالي وجود مثل ذلك النمط من التفكير لدى الفرد يزيد من الضغوط لديه ويقلل من مرونته في التعامل مع المواقف. ذلك أن هذا النوع من التفكير يسمى بالتفكير المستقطب أو المطلق. ويفضل الأفراد الذين يتبنون هذا التفكير تقسيم الأشياء بطريقة ثنائية، حيث ينظرون إلى الأشياء والقضايا على أنها "جيدة أو سيئة" أو "الكل أو لا شيء".

ج- المقارنة مع الآخرين: يشعر الأفراد الذين لديهم هذا النوع من التشويه بالدونية بالمقارنة مع الآخرين بدلاً من الشعور بالتقييم العادل الصحيح حيث يقارن الأفراد أنفسهم بالآخرين، مثال أن يقول الفرد لنفسه أنا مختلف عنهم أو هم أفضل مستوى علمياً مني أو هم أنكى مني

د- التجريد الانتقائي: هو توجيه الفرد اهتمامه وانتباهه بشكل خاص لأحد التفاصيل السلبية، وينشغل بها بشكل كبير، حيث يتجاهل أي من التصورات الإيجابية الأخرى. إنه لا يرى الصورة بشكل واضح وكلي؛ لكنه يراها من جانب واحد حيث يركز على الجانب السيئ



والسلبي فيها. مثلاً المرأة الشابة التي تتلقى كثيرًا من التعليقات الإيجابية والمديح على طريقتها الجديدة في تصفيف شعرها، إلا أن صديقة واحدة لها عبرت عن عدم حبها لهذا الشكل. فهي تضع هذا التعليق داخلها لأيام وقد ترتدي قبعة.

هـ- التفكير الكارثي: هو توقع سلبي من جانب الفرد للمستقبل والاعتقاد في حدوث أشياء سوف تعود عليه بأمور سيئة، و يميل الفرد إلى الاستغراق وتدقيق النظر في الاحتمالات والنتائج الأسوأ للموقف. مثال ذلك المدير الناجح الذي هو بصدد عمل عرض للشركة فهو ينشغل كثيرًا بأفكار من قبيل سوف أقدم العرض بشكل سيء، سوف أتسبب في خسارة للشركة، وبالتالي سوف أفقد وظيفتي وأصبح عاطلاً.

و- الكمالية: وهي نظرة الشخص لنفسه بأنه على درجة عالية من الكفاءة والقدرة على إنجاز كل المهام وبدون أخطاء بدون أن يكون لديه الاستعداد لذلك.

ز- المبالغة: وتعني تقييم الشخص للأشياء والأحداث بطريقة مبالغ فيها، بحيث يعطي الشخص قيمة أكبر أو أقل نسبيًا للأحداث والمواقف تختلف عن تقييم الآخرين لهذه الأحداث والمواقف. ويميل الأفراد الذين لديهم هذا النوع من التشوه إلى تصغير أو تحقير أو عدم حساب أهمية لبعض الأحداث أو السمات أو الظروف، فهم عادةً ما يقللون من الخصائص الإيجابية لأعمالهم وإنجازاتهم، ويقللون من تقييمهم لذواتهم، ويكونون أقل وعيًا بتلك الأشياء التي لا علاقة لهم بها ويدركونها على اعتبار أنها أقل قيمة وجاذبية.

ح- المنطق العاطفي: وهو تفسير الشخص للأمور واتخاذ القرارات بناء على المشاعر وفقًا لما يفضله أو يرتاح له أو يرغبه (Ellis, 1997: 63). إذن يتم استخدام الحالة العاطفية والمشاعر في تكوين استنتاجات حول الذات والآخرين أو المؤسسات هو الغالب. مثال: "أشعر بالخوف من ذلك الذي يجري على الطائرة.. أعتقد أن الطيران خطير جدًا": 2005 (Carria, Y., 119).

ط- لوم الذات والآخرين: هو أن يلوم الإنسان نفسه على أحداث ومواقف حدثت وليس له ذنب فيها، ويحدث ذلك عند افتراض وجود دور له في الأحداث من دون دليل يدعم هذا الافتراض، أو يركز على أشخاص محددين باعتبارهم مصدر مشاعره السلبية، بالإضافة إلى رفضه تحمل المسؤولية في تغيير ذاته (محمد نجيب، 2019: 126؛ Ellis, 1997: 63). ويحدث أيضًا عندما تسير الأمور عكس ما يريده الشخص فيميل إلى التقليل والتحقير من نفسه وإظهار عيوبه ونواقصه. كما يميل إلى اتهام الآخرين ولومهم وإدانتهم؛ على سبيل المثال عندما يرسب الطالب في الامتحان، يرجع

ذلك إلى قسوة الأستاذ وغير ذلك ، من الواضح ان كثيرا من الاضطرابات النفسية والاستجابات الوجدانية والسلوكية تعتمد إلى حد كبير على وجود معتقدات فكرية خاطئة يبنها ويتبناها الشخص عن ذاته وعن البيئة المحيط به.

### صور التحيز فى تشكيل الإنطباعات

يؤدى تشكيل الإنطباعات عن الآخرين فى الغالب إلى أخطاء من التحيز فى الإنطباعات والأحكام عنهم ، وفى الأوقات التى لا يكون لدينا إلا القليل من المعلومات عن الشخص ، فإننا قد نجرى تصنيفا تلقائيا ودع الأمور كما هى. وفى أوقات أخرى يكون لدينا قدر كبير من المعلومات المتاحة يقابلها قدرة محدودة على معالجة هذه المعلومات. وقد تؤدى مصطلحات مثل الشح المعرفى Cognitivemiser عند استخدامها مع الموجهات المعرفية ، قد تؤدى غالبا إلى تشكيل انطباع متحيز.

وفى هذا الجزء سنلقى نظرة على ثلاثة أسباب رئيسية للتحيز : تأثير الأسبقية ، المعلومات الإيجابية والسلبية عن الشخص ، نبوءة تحقيق الذات.

#### ١- تأثير الأسبقية Primacy effect

يمكن أن يكون لترتيب تقديم المعلومات تأثير عميق على الانطباع اللاحق. ففى سلسلة من التجارب ، استخدم آش (1٩٤٦) ست سمات ليصف شخص مفترض للمشاركين فى التجارب بالنسبة لنصف المشاركين : تم وصف الشخص بأنه ذكى ، مجد ، انتقادى ، حسود ، أى تم البدء بالسمات الإيجابية أولا : وبالنسبة للنصف الآخر من المشاركين ، تم إعطاؤهم نفس هذه السمات ولكن بترتيب معكوس. وجد أنه تم تقييم الشخص بصورة ايجابية من قبل المشاركين الذين تلقوا السمات الإيجابية أولا ، وهذا دليل قوى على تأثير الأسبقية. (ممدوح سلامة ، ١٩٩٤) وهناك سببان رئيسيان لتأثير الأسبقية. الأول هو فرضية تناقص الانتباه. يميل الأفراد إلى الاعتقاد بأنهم يشكلون انطباعا دقيقا عن الشخص ، ومن ثم لا يولون انتباههم للمعلومات التالية المناقضة لهذا الإنطباع. وقد وجد بلمور Belmore (١٩٧٨) أنه عندما يطلب من الأشخاص قراءة سلسلة من العبارات عن شخص ما ، فإنهم

يستغرقون وقتا أقل كلما تابعوا القراءة من القائمة ، وعلى هذا ، فإنهم يعطون انتباها أكبر للمادة التي تظهر فى البداية. والسبب الثانى لتأثير الأسبقية هو أنه ما دام الشخص قد كون انطباعه ، فإن كل المعلومات الأخرى غير المتسقة مع هذا الانطباع تفسر فى ضوء الإنطباع. ويمكن تفسيره على أنه احترام للذات ، ولكن إذا كان الانطباع سلبيا. فقد يعنى الغرور ( Brehm Kasin\* . وقد أوضح لوشينز Luchins (١٩٥٧) تأثير كل من الأسبقية والحدائة (الجدة) recency فى دراسة لاسيكية عن تشكيل الإنطباع. ويأتى تأثير الحدائة عندما يكون للمعلومات امقدمة أخيرا تأثيرا أقوى فى تكوين الإنطباع. قدم لوشينز للمشاركين فى تجربته وصفين اثنين لشخص كل وصف مكون من فقرة واحدة. إحدى الفقرتين تصور الشخص - جيم Jim - على أنه انبساطى ، والأخرى على أنه انطوائى ، هكذا.

فقرة الانبساطى : غادر جيم المنزل قاصدا مكتبة لبيع الأدوات المدرسية. سار فى الشارع مع اثنين من أصدقائه يستدفئ بأشعة الشمس. دخل جيم المكتبة التى كات مليئة بالناس. تحدث جيم مع أحد معارفه بينما ينتظر أن يفرغ له البائع. ثم توقف - بعد أن كان البائع على وشك أن يحضر له ما يريد - ليتحدث مع زميل له فى المدرسة دخل للتو إلى المكتبة. وبعد أن غادر المكتبة ، سار نحو المدرسة. وفى طريقة قابل فتاة كان عرفها به أحد زملائه الليلة السابقة. تحدثا معا لفترة ، ثم تركها جيم متوجها إلى المدرسة.

فقرة الانطوائى : بعد حلول موعد انتهاء الدراسة غادر جيم الفصل بمفرده ، وسار لفترة طويلة قاصدا المنزل. وكان الشارع مضيئا مليئا بأشعة الشمس. سار جيم فى جانب الشارع الذى به ظل. وخلال سيره ، رأى فتاة جميلة قابلها مساء أمس. قطع جيم الشارع ودخل محلا للحلوى. كان المحل غاصا بالطلبة ، ولكنه لم ير سوى عدة وجوه مألوفة له. انتظر جيم بهدوء حتى تفرغ له البائع ثم أعطاه طلبه. أخذ مشروبه وجلس على منضدة. وبعد أن فرغ من شرابه ، توجه للمنزل.

وبدلا من التزويد بتقديرات عن الأوصاف ، طُلب من المشاركين أن يذكروا إن كانوا يحبون جيم وإن كانوا يرغبون فى التحدث معه. وطلب لوشينز كذلك من المشاركين أن يتخيلوا ما سيفعله جيم فى الموقف التالى : كان جيم ينتظر دوره فى محل الحلابة. نظر الحلاق إليه ليسمح لزبون آخر أن يتقدم ليأخذ دوره مع أنه قد وصل للتو. ماذا فعل جيم ؟

كشفت لوشينز أن تأثير الأسبقية يحدث عندما تقرأ الفقرتان الواحدة بعد الأخرى بدون أى فاصل زمني ، ولكن تأثير الحداثة يأتي عندما يكون هناك فاصل زمني بين قراءة الفقرتين ، ويتم شغل وقت التأخر هذا بمهمة مشتتة للانتباه (قراءة قصة كوميدية مثلا) (Pennington et al., ١٩٩٩, PP. ١٣٧-١٣٨)

## ٢ المعلومات الإيجابية والسلبية

المعلومات السلبية عن شخص ما أو وجود سمات سلبية لديه تميل إلى أن تأخذ أهمية في تشكيل الانطباع أكبر من أهمية المعلومات الإيجابية. ومن المهم كذلك أنه إذا تشكل الانطباع السلبي ، فمن غير المحتمل أن يتغير حتى في ضوء معلومات جديدة إيجابية.

وفي مراجعة لتفسيرات ذلك ، يعتقد سكرونسكى وكارلستون Carlston&Skouronski (١٩٨٩) أن المعلومات السلبية مميزة ومعتادة تشد الانتباه أكثر في المواقف التي نود - إجمالاً - أن نفترض حسن النية في الناس وبصورة بديلة ، ثد يتمثل الأمر في أن المعلومات السلبية تميل إلى أن تكون إشارة على ظهور محتمل ، لهذا نكون على وعى بقيمتها البقائية لنا. ومع ذلك ، يمكن أن يكون لها متضمنات مهمة جدا بالنسبة لحكم الشخص ، كما سنرى في الجزء التالي.

### ٣- نبوءة تحقيق الذات

إن نبوءة تحقيق الذات هي العملية التي بمقتضاها نجعل الشخص يتصرف بطرق تثبت في النهاية توقعاتنا عنه. فقد أجرى روزنتال وجاكبسون Jacobson&Rosental (١٩٦٨) دراسة على جانب كبير من الأهمية ، في الفصل. أخبر المدرسون في مدرسة سان فرانسيسكو بأن عشرين (٢٠) تلميذا في فصولهم لديهم طفرة في النمو العقلي (المزدهرون). وذكر المجربون نسب الذكاء ، ولكن الواقع أنه تم اختيار العشرين تلميذا هؤلاء بصورة عشوائية. وعلى الفور قام المدرسون بتقدير المجموعتين من التلاميذ بصورة مختلفة ، حيث تم اعتبار غير المزدهرين أقل حبا للإطلاع وأقل اهتماما وأقل سعادة من المزدهرين. وقد أظهرت نتائج نسب الذكاء على مدار سنتين اثنتين درجات أعلى بصورة دالة للتلاميذ الذين تم تحديدهم على أنهم مزدهرون. ومتضمنات هذا البحث تتمثل في أن توقعات المدرس الإيجابية تؤثر في أداء التلميذ ، وتسبب بعض القلق. ويمكن توجيه الإنعقاد لهذا البحث لأنه لو كان هذا كذلك ، فإن توقعات المدرسين السلبية عن التلاميذ يمكن أن تؤثر بالمثل على أداء التلاميذ سلبيا.

(Pennington, et al., ١٩٩٩, P. ١٣٨). وبينما قد يقال إن البحث الأصلي قد عفا عليه الزمن ، فإن روزنتال Rosental (١٩٨٥) وجد بعد تحليل أكثر من أربعمائة (٤٠٠) تجربة مصممة لاختبار صحة الغرض الأصلي أنه في ٣٦% من الحالات أثرت توقعات المدرس بصورة دالة على أداء الطالب. وقد اتضح أن التأثير عمل في سياقات غير السياق التعليمي.

فمثلا باستخدام نفس النموذج paradigm : جند ايدن Eden (١٩٩٠) ٢٩ فصيلة من الجنود الإسرائيليين ، تشكل ما مجموعه أكثر من ألف (١٠٠٠) رجل. أجبر بعض قادة الفصائل أن يتوقعوا أن يحصل أفراد مجموعتين على درجات أعلى من المجموعات الأخرى في التدريب ، بينما لديهم في الواقع قدرة متوسطة. وبعد عشرة (١٠) أسابيع ، تم تقييم أداء كل المتدربين ، وحصل أولئك الذين تم تحديدهم بتوقع مرتفع على درجات أعلى في الامتحانات التحريرية وفي اختبار العمليات الحربية.

وقد زدنا بريم وماش Kassin&Brehm (١٩٩٦) بتفسير بسيط بسبب وكيفية تحويل الناس التوقعات إلى حقيقة. ومع ذلك ، ورغم الإقرار بهذه التأثيرات ، فهي ليست تلقائية. فعندما يكون لدى القائمين بالإدراك دافعية عالية لاكتشاف ما هو عليه الشخص في الواقع ، في حالة - مثلا - أنهم يعرفون أن الشخص مهم لهم ، فإنهم يختبرونه بعمق وغالبا ما يفشلون في إثبات النبوءة.

كذلك ، عندما يوجد تفاوت في القوة بين القائم بالإدراك و الشخص المستهدف ، فإن الذين في موقف قوة أقل أو المرؤوسين لا يثبتون التوقعات لأنهم مدفوعون أكثر لتقديم أنفسهم بطريقة تجعلهم محبوبين ( Copeland, ١٩٩٤ ) والقييد الثالث يتمثل عندما تتصادم توقعات القائم بالإدراك مع مفهوم الذات للشخص المستهدف.

## الفصل الثالث

### الاتصال غير اللفظي

مقدمة

الاتصال في عالم الحيوان.

السلوك غير اللفظي.

النوع والقضايا الثقافية المرتبطة بالسلوك غير اللفظي.

وظائف السلوك غير اللفظي.

تفاعل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية في المحادثة.

الاتصال اللفظي والتساؤل.

التفاعل بين المتخصص في المجال الصحي وعميله

## الاتصال غير اللفظي

### مقدمة :

اللغة أحد العوامل الرئيسية المؤسسة لأي مجتمع، لأنها أهم الوسائل التواصلية بين الأفراد والجماعات، على الصعيدين المباشر منها وغير المباشر، وتتنوع المواقف الاتصالية؛ كالشعائر الدينية، المقطوعات الموسيقية، القصائد الشعرية، الإعلانات التجارية أو الفنية، أو السياسية وغيرها، نشرة الأخبار، المحادثة بين الطرفين، الصور المتحركة، النكتة أو الفكاهة، إشارات المرور، دستور الدولة وقوانينها الخ.... واللغة ما هي إلا نظام من العلامات الصوتية، ينشأ ويتطور مرتبطاً بتاريخ الناطقين بها ، ويستخدم وسيلة تواصل ووسيطاً للتفكير ومجالاً للتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر.

العلاقة بين اللغة والاتصال علاقة وثيقة أدركها علماء العربية منذ القدم، وكتفي بما قاله "ابن جني" في خصائصه: " إن اللغة أصوات يعبر بها القوم عن حاجاتهم، وأغراضهم"، الأمر الذي نستدل منه على مقومات اللغة وطبيعتها، وأهميتها، ووظيفتها الاجتماعية الاتصالية. والمقصود باستخدام اللغة في التواصل هو "عملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات ويظهر هذا التواصل اللغوي على شكل عبارات أو تعابير شفوية أو كتابية تتبادلها الأطراف في موقف معين لغرض معين عن واقعة معينة". وتعتبر اللغة أرقى أنواع الاتصال البشري بكافة صوره وأشكاله، ولكنه لا يعني أبداً؛ أن اللغة والاتصال مترادفان. فالمضمون اللغوي أهم العناصر الأساسية التي تقوم عليها عملية الاتصال والتواصل باللغة وهو المعنى المراد توصيله للآخرين، والمقصود بالتعبير عنه كأحد المهام الرئيسة المنوط بها لأي لغة بشرية والتي بها تحقق أهم وظائف اللغة المنتظرة، وهي التخاطب بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة. وعبر الاتصال الجماهيري لا نرى مصدر الاتصال وجهاً لوجه، ويعتبر التحرير الإعلامي صلبه ومنطلقه، ولا يمكننا تمييز الرسالة الإعلامية عن غيرها من الرسائل الأخرى، من حيث الفهم أو الرفض إلا عن طريق النتائج المتوقعة، أو ردود الأفعال التي يمكن تقديرها .

واللغة قد تكون غير مباشرة، تنتقل عبر أجهزة الإعلام التي تقوم بنقل المعلومات، والقيم بين المرسل والمستقبل. وأن هذه بعكس حال الاتصال الشخصي المباشر بين طرفي الاتصال. وأن اللغة الجديدة تصل إلى الجماهيرية العريضة MASSES، لاسيما في عصر الفضائيات، والأقمار الصناعية. وأن الاتصال يتم بسرعة مذهلة، بل وأثناء الحدث (الإخباري) مثلاً. وأن القائم بالاتصال يضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجه إليه رسالته، ولكن هذه المتوسطات متعددة. ومما سبق نخلص إلى أن اللغة اللفظية ومضمونها يتبلور في عدد من الخصائص المشتركة:

أولاً- إن المفردات ( المضمون الثقافي الصادر عبر الوسائط الإعلامية ) في المواقف السابقة تنتجها الكائنات الإنسانية، بهدف تشكيل السلوك الإنساني أو لتوجيهه في اتجاه معين، أو إقامة نوع ما من العلاقة لمُنْتَج هذا الموقف (المنبه) وبين المستجيبين له.

ثانياً- إن الاستجابة تجاه كل مفردة مما سبق من المواقف تختلف تبعاً لاختلاف المفردة اللغوية ذاتها

ثالثاً- إن هذه المفردات توجد علاقة خاصة بين المنتجين لها وبين المستجيبين لها، علماً بأن هذه العلاقة ليست علاقة آلية.

رابعاً- إن هناك اختلاف بين درجات الاستجابة التي يثيرها المنبه أو الموقف الاتصالي؛ فإشارات المرور بخلاف المقطوعة الموسيقية أو الشعرية، أو الإعلان، أو... الخ.

فقد بلغ التواصل البشري أقصى مدى له في العصر الحالي، لما ينم عن تفجر التكنولوجيا، والمعلومات، وما يمكن أن تؤديه رسائل الأجهزة الإعلامية لاسيما المنطوقة منها، من تأثير فكري، وشعوري، وانعكاس ذلك على السلوك البشري، لاسيما في مجال الدعاية والإعلان حيث يلجأ العاملون فيه لاستغلال الكلمة، بل كل الوسائل اللغوية الممكنة في الترويج، والإقناع للقراء والمستمعين للإقبال على البضائع التجارية، واقتنائها، وما زال السياسيون يتنبهون يوماً بعد يوم إلى قوة تأثير الكلمة وسلطانها على النفوس البشرية. إننا نقضى كثيراً من حياتنا الاجتماعية نتفاعل وجهاً لوجه أو مع شخص أو مع مجموعة صغيرة من الناس ويحدث هذا من خلال كل من اللغة المنطوقة والاتصال غير اللفظي.



ويمكن تعريف الاتصال اللفظي بأنه الكلمات المنطوقة، بينما يشمل الاتصال غير اللفظي كلاً من السلوك الصوتي وغير الصوتي ويشير السلوك الصوتي vocal إلى جوانب من الكلام من قبيل ارتفاع وانخفاض الصوت ونغم الصوت Pitch السرعة والثأثة. أما السلوك غير اللفظي فيشمل السلوكيات التواصلية الأخرى مثل التلامس الفيزيقي (اللمس)، لغة الجسد، الإيماء والتعبيرات الوجهية، الحيز الشخصي، المظهر والعوامل البيئية أنظر شكل ٣-١). (Hargie et al., ١٩٩٤)

يمكننا اعتبار أن هذين النمطين من الاتصال يفيدان في وظائف مختلفة. رغم ذلك فمن الأهمية بمكان أن نأخذ في الحسبان أن الاتصال غير اللفظي يمكن أن يكون بديلاً للغة، وأفضل مثال على ذلك هو لغة الإشارة التي يستخدمها الصم. ومن الناحية الوظيفية، يستخدم الاتصال اللفظي. في شكل لغة لإيصال الأفكار المنطقية أو المجردة، بينما يعيد الاتصال غير اللفظي في مدى متسع من الوظائف (Hazrgie, et al., ١٩٩٤)

وقد أكدت البحوث المبكرة على السلوكيات غير اللفظية الى التركيز على "قنوات" الاتصال في العزلة. ينظر إلى كل نمط مختلف من السلوك غير اللفظي - مثل التقاء العين والتقارب المكاني واللمس .... الخ - على أنه قناة مختلفة، تماماً مثل قنوات التلفزيون. إلا أن البحوث الأحدث قد ابتكرت منحى عبر القنوات، ذلك المنحى الذى يجعل من الممكن تحديد الوظائف التى تفيد فيها أنماط مختلفة من السلوك غير اللفظي (Paterson, ١٩٩٠). وقد تم تحديد ثلاث وظائف أساسية للسلوك غير اللفظي بصورة مبدئية من قبل الباحثين فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين هى:

(أ) تزويد الآخر (أو الآخرين) بالمعلومات.

(ب) تنظيم التفاعل بين اثنين أو أكثر من الناس.

(ج) التعبير عن الحميمية وخاصة فى مواقف الحب والغرام.

وحديثاً أقترح باترسون Patterson (١٩٨٧) أربع فئات إضافية، تضم: الضبط

الاجتماعى أى حدوث تأثير فى الطرف الآخر المتفاعل، تمثيل الذات self - presentation أى

خلق كيان وهوية مرغوب فيها. معالجة الأثر effect - management، حيث يتم تنظيم وتعديل

الخبرة، فمثلاً ردود الفعل السلبية قد تتضح بأساليب التجنب وتقليص النظر. أما الوظيفة الإضافية الرابعة فهي وظيفة خدمة المهمة Service Task التي ترتب بصور التبادل مع المتخصصين مثل الأطباء وأطباء الأسنان، حيث توجد مستويات عالية من التواصل..

ومن الصعب أحياناً - رغم أنه يكون يسيراً في أحيان أخرى - إيصال تفاعل دقيق بالهاتف، أو من خلال شخص يرتدى نظارة سوداء ، والسبب في هذا هو نقص التغذية المرتجعة البصرية لسلوك الشخص الآخر. وتعكس البحوث هذه الصعوبة في إجراء تمييز وظيفي بين السلوكيات اللفظية وغير اللفظية، وتميل تلك البحوث إلى التركيز على العلاقة بينهما. (Cappella &

Palmer, ١٩٩٠)

وسوف نبدأ بمناقشة متعلقة بالدرجة التي تعتبر بها السلوكيات غير اللفظية ضرورية للاتصال وإذن فمن الملائم تحديد القنوات الرئيسية أو أنماط السلوك غير اللفظي باختصار قبل النظر بمزيد من التفصيل إلى المنحى الوظيفي. وسيتم تناول قضية النوع (ذكر / أنثى) والقضايا الثقافية ذات الصلة بكل من السلوكيات اللفظية وغير اللفظية. ويستمر هذا الفصل في مناقشة كيف تتفاعل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية مع المحادثة في علاقتهما بصورة المقاطعة ومعالجة الخلفية والخداع والتأدب والمكاشفة الذاتية. وأخيراً، سيجرى تطبيق لبعض هذا العمل على التفاعل بين المعالج والمريض .

## ٢- الاتصال في عالم الحيوان

لقد افترض تشارلز دارون وجود بعض جوانب من السلوك غير اللفظي الانساني عبر الثقافات، وأنها قد توازي ما هو موجود في المملكة الحيوانية.

وقد اقترح دارون أنه توجد ست تعبيرات انفعالية عامة تظهر على الوجه الانساني هي: السعادة، الدهشة، الغضب، الخوف، الاشمئزاز، الحزن، وتعرض الرئيسات ما دون الإنسان على سبيل المثال - سلوكيات غير صوتيه مفصلة ومعقدة ترتبط بمناطق النفوذ والرفقة وهم الهيمنة. فمناطق النفوذ يمكن أن تكون قريبة الشبه بفكرة الحيز الشخصي لدى البشر الذي سنتناوله لاحقاً في هذا الفصل.

ويدعي فان هوف Van Hooff (١٩٦٧) الذى تتبع المغزى النشوى الارتقائى للابتسام والضحك لدى البشر أن غالبية الرئيسات تعرض أسنان بادية وفم مفتوح مرتخ" تماماً كما يبدو البشر وهم يضحكون (In : Peinnigton, et al, P. ١٧٩).

وقد يمثل الفرق الجدير بالأهمية بين البشر والحيوانات فى اللغة التى نمتلكها. فاللغة تسمح لنا بالتفكير والكلام والكتابة عما نراه ونشعره ونتخيله لى نتمثل العالم الذى نحيا ونتفاعل مع الآخرين. وتملك الحيوانات - بخلاف الإنسان - نظم اتصال ولكنها ليست مفصلة أو متطورة أو مكتسبة فى جزئها الأعظم (Hockett, ١٩٦٠).

وبين اللافقرات، يبرز رقص نحلة العسل - الذى كان أول من وصفه فون فريش Von Frisch (١٩٥٤) كنظام مفصل لتوصيل المعلومات عن الاتجاه والمسافة الخاصة بمكان الرحيق أو حبوب اللقاح لأفراد النحل الآخرين

هذه النظرة السريعة على مثالين للكائنات غير البشرية توضح كيف أن السلوك غير الصوتى يمكن أن يعمل كوسيلة للاتصال، وربما يكون وراثياً كمحصلة للنشوء والارتقاء. إن صور التشابه بين الكائنات غير البشرية وخاصة الرئيسات والسلوك الإنسانى غير الصوتى موجودة والآن ننقل إلى موضوع السلوك الإنسانى غير اللفظى وغير الصوتى.

### ٣- السلوك غير اللفظى

لقد أوصت البحوث فى مجال علم اللغة بأن التفاعل بين شخصين يستلزم وجود ثلاثة جوانب مرسل، الرسالة، متلقي (أو مترجم) الرسالة (Weiner, et al, ١٩٧٢). فأحد الأشخاص (المرسل) يقوم بتوصيل الرسالة من خلال نظام (الشفرة) الذى يفهمه كلا الطرفين بصورة متبادلة، وهذا ما يفسره الشخص الثانى (المستقبل أو متلقى الرسالة). وقد افترض الباحثون الأول فى هذا المجال أن هذه العملية تتشابه مع الاتصال غير اللفظى. إلا أن ريدلى Radley (١٩٩٦) اعتبر أن مثل هذا السلوك ضيق ومحدود جداً، ويزعم أن أغلب الدراسات فى الميدان قد تركزت فقط على تفسير السلوك من جانب المتلقى وقد نتج عن هذا بعض الغموض فى تفسير نوايا

ومقاصد المرسل تلك النوايا غير الواضحة دائماً، بل وغائبة في بعض الحالات. والرسائل الشفرية codes غير اللفظية لم تعرف جيداً، وقد برزت كمعايير اجتماعية وثقافية مشتركة، وملازمة لها بصورة ضمنية في العادة. وقد تكون إحدى أفضل الطرق للوعى بمثل هذه "القواعد المدونة" هي كسرهما أو التعرف بطرق غير متوقعة من جانب الآخرين في موقف ما. فمثلاً، إذا ركبت أتوبيساً خالياً تقريباً ورأيت شخصاً يجلس في مقعد مزدوج مع وجود الكثير من المقاعد المزدوجة الخالية اجلس بجانب هذا الرجل الوحيد في الأتوبيس!

حدد بوسنر Posner (١٩٨٩) ثلاثة أنواع من السلوك غير اللفظي، هي الاتصال، المعنى أو المغزويالتيبين indication. وقد اقترح بوسنر أن أى تفاعل تام يتضمن المرسل والرسالة والعلامة sign والمتلقى. ويمكن تحديد اللغة المنطوقة في هذا السياق بأن المرسل والمتلقى يشتركان في نظام شفرة أو إشارة. رغم ذلك، فإن السلوك غير اللفظي لا يتوافق دائماً مع هذه المحطات، كما سنرى في موضع لاحق من هذا الفصل. ويأتى المعنى signification عندما يستخدم النظام الشفرى الإشارات التى تطلقها الحركة أو التعبير وليس بالضرورة أن يكون لدى الشخص النية لإرسال رسالة بسلوكه غير اللفظي ولكن يقوم المتلقي بتفسيرها باستخدام النظام الشفرى المشترك. وحتى عندما يحاول الآخرون إخفاء الانفعالات أو الاتجاهات، يمكن أن تتسرب" من خلال القنوات غير اللفظية، التى ليست هى دائماً تحت سيطرة الفرد (De Paulo, ١٩٩٢). أما التبين فيأتى عندما لا يتم إدراك الإيماء أو التعبير ضمن النظام الشفرى. وقد تستخدم مختلف التلميحات والأوضاع والجسمية والتعبيرات لإيصال انطباع محدد ولكن بدون نظام شفرى مشترك، ومن غير المحتمل أن يكون له أى تأثير فى المتلقى. وعلى ذلك، فمصطلح السلوك غير اللفظي سوف يستخدم خلال هذا الفصل بدلاً الاتصال غير اللفظي.

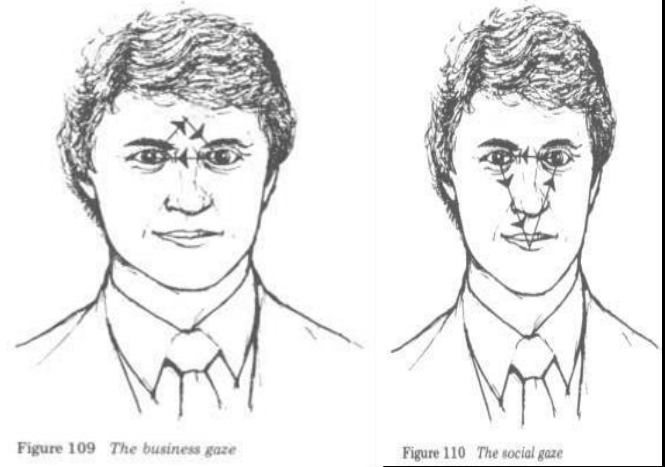
ومن الملائم تحديد القنوات غير اللفظية الرئيسية، ولكن من الأهمية بمكان تذكر أنه من النادر وجود قناة بمعزل عن الباقية. ومن المهم كذلك الاعتراف بأن بعض الإشارات cues غير اللفظية أكثر بروزاً وإعطاء للمعلومات من الأخريات. فمثلاً فى التفاعل اليومي الطبيعي نحن أكثر احتمالاً لأن نقض وقتاً فى النظر إلى منطقة الوجه لشخص ما وخاصة العينين أكثر من النظر إلى قدميه! كما يحدد السياق وطبيعة التفاعل الإشارات التى قد تدفع إلى الانتباه. فمثلاً،

لا تسمح المحادثات الهاتفية إلا باستخدام إشارات لغوية متوازية، لهذا ينصرف الانتباه إلى نغمة الصوت، وهذه ترتبط من ثم بوقت المحادثة و صور التوقف اللحظى فيها.

#### اساليب الاتصال غير اللفظى

##### ١- النظرة والتقاء العيون:

غالباً ما يتم اعتبار النظرة وإلتقاء العين من الأنماط ذات الأهمية فى الاتصال غير اللفظى. ويمكن تعريف النظرة gaze بأنها تحدث عندما ينظر المرء إلى آخر فى منطقة العينين، سواء كان الشخص الآخر يلتفت إليه أم لا. ويحدث إلتقاء العين eye Contact عندما ينظر كلا الشخصان بصورة متبادلة إلى منطقة العينين. وهذا يمكن من تلقى الشخص الآخر العلامات غير اللفظية - وخاصة التعبيرات الوجهية وتصل إليه الرسالة (Argyle, ١٩٩٤). ويمكن تفسير (أول شفرة) المستوى العالى من إلتقاء العيون على أنه علامة على الحب أو الحميمية (Kleinke, et al ١٩٨٦). والنظرة المستمرة - التى قد تحدث بصرف النظر عما نفعله أو نريده، يمكن تعريفها "تحديق بارد" ، ويتم تفسيرها غالباً لحاجة إلى الهيمنة. وقد وجد دوفيديو وزملاؤه Dovidio, etal. (١٩٩٨) أن معدل إلتقاء العين يرتبط بالمكانة والهيمنة. وفى سلسلة من الدراسات التى تبحث العلاقة بين الهيمنة البصرية والقوة الاجتماعية، وجد دوفيديو وزملائه أن الناس المهيمنين - بصورة عامة - ينظرون وهم يتحدثون، بينما ينظر الناس من ذوى المكانة المنخفضة أكثر وهم يستمعون. ويستخدم النظر وإلتقاء العيون كذلك فى الحديث المتزامن - وخاصة فى توزيع حق الكلام - أى عندما يأخذ الشخص حق الكلام. ومن ثم يتكلم..



## ٢- - التعبيرات الوجهية

نظراً لأن - التعبيرات الوجهية لغة عالمية فان تعبيرات معينة تكون سهلة الإدراك كعلامات على انفعالات محددة (Russell, ١٩٩٦ & Carroll). وفي التفاعل اليومي، نرصد بصورة مستمرة الحالة الانفعالية وردود أفعال الآخرين. وقد وجد أن الحالات الأساسية التي يكمن التعرف عليها على المستوى العالمي، وهي السعادة، الخوف، الدهشة، الحزن، الغضب، الإشمئزاز (Ekan, et al., ١٩٨٧). وقد فرقت الدراسات التالية بين الإشمئزاز والازدراء والأخيرة وجد انها عالية كذلك (Izard, ١٩٩٤). ومع ذلك، فكثير من هذه الأبحاث كان تجريبياً ومعملياً يقوم على ظروف تجريبية صارمة الضبط. وقد انتقد كارول وراسل Russell & Carroll (١٩٩٦) هذا النمط من البحوث باعتباره مفرط التبسيط، حيث أنه أخفق إخفاقاً في تحديد السياقات الموقفية. وفي السياق التجويبي التقليدي، يستقبل القائم بالملاحظة صورة فوتوغرافية للتعبير الوجهي بالتوازي على الموقف الذي يتم وصفه لفظياً. ومن ثم يطلب من القائم بالملاحظة الاختيار من بين قائمة معدة سلفاً للإنفعالات المحتملة، تلك القائمة التي يختارها الباحث. وهذا الوضع يخلق طريقة الاختيار المقيد ويستبعد المعنى النوعي لذلك التعبير بالنسبة للقائم بالملاحظة في علاقته بالموقف. وقد اعترف كارول وراسل بأن التجارب المعملية لديها القدرة على الاستبصار بما يمكن أن يحدث، ولكنها في حاجة إلى أن تكون مكتملة للدراسات التي

توضح ما يحدث فعليا فى الحياة اليومية للمبحوثين. وقد أجريت محاولة لتحديد الدلائل على طريقة الاختيار المقيد فى دراسة حديثة أجراها روزنبرج وإيتمان Echman&Rorenlery (١٩٩٤) فقد طلبا من المشتركين فى الدراسة أن ينظروا إلى شرائح عليها صور لغرباء يظهرون مختلف العبيرات الوجهية. وبعد ذلك طلب من المشتركين أن يحددوا نوع التعبيرات على النحو لتالى: (أ) إختيار واحد من سبع مسميات زودها بهم الباحث (ب) أحد سبع قصص تم تزويدهم بها كذلك (ج) إعطاء وصف من عندهم للإنفعالات الذى رأوه. وجدت عالية من الدقة، بصرف النظر عن الأحكام التى صدرت.

و تشير البحوث المبكرة إلى إعطاء الانطباع بأن التعبيرات الوجهية للناس هى ببساطة "كتب مفتوحة يمكن قراءتها". وهذا خطأ لأن القيود والمعايير الاجتماعية تعمل على تنظيم التعبير الانفعالى. فمثلاً، تعتبر الأعراف الاجتماعية أنه من غير المناسب أن يبكى الرجال على ملاً. وبصورة متشابهة، قد تكون متضايقاً من التحدث إلى شخص ما، فمن غير المحتمل أن تعبر عن هذا الشعور - سواء لفظياً أو بصورة - وستنتظر الإشارة المناسبة فى الموقف لإنهاء التفاعل بطريقة مهذبة.

### ٣- لغة الجسم

لغة الجسم هو مصطلح عام يضم السلوكيات غير اللفظية مثل اللمس، اتجاه الجسم، وضعه، حركات اليدين وإيماءات الرأس. ويعتمد كيفية تفسير اللمس على سياق وطبيعة العلاقة بين الطرفين. وقد قام جونز و ياربرو Yarlrough&Jones (١٩٨٥) بتحليل ١٥٠٠ إتصلاً جسمىاً بين الناس وحدد خمس فئات متميزة. و تشمل المشاعر affect الإيجابية، والتى يأتى فى أقصى طرقها الإهتمام الجنسى ذى المغزى، اللعب والضبط (السيطرة) والسلوكيات الطقوسية والمرتبطة بها والأخيرة متعلقة بالوظيفة المهنية، مثلاً عند قياس النبض أو أى فحوص أخرى ضرورية خلال الاستشارة الطبية وقد أضاف بورجون وزملاءؤه Burgoon, et al. (١٩٩٥) فئتين إضافيين هى: الشعور السلبي، الذى يشمل الدفع الخفيف والإزعاج، والإحتكاك العدوانى مثل الصفع والركل والدفع العنيف، ويلخص جدول ١ هذه الفئات ويعطى أمثلة عليها.

جدول ١- فئات اللمس التي أقرحتها كل من Yarbrough&Jones (١٩٨٥) وبورجون وزملاؤه  
Burgoon, etal . (١٩٩٥).

الفئات	أمثلة على السلوك
المشاعر الإيجابية	التربيت باليد على وجه شخص آخر
المرح واللعب	التلامس الجسدى فى اللعب
السيطرة	تقييد شخص من يديه
السلوك الطقوسى	تقبيل يد رجل الدين
السلوك المرتبط بالمهمة	عند قياس الطبيب نبض المريض
المشاعر السلبية	دفع شخص ما بعيد باليد
الاحتكاك العدوانى	لكم شخص ما فى أنفه

ويمكن مناقشة وضع Posture الجسم فى علاقته بوظائفه. وهذه تشمل الأوضاع المتميزة بين المتفاعلين، والاتجاه الإيجابى أو السلبى والمستوى الانفعالى للتفاعل والإقناع ( Hargie, et al., ١٩٩٤). فمثلاً، فى وضع وقفة الشخص ذى المكانة الاجتماعية الراقية يقف فى حالة ارتخاء ويضع يده فى جيبه غالباً، بينما يكون للشخص ذى المكانة الاجتماعية الاقل وضعاً أكثر جموداً وأستقامة. يمكن إيصال الاتجاه الإيجابى نحو الشخص وموضوع المحادثة بالميل إلى الأمام بدلاً من الميل إلى الخلف. وقد لوحظ مبكراً أن التعبير الوجهى يوضح انفعالات معينة ولكن وضع الجسم يقوم بتوصيل شدة ذلك الانفعال. فمثلاً، وجد فيش وزملاءه (Fisch, et al. ١٩٨٣) أن وضع الجسم مؤثر ذو مغزى عند التفريق بين المرضى شديدي الاكتئاب وأولئك الذين يتماثلون للشفاء خلال المقابلات مع الطبيب.

ويمكن تمييز الإيماءات gestures وظيفياً بتلك التى ترتبط بكلام والإيضاحات وتلك الموجهة نحو الذات ( Rime, ١٩٩١&Feldman ). ويقصد من الإيضاحات الاتصال، بينما قد تفسر الإيماءات الموجهة للشخص الآخر على أنها علامة على التوتر أو التحرر من التوتر. فمثلاً، تحريك يديك مع عصرها هى علامات على كل من العصبية والقلق. وقد لاحظ هاريجان وزملاؤه (Harrugan etal ١٩٩١) أنه كلما زاد عدد السلوكيات الصادرة عن جزء من الجسم التى



تتلاقى مع بعضها، كلما دل ذلك على مستوى مرتفع من الإستثارة أو العصبية التي يشعر بها الشخص، مثل تدليك الأذن بإستمرار بين الإبهام والسبابة.

أما الظاهرة المثيرة التي كشف عنها عدد من الباحثين فهي الإنسجام الوصفى Posturacl congruence (Bull, ١٩٨٣). ويتم هذا عندما يعرض طرفاً التفاعل نفس الوضع فى نفس الوقت وكأن أحدهما إنعكاساً فى المرآه لآخر. وقد أقرح الباحثون أن ذلك محمل الحدوث الإيجابى ويساعد فى إقرار صلة وئام بين الشخصين. ويمكن لوضع الجسم المتزامن والحركات المتزامنة أن تأخذ الصيغة الوظيفية أيضاً. فقد أجرى لين ومينير Mynier&Lynn (١٩٩٣) تجربة ميدانية فى المطاعم وبمقتضى التجربة اتفقا مع النادلين والنادلات أن يأخذوا إما وضع القائم او الجالس قرب العملاء عند تلقيهم للأوامر من العملاء. وفى حال الجلوس يكون إلتفاء العين أكثر احتمالاً لمدة أطول ، ولهذا وضع الباحثان فرضاً مؤداه أن الذين يتخذون هذا الوضع سيحصلون على بقشيش أكثر. وقد أكدت النتائج ذلك بصرف النظر عن كون الخادم ذكراً أو أنثى. رغم ذلك، فالفرق العام بين الجنسين كان واضحاً ومؤداه أن الخدم (الذكور) تلقوا بقشيشاً أكثر من الخادمات (الإناث).

وتحدث حركات (إيماءات) الرأس بصورة متكررة عندما ينهمك شخصان فى محادثة، وهى تفيد كتغذية مرتجة للمتحدث، وتوضح على سبيل المثال ما قد فهمه الشخص الآخر أو وافق عليه، كما أن هذه الحركات تعطى تدعيماً للمتحدث ان يستمر. ويمكن أن تستخدم حركات الرأس كذلك لتوضح للمستمع أن الدور قد جاء عليه ليتحدث.

#### ٤- الحيز الشخصى

يشار إلى دراسة الحيز الشخصى غالباً بأنها دراسة التقارب Proxemics إنه المجال ذو الحدود غير المتطورة التى تحيط بجسم الشخص حيث يصعب على المتطفلين تجاوزه. والمتغير الحاسم هو ما يفسر على أنه تطفل، حيث يحدد هذا ما إذا كما نشعر بأن حيزنا الشخصى قد انتهك. وفى دراسة مبكرة أجراها هول Hall (١٩٩٦) ، اتضح أن المسافة بين المتفاعلين يمكن تصنيفها فى أربع مناطق رئيسية، وهذا يعتمد على طبيعة العلاقة والغرض من التفاعل . ويمثل جدول ٣-٢ هذه المناطق.

ومن الأهمية بمكان أن نأخذ في الحسبان الفروق في المكانة بين المتفاعلين. فقد وجد زان Zahn (١٩٩١) أن الناس ذوي المكانة المتساوية يميلون إلى جعل المسافة قريبة بين بعضهم بعضاً أكثر من الناس ذوي المكانة المختلفة فمثلاً، من غير المحتمل أن يقترب الشخص ذو المكانة المنخفضة من شخص ذي مكانة مرتفعة بنفس درجة القرب بين شخصين من نفس المكانة. وقد ينتج عن إنتهاك الحيز الشخصي تهديد بإستجابة عنيفة، أو بمستويات متفاوتة من القلق.

Figure 9 Zone distances



وقد أوضح كل من جارفنكل Garfunkel (١٩٦٤) وفيليب وسومر Sommer&Felipe (١٩٩٦) آثار إنتهاك الحيز الشخصي في سلسلة من التجارب الميدانية. فقد قام هؤلاء المجرّبون بإنتهاك الحيز الشخصي في أماكن عامة مثل المكتبات ومقاعد المنتزهات ، ووجدوا أن الناس يظهرون الحرج والارتباك في تعبيراتهم الوجهية. فمثلاً، الجلوس بجوار شخص ما رغم وجود مقاعد خالية في المنتزه يجعل هذا الشخص يقوم بأحد أمرين إما النهوض أو الانتقال بعيداً عن

المكان. (Pennington, et al., ١٩٩١, P. ١٨٧).

يشار بصورة عامة إلى اللغة الموازية على أنها ما يبقى بعد طرح المحتوى اللفظي من الكلام. فاللغة الموازية ليست ما تقوله، ولكنها الطريقة التي تقول بها كم مرة سمعت عن هذا أو قلته انت لنفسك.

إن الجوانب الموازية للغة من الكلام تشمل (نغمة الصوت، الشدة، الوقت والوقفات). وتشمل النغمة الانفعالية للصوت، اللهجة، اخطاء الكلام (مثل التأتأة، التأتأة.... الخ). والسرعة التي يتحدث بها الشخص غالباً ما تفسر على أنها علامة على القلق، إذا كان الكلام سريعاً جداً. والناس الذين يعانون من صعوبات في الكلام مثل التمتمة أو التأتأة أو الكلام الذي يصعب فهمه بعد تعرضه لسكتة دماغية غالباً ما تجعل الطرف الآخر المتحدث "الطبيعي" غير الحساس محبطاً. والأخير غالباً ما يقاطع أو يحاول إتمام ما بدأ الشخص الآخر في التكلم فيه أخيراً، فنحن غالباً ما ننمط الناس الذين يتكلمون بطريقة غير معتادة وخاصة شديدي البطء أو ذوى الصوت السطحي على أنهم أقل نكاءً. قد يكون لجوانب الكلام التي يطلق عليها اللغة الموازية آثار درامية على التفاعل الإجتماعى والتصنيف الاجتماعى.

#### ٤ - بعض القضايا الثقافية المرتبطة بالسلوك غير اللفظي

فى مراجعة للتراث البحثى وجد هول Hall (١٩٨٤) عدداً من الفروق المتسقة بين الجنسين فى السلوك غير اللفظى. فمثلاً، تميل النساء إلى الابتسام والنظر إلى الآخرين فى التفاعل الاجتماعى أكثر من الرجال فى العادة. وتفسير هذه النتائج متضارب عام التضارب، لأن الابتسام يفترض أن يكون جزءاً من الدور الأنثوى. وأوضح دويتش وزملاؤه Deutsch, et al (١٩٨٧) أن النساء اللائى لا يبتسمن قد حصلن على تقييمات سلبية، فقد تم تقديرهن على أنهن أقل سعادة وأقل أسترخاء سواء بمقارنتهن بالرجال أو بالنساء الأخريات المبتسمات. وهذا يفترض أنه كمييار اجتماعى أن تبتسم النساء، وأن الناس سيتفاعلون بسلبية عندما تخفق الناس فى أداء الدور الأنثوى "المعيارى" المنوط له وهو الابتسام. والنساء أكثر إراحة كذلك من الرجال فى التفاعلات البين شخصية الوثيقة.

وعلى نقيض النظرة gaze وفيما يتعلق بالبقاء العين، اتضح أن الهيمنة البصرية أى: الانخراط فى مستويات عالية من التقاء العين ترتبط بالقوة. وقد يتوقع أن الذكور أكثر هيمنة من الناحية البصرية فى تفاعل إجتماعى يكون طرفاه ذكر وأنثى. وقد بحثت دوفيديو وزملاؤها Dovidio, et al (1988) هذه العلاقة عندما قسمت طلاب الجامعة إلى زوجين مختلطين طالب وطالبة وطلب من كل زوج مناقشة ثلاثة موضوعات بالتتابع. كان السيناريو الأول عبارة عن موقف طبيعى تتساوى فيه قوة الأدوار، وتضمن الموضوع الثانى. إعطاء أحد الزوجين نقاطاً إضافية بحيث يكون دوره أكثر قوة.

وفى الطرف التجريبي الثالث كانت الأدوار معكوسة. أوضحت النتائج أنه بالنسبة للمجموعة الضابطة، نظر الذكور إلى زميلاتهم فى التجربة مدة أطول خلال الحديث، بينما نظرت الطالبات أكثر خلال الاستماع، وهذا يعكس المكانة المتفاوتة المفترضة بين الرجال والنساء، عندما تم تحديد النساء فى دور أكثر قوة فى التفاعل، نظرت أكثر من الرجال عند التحدث، بينما نظر الرجال أكثر وهم يستمعون. علاوة على ذلك، عندما وضعت النساء فى وضع القوي اجتماعياً أصبحن أكثر هيمنة بصرية فى الأزواج التى تضم كلا الجنسين .

(عن : Dovidio ، et al ، 1988) وقد وجد هول وفيشيا Vecia&Hall (1990) أن النوع (ذكر / أنثى) والعمر يتفعلان لإظهار الفروق فى سلوك اللمس. فبالنسبة للأزواج من الشباب يكون الذكور أكثر قليلاً لللمس من الإناث فى البداية، ولكن مع اضطراب العمر - وخاصة بعد الأربعين - تنعكس الصورة حيث لوحظ أن الإناث هن اللاتى يبدأن باللمس أكثر وقد حاول هول (1996) تفسير هذه النتائج فى علاقتها بثبات العلاقة. فبالنسبة للأزواج الشباب، فمن المحتمل أن تكون العلاقة قد استمرت جيداً، لهذا فقد يسود الدور الجنسى التنميطى، حيث يكون استخدام الذكور لللمس كعلامة مشاهدة على الاستحواذ Possessiveness على الذكور الآخرين. وعندما تنضج العلاقة، تحتاج الإناث بالمثل إلى إظهار علاقة مشاهدة على الاستحواذ، الذى يفسره المستوى المتزايد لدهن على اللمس. رغم ذلك عندما ضمت المجموعات العمرية معاً لم تكن هناك فروق إجمالية بين الجنسين.

وقد أيد سميث وأرشر وكوستانزو Costanzo&Smith, Archer (1991) نتائج البحث

السابق، حيث وجد هؤلاء الباحثون أن النساء أكثر دقة فى فك شفرة العلاقات cues غير

اللفظية. وإجمالاً، وجدت البحوث أن الرجال - بالمقارنة مع النساء - أقل مهارة في إرسال واستقبال الإشارات الدالة على الإنفعال، كما أنهم أقل حساسية للإشارات غير اللفظية. والرجال يبتسمون ويضحكون بصورة أقل ولا يعرضون إلا قليلاً من الإيماءات والتعبيرات الوجهية. كما أن الرجال أكثر احتمالاً لتفصيل مسافة أكبر في التفاعل البين شخصي (Hall, ١٩٨٤). ومن المنظور الأنثوي، تعتقد هول أنه ينبغي التركيز على صور "العجز" الذكورية هذه لأنها قد تسبب إعاقة للرجال عند إستغلالهم العلاقات الاجتماعية والاحتفاظ بها وقد اعتبرت هول أن السلوكيات ومهارات الاتصال التي تتفوق فيها الإناث يجب ان نعلي من قيمتها في المجتمع الذي يرتفع فيها الاغتراب والتنافس باستمرار.

رغم أن التعبيرات الوجهية ترتبط بصورة عامة وشاملة مع انفعالات معينة، فإننا في حاجة إلى البحث على ما إذا كانت هذه الشمولية تمتد عبر الثقافات. ويزعم جالويس Gallais (١٩٩٣) بأن التعبيرات الوجهية كقناة اتصال مهمة، من المحتمل وجود قواعد ثقافية وموقفية ملحوظة تتصل بها وقد وجد أرجايل Argyle (١٩٩٤) أن هذه القواعد المعروفة بإسم قواعد العرض Display reules واضحة سواء بالنسبة للثقافات أو النوع gender، فمثلاً تشجع النساء على التعبير الانفعالي بصورة عامة، ولكن في ثقافات حوض البحر الأبيض المتوسط، يشجع كل من الرجال والنساء على ذلك، وفي الثقافات الأوربية والآسيوية يعاق الرجال من التعبير الانفعالي. وفي دراسة مقارنة على الثقافتين الأمريكية واليابانية، وجد ماتسوموتو Marsumoto (١٩٩٠) أنه عند الحكم على نماذج من الثقافة الأمريكية فقط، تحصل أحكام الأمريكيين على درجات عالية من الدقة بالنسبة للإنفعالات السلبية.

وفي علاقة بهذا الموضوع، لاحظ هوج وفوجهان Vaughan&Hogg (١٩٩٥) كذلك أنه يتم تنشئة اليابانيين على التحكم في التعبيرات الوجهية المتعلقة بالإنفعال السلبي. وهم يستخدمون الابتسام أو الضحك للتعطية على الغضب أو الحزن. وتتسق هذه النتائج مع معايير المجتمعات الجماعية، التي تعد اليابان أحدها. وتحاول المجتمعات الجماعية جاهدة تحاشي الصراع وتحقيق استراتيجيات إنقاذ ماء الوجه بأى ثمن (Kitayama, et al). وفي إعادة لتحليل الدراسات عبر الثقافة الخاصة بالتعرف على التعبيرات الوجهية للإنفعالات، وجد

سشيماك Schimmack (١٩٩٦) أن البيض (القوقازيين) يتعرفون بصورة أفضل على الانفعالات من غير البيض.

وفيما يتعلق بالإيماءات، فبعض الرموز التي تعرف كإيماءات تستخدم لتحل محل الكلمة المنطوقة او ترمز لها - تفهم ثقافياً، بينما توجد رموز أخرى تحدد بثقافة نوعية. وقد أوضح موريس وزملائه Morris, et al. (١٩٧٩) هذا عندما قاموا بتحليل كيفية استخدام ٢٠ رمزاً مستخدمة في أوروبا الغربية والجنوبية ومنطقة حوض البحر المتوسط. وهناك مثال آخر على الفروق الثقافية يتمثل في الإيماءة الجانبية من الرأس، وتعني "كلا" في الهند. وفي تركيا، يتم التدليل على "لا" بتحريك الرأس للخلف وتحريك العينين لأعلى. وعلى ذلك، يبدو ان فك شفرة السلوكيات غير اللفظية عبر مختلف الثقافات يمكن أن تمثل مشكلة تماماً مثل فك شفرة التعبيرات الوجهية. (Pennington, et al., ١٩٩١، P.١٩١) وقد ميز الأنثروبولوجيون الثقافات المتصلة بالعالم مثل ثقافة شمال إفريقيا والثقافات غير المتصلة بالعالم مثل أوروبا والهند وأمريكا الشمالية (Argyle, ١٩٩٤). وبصورة متشابهة، توجد فروق ثقافية في التوجه والمسافة في العلاقة البين - شخصية. فالأوروبي أو الآسيوي الذي يتفاعل مع عربي أو أمريكي قد يشعر بعدم الارتياح بسبب شعورهم بأن حيزهم الشخصي قد انتهك.. وفي مثل تلك المواقف، من المحتمل أن يرجعوا للوراء لتعويض الحيز الشخصي، إلا إذا وجدوا ان الشخص الذي يتفاعلون معه سيعود للاقتراب منهم وقد اقترحت هول Hall (١٩٩٦) أن هذا قد يكون عائداً لكون الأمريكيين اللاتينيين وسكان جنوب البحر الأبيض المتوسط يعتمدون أكثر على معلومات اللمس والشم، بينما يعتمد البريطانيون أكثر على الإشارات البصرية.

أما البحوث اللاحقة عن المسافة البين شخصية - حيث تم ملاحظة التفاعلات في سياقات طبيعية في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان وسكوتلانده وأيرلندا، فقد وجدت أنه بالنسبة للأزواج (نكر وأنثى) في أيرلندا وسكوتلانده، كانت التفاعلات أكثر قرباً مقارنة بالتفاعلات في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا واليونان (Remland, et al., ١٩٩٥). وهذا يدحض نتائج هول (١٩٩٦) التي أقامت تمييزاً بين الثقافات المتصلة بالعالم وتلك غير المتصلة، وعلى ذلك يمكن التنبؤ بأن اليونانيين والإيطاليين يقفون أقرب من الثقافات غير المتصلة بالعالم مثل إنجلترا وأيرلندا وسكوتلانده وهولندا.. وهناك متغيرات أخرى لا يمكن التحكم فيها في الدراسات

الميدانية مثل العلاقات بين المتفاعلين وموضوع المحادثة وشخصية الأفراد هي على قدر أهمية المعايير الثقافية إن لم تزد عليها أهمية. كذلك قد يتمثل الأمر في أن المعايير الثقافية تتغير ببساطة، وقد يكون ذلك انعكس من خلال الفرق الزمني بين الدراستين، وهو حوالى ٣٠ سنة تقريباً.

### وظائف السلوك غير اللفظي

في مستهل هذا الفصل تناولنا بإيجاز الوظائف المختلفة التي يقوم بها السلوك غير اللفظي بالنسبة للفرد والآن سنلقى نظرة على هذه الوظائف بشئ من التفصيل.

#### ١- تنظيم التفاعل

تتعلق وظيفة تنظيم التفاعل بدور السلوك غير اللفظي في المساعدة على جعل المحادثة تنطلق بسلاسة وبطريقة مرتبة. وقد تم تحديد عدد من الأنماط العامة المرتبة بسلوكيات المتحدث والمستمع. وقد وجدت الدراسة المبكرة التي قام بها كندون Kondon (١٩٦٧) وأستخدم فيها نظام الكتابة بالصور وتضمنت تحليل إطار Frame لمحادثة بين شخصين - فقد وجد انه خلال فترة الكلام الطويلة (٥ ثوان أو أكثر)، ينظر المستمع إلى المتحدث، ولكن المتحدث ينظر بعيداً عنه، وخاصة عندما لا يكون واثقاً من محتوى الكلام. وعندما يود المتحدث إنهاء كلامه، ينخرط في إلتقاء العين التي تفسر على أنه يعطى الإشارة للمستمع بالكلام. وهذا يؤدي إلى أن ينظر المتحدث الجديد بعيداً عن المتحدث الذي سبقه بينما ينظر الأخير إلى المتحدث الجديد.

وفي بحث لاحق أجراه دونكان وفيسك Fiske&Duncan (١٩٧٧) تم تحديد علامات أخرى تدل على استعداد المتحدث لتسليم زمام الحديث للطرف الآخر وتضم هذه العلامات خليطاً من الإشارات اللفظية وغير اللفظية وتضم رفع أو خفض طبقة الصوت عند نهاية آخر عبارة وانقطاع الإيماءات وانخفاض حدة الصوت كما وجد دونكان وفيسك أنه إذا استمر المتحدث في استخدام حركات اليدين فإنه يتجاهل في الحقيقة محاولة المستمع ليأخذ الحق في الكلام

وتتميز عملية الانتقال العامة من المستمع الى المتحدث بايماء مضطرد وأخذ شهيق مسموع وارتفاع كبير فى البنود القليلة الأولى من الكلام وكل هذه العلامات غير اللفظية تأتي معاً لتسهيل الانتقال السلس من متحدث لآخر فى التفاعل الاجتماعى اليومى.

## ٢- التزويد بالمعلومات

ترتبط الوظيفة المعلوماتية بكل من ارسال الشفرة وحلها وبالإشارة الى عملية فك الشفرة أولاً يتضح من المناقشة المتعلقة بالقنوات الفردية التى تؤخذ فرادى فإن لها قيمة معلوماتية للمشاهد ولا تفسر التعبيرات الوجهية فقط على أنها تعبيرات على الانفعال عبر أرجاء العالم بل إن الإشارات الصوتية مثل طبقة الصوت والارتفاع ووتيرة الكلام يمكن أن تستخدم كذلك فى تحديد الحالات الانفعالية النوعية بدقة ملحوظة وإذا أخذنا كل ذلك معاً فإن مستوى الدقة سيرتفع كثيراً.

وقد قام كل من وولبوت وشير Scherer & wallbott (١٩٨٦) بتنويع الوسيلة التى يتم التعبير بها عن الانفعالات وقد وجدوا أن دقة فك رموز الرسالة كانت أعلى بصورة عامة عندما يكون الملاحظ قادراً على استخدام مزيج من العلامات السمعية والبصرية أو القنوات البصرية فقط مقارنة باستخدام القنوات السمعية فقط وتوضح هذه النتائج أهمية التفاعل البصرى وقد تم بحث الوظائف النوعية للنظر والتقاء العين بصورة جيدة ولكن تركز على مدى العلامات الاجتماعية المتاحة التى يتم الحصول عليها من كون الشخص قادر على رؤية الشخص الآخر عند التفاعل معه حيث يمثل هذا قيمة معلوماتية ((Rutter, ١٩٨٤) وقد تنبأ روتر Rutter بأنه كلما كان عدد العلامات (الإشارات) الاجتماعية غير اللفظية المتاحة منخفضاً (ندرة العلامات) فلا بد أن تتسم المحادثة بالطابع غير الشخصى المتمركز حول المهمة.

ويمكن ملاحظة أثناء ندرة العلامات فى البحث الذى أجراه روتر مع روبنسون & Robinson (١٩٨١) حيث قارنا دروسا خصوصية فى الجامعة المفتوحة تتم إما وجهاً لوجه أو عبر الهاتف وتركزت الدروس الخصوصية فى كلا الطرفين التجريبيين على المهمة واتسمت بالطابع غير الشخصى ولكن تميزت دروس الهاتف بمواد تسعى الى إسهامات وإجابات من الطلبة كذلك كان أسلوب المحادثة أقل تلقائية وأكثر تنظيماً فى دروس الهاتف.



وبينما تندر البحوث التي ربطت مباشرة الوظيفة المعلوماتية بعملية إرسال الرسالة فهناك نظرية يمكن تطبيقها هي نظرية إدراك الذات لبيم (Bem, 1967) Bem's self – perception theory تذكر هذه النظرية أن الأفراد يستخدمون سلوكهم لعمل صور من العزو نحو مشاعرهم واتجاهاتهم نحو الآخر وهم يلاحظون سلوكهم ويستخدمونه كمؤثر على مشاعرهم وأحكامهم فمثلاً قد يستخدم على المعرفة التي مفادها أنه ابتسم ونظر نظرة طويلة إلى عزة ويستدل من هذا أنه يستلطفها (إننى أبتسم لعزة وعلى ذلك لابد أننى معجب بها)

### ٣- التعبير عن الحميمية

تعد الحميمية مفهوم مركزي عند تحليل السلوك غير اللفظي في التفاعلات الاجتماعية وفي ضوء مزج عدد من القنوات اللفظية اقترح أرجايل ودين Dean&Argyle (1965) نموذج (التوازن) equilibrium model ويزعم هذا النموذج أنه عندما يؤخذ ما يلي معاً : المسافة بين المتفاعلين ومستوى النظر والابتسام ومستويات الحميمية في المحتوى اللفظي فمن الممكن تنظيم مستوى الحميمية المطلوب وإذا لم يكن المستوى الإجمالي للحميمية ملائماً أو غير مريح لاي من المتفاعلين على أي من هذه الأبعاد السلوكية فمن المحتمل أن يحدث تعويض في بعد آخر من هذه الأبعاد ويمكن استجلاء هذا بتذكر موقف وجودك في مصعد مزدحم من المحتمل أن تشعر بعدم الارتياح نتيجة القرب المفرط المفروض عليك مع أناس آخرين غير مألوفين لك ويحدث التعويض من خلال تحاشي التقاء العيون وإدارة رأسك بعيداً إلى أسفل عادة لتتنظر إلى الأرض وأعلى ناظراً إلى السقف .

قام باترسون patterson (1990) بمراجعة لعدد كبير جداً من الدراسات التي تناولت تزايد مستوى الاتصال غير اللفظي بتزايد حميمية العلاقة وقد أجريت أغلب البحوث على أزواج من ذكور وإناث أظهرت مجموعة من الأمور هي تقلص المساحة في التفاعل وتزايد مرات للمس وتزايد النظر المتبادل كانوا كاس للحميمية.

(In : penningtiom et al 1999, P. 194)

### ٤- الضبط الاجتماعي

يمكن النظر الى الضبط الاجتماعي فى ضوء : السيطرة والخضوع ، الاقناع والمطواعة واستخدام الإنطباع وسوف نلقى نظرة سريعة على كل واحد من أنماط الضبط هذه:

السيطرة والخضوع : يعتقد أرجايل (١٩٩٤) أن السيطرة أو القوة تتبدى فى الاتصال بعدم الابتسام وتقطيب الوجه والوقوف فى مكان أعلى وتمديد الصدر والأيدى على الجانبين وإصدار إشارات إيمائية ولمس الخصم دون أن يلمسه والحملقة الطويلة فيه ، وعلامات السيطرة أو التوكيدية مهارة اجتماعية مهمة وقد أوضح كالما kalma (١٩٩٢) أنه فى حضور جماعة من ثلاثة أفراد ، فإن القائد الذى يسيطر هو الذى يتحدث وهو يعطى نظرة طويلة نحو فرد من هذه المجموعة.

وقد حصلنا على نتائج متضاربة من الدراسات التى تتناول إعطاء الرسائل ولكنها توحى بأن المكانة المرتفعة تسمح بمرونة أكبر فى عدد إشارات التفاعل غير اللفظى التى يكون الشخص قادراً على إصدارها، وعلى الجانب الآخر لا يكون لدى الأفراد ذوى المكانة المنخفضة الفرصة للقيام بهذا ويضطرون الى أخذ الإشارات من الشخص ذى المكانة الأعلى.

الإقناع والمطواعة :أوضحت الدراسات على أن الطلبات البسيطة بالمساعدة - مثل الإحسان أو علامات التوسل تكون اعلى إذا زادت النظرة وقل الإتصال مصحوباً بقرب فيزيقى شديد عند الطلب (batterson ، ١٩٨٧) ويفسر باترسون هذه النتائج على أنها نتيجة الإنخراط المرتفع لطالب المساعدة ، مما يؤدي الى إدراكه بأنه جذاب وبصورة بديلة ، يمكن إدراك هذا الانخراط على إنه سيطرة ، ما يسبب الشعور بالتهديد للشخص المعنى ويمكن أن ينتهى الوقت بالإذعان للطلب.

استخدام الانطباع Impression management : إن استخدام السلوك غير اللفظى فى خلق انطباع ما هوإلا أمر شائع فمثلاً يتم تقييم اللذين تجرى لهم مقابلة وينظرون مطولاً ويتسمون ويحركون رؤوسهم يتم تقييمهم بصورة إيجابية والإبتسام مهم بصورة خاصة عندما يحاول الشخص إيصال انطباع ايجابى فمثلاً إذا كنت تحاول إما أن تبدو مؤدباً وتخفض الانفعال السلبي أو تكون مدهاناً أو تحاول إبداء بعض الإهتمام بشخص ما ، ابتسم أكثر.

٥ - تمثيل الهوايات والصور:

بالاعتماد على عمل قام به جوفمان Goffman (١٩٧٢) عن المنحى الدرامى التراجيدى ، اعتبر باترسون patternsen (١٩٨٧) أننا نستخدم الأنماط التمثيلية لخلق هوية أو كيان مفضل أو متخيل لدى ملاحظ يمثل طرفاً ثالثاً. وقد وصف جوفمان ذلك على أنه آداءات performances تكون موجهة نحو طرف أو الى الحضور بصورة أوسع. أو قد تكون كذلك تمثيلاً للذات أو مصممة لخلق صورة مفضلة للعلاقة ويزعم باترسون (١٩٨٧) أنه قد يكون تعاون الطرف الآخر توظيفاً لكلا الطرفين لدعم علاقة معينة. فمثلاً ، الزوجان المنخرطان فى جدال يصل لحد الشجار ووصل الى مستوى اجتماعى يضم أصدقاء لهما قد يعطيان اىحاءا بالإنسجام كزوجين. ولكى يؤديا هذا الدور فإنهما يظهران علامات مبالغ فيها على الحميمية. وعلى هذا يمكن لأنماط التمثيل أن تظهر مستويات مرتفعة بصورة مبالغ فيها أو منخفضة على هذا النحو من الانشغال بالطرف الآخر لإعطاء صورة أو هوية محددة للمشاهد وهذا جانب يوضح كيف أننا نستخدم السلوك غير اللفظى لإعطاء الإنطباع الذى نود أن يأخذه الآخرون عنا.

#### ٦- استخدام الوجدان

الحرص : هو شعور (أو وجدان) سلبى شائع وعندما يكون منتظراً فى التفاعل تنشط أساليب التجنب ؛ مثل تجنب النظر وتزايد الحركات والإبتسامات الإيمائية أما الوجدان الإيجابى فغالباً ما يتضح بتزايد اللمس فمثلاً النجاح غير المتوقع أو السعادة الشديدة أو كسب يناصيب بمبلغ كبير غالباً ما يصاحبه العناق والقبلات وتزايد الإبتسام والضحك والنجاح فى الأنشطة الرياضية ما يتبعه زيادة فى اللمس بين أعضاء الفريق والظهور أمام العامة بمظهر الحميمية والأنماط الطقوسية من اللمس تكون مشتركة غالباً بين الفرق المتنافسة مثل المصافحة التهنئية وتبادل قمصان اللعب بعد المباراة.

#### ٧ - تسهيل الخدمة و أهداف المهمة:

تتضح هذه الوظيفة فى صور تبادل الخدمة المهنية كما فى مواقف التعامل مع الأطباء وأطباء الأسنان ومصطفى شعر النساء فى تلك المواقف تكون المسافة فى التفاعل بين الطرفين صغيرة وتزايد اللمس و التمعن المكثف بالنظر أمور شائعة، هذا المستوى المرتفع من الانخراط هو جزء ضرورى فى الخدمة المقدمة للعميل أكثر من عناصر العلاقة الشخصية وغالباً ما

تتبع السلوكيات غير اللفظية "نظاماً" مسبقاً أو مجموعة من المعايير المهنية وقد تكون السلوكيات غير اللفظية منحصرة في أهداف المهمة. وكلما كان الإختيار من بين السلوكيات غير اللفظية المتاحة ضئيلاً من مثل هذه السياقات كلما حددت شخصية الفرد اختيار الوظيفة فمثلاً الانبساطيون هم أكثر استعداداً من الانطوائيين لاختيار العمل الذى تكون فيه المسافة فى التفاعل بين الأشخاص صغيرة وإمكانات النظر عالية .

#### ٦- تفاعل السلوكيات اللفظية و غير اللفظية فى المحادثة

١- صور المقاطعة وإدارة دفة الحديث :

إن وجود صورة من التناوب فى الحديث أمر ضرورى حتى تتدفق المحادثة بين شخصين أو أكثر بسلاسة وقد تم مناقشة دور العلامات غير اللفظية فى التبادل السلس للحديث فى موضوع سابق من هذا الفصل و ما يبقى هنا مرتبطاً بصور المقاطعة اللفظية وما يتصل بها من أمور وغالباً ما يتم تحديد صور المقاطعة على نحو خاطئ. وفى الواقع هى تدخل من جانب الطرفين فى المحادثة وعادة ما يتضمن التناوب فى الحديث لحظات قصيرة من الصمت بين المتحدثين ولكن غالباً ما يحدث التدخل إذا بدأ المتحدث الثانى فى الحديث تلقائياً قبل أن يتوقف المتحدث الأول وغالباً ما يعرف هذا النمط من السلوك على أنه مقاطعة بينما يجب اعتباره تدخلاً حيث لم تحدث محاولة لإيقاف المتكلم أو عمل تحكم فى المحادثة ( hall, & Irish, ١٩٩٥ ص ١٩٨ .

وقد ألقى بيتى Beattie (١٩٨٣) الضوء على الإستخدام الإستراتيجى للمقاطعة والتدخل كمهارة اجتماعية يستخدمها بعض السياسيين أثناء المقابلة فمثلاً ابتكرت مارجريت تاتشر Thatcher عندما كانت رئيسة لوزراء بريطانيا أسلوباً معيناً فى المقابلة مكنها من الإحتفاظ "بالمبادأة" لفترات طويلة وهذا أرغم الذى يجرى معها المقابلة على مقاطعتها ولكنها لم تسمح لصور المقاطعة أن تغير فى طبيعة "المبادأة" التى أخذتها فى يدها.

وجد بيتى أن مارجريت تاتشر نادراً "ما تتدخل" عند إجراء المقابلة ولكن لديها مهارة فى أن تجعل الناس يعتقدون أن عليها إنهاء الكلام عندما يكون الواقع خلاف ذلك ويتضح ذلك بإكمال عبارة أو التغيير فى مستوى الصوت (بالإرتفاع والإخفاض) وقد استخدمت الحديث

التلقائي أكثر مما هو معتاد لتحفظ بالتحكم فى سير المقابلة. ويلقى جدول - ٣ الأضواء على هذه النتائج.

جدول - ٤ المقاطعات التى يبديها المتكلم ونمطها لاحظ أن القائم بالمقابلة غالباً ما يتدخل

لمقاطعة حديث مارجرى تاتشر (مقتبس من بيتى Beattie (١٩٨٣)

المتحدث	التحويلات للمتحدث	السلسلة	مقاطعات بسيطة		صور المقاطعة أثناء الحديث	
			بسيطة	بسيطة	التدخل	الصمت
مارجرى تاتشر	١٧		٤	١٩	٤	١١
القائم بالمقابلة	١٦		١	١٠	٨	١

وبصرف النظر عن التعريف فإن البحوث المبكرة التى كانت ترتبط صور المقاطعة مع التفاوت فى قوة المكانة بين المتحدثين - كانت إما أكثر أو أقل تفصيلاً وحيث أن البحث الذى أجراه زيمرمان ووست - zemmer man & west (١٩٧٥) قد وجد أن ٩٦% من المقاطعة كانت تأتي من الرجال فى الأحاديث التى تضم الرجال والنساء معاً فبصورة عامة تم التسليم بأن الرجال يقاطعون النساء عندما يضم الحديث رجل وامرأة ولكن البحوث اللاحقة لم تجد فروقاً دالة بين الجنسين مما يوحي بأن أسلوب الحديث لم يعد يلقى دعماً أو قبولاً كصورة من الهيمنة والتحكم من جانب الرجال (Carli, ١٩٨٩)

أجرى ايريس وهول holl&Irish (١٩٩٥) دراسة مثيرة عن أنماط المقاطعة فى الزيارات الطبية وقد دحضت النتائج نظرية المكانة فقد وجد الباحثان أن المرضى يستخدمون المقاطعات والتدخل فى الحديث أكثر من الأطباء رغم ذلك عندما تم تحليل محتوى المقاطعات وجد أن المرضى يستخدمون العبارات بينما يستخدم الأطباء الأسئلة عند المقاطعة ولم يوجد فرق فى استخدام المقاطعة من جانب الأطباء ذوى المكانة العالية وأولئك ذوى المكانة الأقل مهنيًا كما لم يوجد فرق دال بين الجنسين سواء كانت الإناث طبيبات أو ممرضات وكانت المريضات قادرات بصورة متساوية مع الرجال على إعطاء القصص كما أن الطبيبات لم يكن أقل شأنًا فيما يتعلق بالسيطرة اللفظية فى نظر المريضات ومع ذلك فإن تحليل المقاطعات بمعزل عن النوع (ذكور - إناث) والمكانة هو أمر مضلل ومخل فى التبسيط وهذا يوحي بضرورة إجراء

مزيد من البحوث فى تحديد المتغيرات المتسقة وتحديد المدى الإجمالى للعوامل التى تتطلب أخذها فى الحسبان

٢- الخداع والكذب:

يتركز تحديد السلوكيات التى يبديها الكذابون بصورة تقليدية على العلامات غير اللفظية حيث كان يعتقد الباحثون من قبل أن الكذابين قادرون على المراوغة والتحكم فى سلوكياتهم اللفظية ولكن وجد أنه من الصعب التحكم فى سلوكياتهم غير اللفظية (Miller & stiff, ١٩٩٩) وقد أوضح هذا ديباولو وزملاؤه De paula، etal (١٩٨٣) الذين اعتبروا أن السلوكيات غير اللفظية المرتبطة بالكذب لا يمكن التحكم فيها نسبياً واعتقدوا أن الأكثر أهمية اعتبار أن الكذب يصدر عن مخادع ومن السهل اكتشافه من خلال القنوات غير اللفظية، والواقع أن الإقتباس الشهير من الحالة دورال Dorال التى كان يدرسها فرويد تفيد فى استجلاء تلك المسألة: "إن من له عينين ليرى وأذنين ليسمع قد يقنع نفسه بأنه لا يوجد فان يستطيع أن يحتفظ بالسر. فإذا لم تتفوه شفتاه، فإنه يعبث بأطراف أصابعه، حيث تتسرب الحقيقة من مسامه" (Freud, ١٩٠٥).

ومع ذلك، يتم الاعتراف الآن بأن تفاعل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية أمر مطلوب لإستجلاء العمق بدرجة أكبر وتوضح البحوث الراهنة أن الكذابين يبتسمون أقل فى الغالب ويتسم حديثهم بالتردد والوقوع فى أخطاء أكثر من المعتاد وتظهر فى أصواتهم طبقة صوت عالية ويرتبط تحاشي نظر العين بالكذب، وعلى ذلك يسعى الكذابون عن قصد الى التحكم فى النظر ونتيجة لذلك يصبح تحديق العين مضخماً مما يحمله على إنهاء التحديق أو الإنخراط فى مستويات عالية على نحو غير ملائم من النقاء العين.

وفى ظل غياب مجموعة شاملة من السلوكيات المرتبطة بالكذب فمن السهل دراسة العمليات النفسية المتضمنة فى الإستشارة والصعوبة المعرفية فمن المحتمل بالنسبة للكاذب الذى يفتقر للخبرة ويعرف العواقب المرتبطة بالكذب أن يمر بكل هذه الحالات حيث يمكنه الخداع بكل من السلوكيات اللفظية وغير اللفظية وتؤخذ السلوكيات غير اللفظية مثل اتساع بؤرة العين وارتفاع طبقة الصوت - كإشارات على الكذب وتشمل الإشارات اللفظية ذات المغزى الاستخدام الشائع للاستجابات مثل: "لماذا توجه التساؤلات دائماً لى" رغم أن التساؤلات لا تحمل تهديداً وكذلك الاستجابات الجافة (المقتضبة على نحو فظ) أو التطرف فى استخدام اللغة.

وقد تعتبر الصعوبة المعرفية عن نفسها فى التردد والاستجابات المختصرة ونقص التأزر بين السلوكيات اللفظية وغير اللفظية. وقد استخدم ستيف وزملاؤه Stiff, et al. (١٩٨٩) مصطلح إصلاح الجمل\_ sentence re pairs فعندما يكذب الشخص يبدأ الجملة ثم يقطعها ومن ثم يبدأ ثانية.

وقد وضع كل من بورجون وبتلرجيرو Guerrero&Butler (١٩٩٥) نظرية الخداع البين شخصى التى توحى بوجود فرق بين الأفراد الذين يتمتعون بمهارات إجتماعية والأفراد الذين يفتقرون إليها يحاولون خداع الآخرين. وبناء على عمل ريجبو Riggio (١٩٩٣) قدموا نموذجاً يحدد هذه الفروق. ويقوم النموذج على ثلاث مهارات أساسية، لكل مهارة مكون لفظى (اجتماعى) وغير لفظى (إنفعالى) ويلخص جدول ٥ هذه الأبعاد الأساسية.

جدول ٥: المهارات الأساسية الثلاث التى اقترح بورجون وزملاؤه (١٩٩٥) أنها داخلة فى الخداع

التعبيرية	القدرة على إرسال رسائل
التحكم	القدرة على تنظيم سريان التفاعل
الحساسية	القدرة على حل رموز الرسائل

وقد أجرى بورجون وزملاؤه بحثاً أيد النموذج حيث وجد أن مستوى المهارات الاجتماعية للفرد يؤثر فى الخداع والنجاح فيه. فامتلاك مهارة التحكم الانفعالى يساعد مرسلو الرسالة والمتلقين على إخفاء عدم الإنتاج والقلق، والتأثير السلبي العام الذى يحدث عندما تخدع شخصا ما تكتشف خداع الآخرين. وبالمثل فمهارات فك حل شفرة الرسالة والحساسية الانفعالية يمكن أن يساعدوا المتلقين على اكتشاف خداع أو كذب الآخرين.

٣- التآذب واستراتيجيات الحديث:

قدم براون وليفنسون Broun of levinson (١٩٨٧) نظرية التآذب Polteness theory التى أقيمت بكاملها على أساس استخدام اللغة. وتوحى هذه النظرية بأن الاستراتيجيات اللفظية التى يتبناها الأفراد تعتمد على طبيعة وسياق العلاقة بين المتفاعلين. ومن المرجح أن يكون المتحدثون أكثر تآذباً عندما تكون المسافة الاجتماعية والمسافة فى المكانة كبيرة بينهم وبين الطرف المتفاعل معهم وعندما تكون درجة ما يطلبه المتحدث من الطرف الآخر كبيرة أو صعبة.

وقد اقترح هو لتجريفز ويانج Holtgraves @ Yang (١٩٩٠) وجود خمس استراتيجيات محتملة يستخدمها الناس ويمكن تحديدها بزيادة درجة التأدب. أولاً: يمكن للمتحدث سرد الحقائق بوضوح شديد، فإذا كانت الأخبار سيئة فمن المحتمل أن تقلل من قيمة الذات لدى الطرف المتلقى. ثانياً: يمكن للمتحدث استخدام التأدب الإيجابي بإظهار التضامن مع الطرف المتلقى. فمثلاً: يمكن إيصال الخبر عن الفصل من الوظيفة بعبارة مثل "هم الخاسرون، وقد يكون مفيداً لك إجراء بعض الاتصالات والمقابلات مع أصحاب عمل آخرين". وتتمثل الاستراتيجية الثالثة في التأدب السلبي، حيث يلتزم المتحدث بالشكل الرسمي(\*) وإخفاء معالم الصفة الذاتية، ولكنه يراعى في نفس الوقت حرية الطرف الآخر في العمل أو التحرك إزاء الموضوع. مثال ذلك عندما يتم إخبار أحد والديك بأنك قد أخفقت في امتحان لقيادة السيارات قد تلوم نفسك، ولكن تسمح له بتحديد شكل المساعدة المستقبلية في ذلك. رابعاً، من الممكن ذكر الأخبار بصورة متوارية أى بالتلميح دون التصريح، ويتضح هذا عندما ترغب في إنهاء العلاقة مع شخص ما. أما الاستراتيجية الخامسة والأخيرة فتأتى عموماً "لا: توجد رسائل يمكن إيصالها على الإطلاق.

وقد أوضح هولتجريفز ويانج (١٩٩٠) العمومية الثقافية لنظرية التأدب باستخدام عينات من الأمريكيين والكوريين. ولاحقاً وفي محاولة لتوسيع النظرية، وضع أمبادى وزملاؤه Ambady, et al., (١٩٩٦) تساؤلاً عما إذا كانت العمومية الثقافية قد تنطبق كذلك على القنوات غير اللغوية للاتصال. فقاموا ببحث التأدب في الاتصال الخاص بالأخبار الطيبة والسيئة في ثقافتين مختلفتين في بحثين منفصلين. تضمن البحث الأول عينة من موظفي شركة كورية في سمسة الأموال، واستخدام البحث الثانى عينة من طلبة الدراسات العليا الأمريكيين. وقد تم تسجيل إتصال كل مجموعة منها بالفيديو سواء بالنسبة لأخبار طيبة أو سيئة متعلقة بأوضاع العمل، وتم الاتصال إما مع رئيس لهم أو مرؤوس أوزميل.

أوضحت النتائج صوراً من التشابه وكذلك من الاختلاف عبر الثقافتين. وقد اتضحت صور التشابه اللغوية وغير اللغوية فى استخدام ثلاثة أنماط رئيسية من الاستراتيجيات وهى:

[١] متوجه نحو الآخر : لطيف ، مهتم ، يسعى الى القبول، متعاطف، مشجع.

(\*) أى يكون مراعيًا للشكليات وآداب السلوك



[٢] متسم بالود : منفتح، لدية روح الدعابة، إيجابى.

[٣] حير : متشكك: غير صريح، متجنب، معذر.

وقد استخدم التواد فى كلتا الثقافتين بطريقة متشابهة، حيث أظهر كل من الأمريكيين والكوريين المودة نحو الزملاء والحذر نحو الرؤساء. وعند الأخبار بأنباء طيبة - بصرف النظر عن الفروق فى المكانة أظهروا ودا أكبر وحذراً أقل. وقد اتضح الحذر فى كلتا الثقافتين من خلال السلوك غير اللفظى أكثر منه من خلال الكلام الفعلى. وقد اتضحت الفروق عبر الثقافتين فى التوجه نحو الآخر. وهذه استراتيجية تتضمن الاستراتيجيات السلبية والإيجابية للتأدب على حد سواء. أستخدم الكوريون مستويات مختلفة، وهذا يعتمد على مكانة الطرف الآخر وأظهروا سلوكاً أكثر مودةً نحو الآخر تجاه رؤسائهم. وفى المقابل، كان التوجه نحو الآخر لدى الأمريكيين موزعاً بالتساوى نحو الرؤساء والمرؤسين والزملاء. وهناك فرق آخر يتمثل فى أن الأمريكيين يستخدموا استراتيجيات التوجه نحو الآخر عندما ينقلون أخباراً طيبة أكثر من الأخبار السيئة. ولكن لم يظهر الكوريون فروقاً تذكر فى هذه الاستراتيجية فيما يتعلق بمحتوى الرسالة.

وتتسق هذه الفروق مع الفروق العامة فى الاتصال على المستوى الفردى والثقافى والجماعى. ورغم بعض الهفوات المنهجية - مثل تفاوت المكانة بين العينتين - توضح هذه الدراسة أن التأدب - بصرف النظر عن الثقافة - يتم نقله سواء من خلال اللغة أو القنوات غير اللفظية، ولكن مع وجود بعض الفروق الثقافية (Pennington, et al., ١٩٩٩).

#### ٧- الاتصال اللفظى والتساؤل

إن الاتصال المبنى على الأمثلة والأجوبة هو شكل مهم من أشكال التفاعل الانسانى. ورغم أنه يمكن السؤال بالقنوات اللفظية على حد سواء، فإن غالبية الأمثلة فى التفاعل الاجتماعى ذات طبيعة لفظية، وتعمل السلوكيات غير اللفظية كمدعم مثل ارتفاع وانخفاض الصوت عند نهاية السؤال، أو إيماءات الرأس ورفع الحاجبين والتقاء العين المباشر وهى كلها إشارات تدل على طلب الإجابة.

وهناك نتيجة بحثية متسقة مفادها أن الشخص ذى المكانة المرتفعة يملك زمام التحكم وفى بعض الحالات يسبب التوتر للشخص الذى يسأله. ومع ذلك، ففى التفاعلات التى تضم أشخاصاً متساوين فى المكانة تخدم الأسئلة عدداً من الوظائف، فمثلاً، يمكن استخدامها فى

الحصول على المعلومات وإثارة مناقشة تتعلق بالموضوع المعنى أو للتحقق من اتجاهات ومشاعر ورأى الشخص الآخر.

ويمكن أن تكون الأسئلة على هيئة عدد من الأنماط، يفيد كل نمط غرضاً مختلفاً. فتستخدم أسئلة الاختبار لتشجيع الشخص على توسيع استجابته السابقة. والسؤال البلاغى سؤال لا يتطلب إجابة، إما لأن المتحدث يقصد التزويد بإجابة أو أن السؤال يستخدم بصورة مرادفة للعبارة التقريرية. وهو أسلوب شائع فى الحديث العام لإثارة اهتمام المستمعين. وبالمثل فكما أن هناك مدى ومتسع من الأسئلة التي يمكن توجيهها، هناك أيضاً مجموعة متنوعة من الاستجابات الممكنة.

وقد حدد ديلون Dillon (١٩٨٦) الأنماط الرئيسية التي يستخدمها الأفراد. وهي تشمل: الصمت، الرفض اللفظي للإجابة، تغيير الموضوع، تحويل السؤال إلى دعاية أو مجرد إعطاء إجابة مزيفة. وتستخدم أساليب أخرى لتحاىي الإجابة على السؤال منها: المراوغة، الحيلة، الغموض الانتقائي والتحريف، وهو أسلوب يعطى فيه المتحدث الإجابة التي يريد المستمع سماعها. مع ذلك، فأغلب الاستجابات الشائعة هي إعطاء إجابة مباشرة حقيقية.

لقد قدمنا قدراً وثيراً من المادة البحثية فى هذا الفصل مع التركيز على دور السلوكيات غير اللفظية فى التفاعل الاجتماعى، سواء فى علاقته بمختلف القنوات أو الوظائف التي تخدمها. وفى الأغلب من الصعب تمييز الفرق الوظيفى بين القنوات اللفظية وغير اللفظية، وهناك أمثلة فى ثنايا المناقشة المتعلقة بالمقاطعة واستراتيجيات التأدب والخداع والفضضة (الكشف عن المعلومات الشخصية) واستراتيجيات توجيه الأسئلة والإجابة. وفى الجزء التالى سنتناول تطبيق ما اكتشفه علماء النفس الاجتماعى عن الاتصال غير اللفظى على التفاعل بين المتخصص فى المجال الصحى وعميله.

التفاعل بين المتخصص فى المجال الصحى وعميله

(الطبيب، طبيب الأسنان، الطبيب النفسى، المعالج النفسى.... الخ) وعميله تعتبر المفتاح لتحقيق الأهداف العلاجية والاتصال الذى يحدث بين الطبيب والمريض - مثلاً - يرتبط كذلك برضا المريض. فعندما يكون الاتصال جيداً وفعالاً ويقوم على علاقة الثقة، فإن المرضى يكشفون عن درجة عالية من الرضا حتى وهم يتحدثون عن أمراض تهدد حياتهم. وعندما

يكون الاتصال ضعيفاً ولا يوجد إلا القليل من الثقة، فإن المرضى يكشفون عن عدم الارتياح (Iey, ١٩٨٨) وقد تركزت أغلب البحوث في هذا المجال على علاقة الطبيب بالمرضى، وهذا ما سنركز عليه هنا.

حدد أونج وزملاؤه Ong, etal (١٩٩٥) ثلاث وظائف مختلفة للاتصال بين الطبيب والمرضى:

(أ) لبدء واستمرار علاقة طبية (ب) ولتبادل المعلومات.

(ج) عمل توصيات وقرارات عن كيفية علاج المريض.

ومع ذلك، فإذا لم تتوطد علاقة طبية، فإن الوظيفتين الأخرتين ستتعرضان للإعاقة ويضار المريض. للاتصال إذن أهمية جوهرية كما رأينا عبر هذا الفصل، وهو يعتمد بشدة على الاتصال غير اللفظي الذي يتم بين الطبيب والمريض. وقد أوضح لارسن وسميث &Larsen Smith (١٩٨١) أن ارتياح المريض قد يتأثر بنمط الاتصال غير اللفظي الذي يحدث. وقد قام لارش وسميث بتحليل استشارات الطبيب للمريض باستخدام ثلاثة تصنيفات للسلوك غير اللفظي:

(أ) الفورية immediacy التي تعطي مؤشراً على درجة وثاقة العلاقة.

(ب) استرخاء (ارتياح) relaxed الطرفين خلال التفاعل.

(ج) استجابته كل طرف لما يقوله الآخر.

فمثلاً فيما يتعلق بالفورية، يتضح القرب في العلاقة باللمس، بميل كلا الطرفين بجسمه إلى الأمام في اتجاه الآخر، والقرب الفيزيقي الشديد. أما بعد العلاقة فتتميز بعكس السلوكيات غير اللفظية هذه أما تميز العلاقة بالاستجابة فتتضح بوجود مستويات مرتفعة من النشاط الوجهي (الذي يزود بتغذية مرتجعة) والتنوع في نغمة وطبقة الصوت (إظهار الاهتمام) ومستوى ملائم من الكلام.

وقد وجد لارسن وسميث (١٩٨١) أن أنماط السلوكيات المرتبطة بالفورية ترتبط بقوة برضا المريض (العلاقات السطحية أو غير الفورية تتميز بمستويات منخفضة من رضا المريض). كما وجد أن الفئتين الآخرين تلعبان دوراً في رضا المريض، ولكن ليس بنفس قوة الفورية. ومن هذا البحث يجب أن يتضح أن السلوكيات غير اللفظية لكل من الطبيب والمرضى حيوية لفعالية استشارة المتخصص في المجال الصحي.

وقد تساعد هذه النتائج كذلك فى تفسير الأسلوب للطبيب والمريض. وقد قام بيرن ولونج  
Byrve of Long (١٩٦٧) بتحليل استشارات مسجلة على شرائط كاسيت واقترحا أن أسلوب  
الاستشارى يمكن تصنيفه إما إلى التمرکز حول الطبيب أو حول المريض. فالأساليب السلوكية  
المتمرکزة حول المريض ينتج عنها مستوى مرتفع من رضا المريض.  
وأخيراً قد تتساءل لماذا يكون رضا المريض موضع بحث هكذا ويعتبر عاملاً مهماً. بجانب أن  
ذلك مرغوباً فى حد ذاته، توضح البحوث بانتظام أن المستويات المرتفعة من رضا المريض  
ترتبط بقوة مع التزام المريض بالنصيحة والعلاج الطبى (Ley, ١٩٨٨).

## الفصل الرابع

### الاتجاهات الاجتماعية

مقدمة - اكتساب الاتجاه ( نظرية التعلم - الخبرة المباشرة )

ما هو الاتجاه - المنحنى الوظيفي و البنائي في تعريف الاتجاه .

طرق قياس الاتجاهات :- الطرق غير المباشرة ( الاستجابة الفسيولوجية ، المقاييس الواقعية -الأساليب الإسقاطية ) الطرق المباشرة ( طريقة ليكرت - طريقة أوسجود) .

## الاتجاهات

مقدمة :-

مازال مفهوم الاتجاه يحتل مركزاً رئيسياً في بحوث علم النفس الاجتماعي ، فمنذ منتصف الأربعينات من القرن الماضي كما وصفه أحد رواد علم النفس الاجتماعي Alport بأنه من المفاهيم المحورية في هذا العلم، وليس من الصعب إيجاد الأدلة على ذلك ، فهذا الكم الهائل من الدراسات التي تناولت المفهوم أو قياسه أو كليهما معاً والتي مازالت تلقي نفس الاهتمام إلى وقت قريب .

وفي حياتنا اليومية نجد أنفسنا في كافة مناحي حياتنا الاجتماعية نسعى بصورة مستمرة لمعرفة اتجاهات الآخرين حيال الأشخاص و الموضوعات ... إلخ وفي نفس الوقت نخبر الآخرين بوجهة نظرنا كما نحاول قدر الاستطاعة أن نغير آراءنا .

وعلى الصعيد العالمي في عصر المعلومات نجد وسائل الاتصال بما تقوم به من حملات إعلامية تهدف إلى التأثير على الأفراد و العمل على تكوين اتجاهات إيجابية نحو سلعة بعينها والعمل على ترويجها ، وأخرى تسعى إلى إقناعنا بتغيير سلوكنا من خلال تغيير آراءنا .

ومن هنا تبرز أهمية الاتجاهات في فهم السلوك النمطي أو العنصري أو الاستهلاكي .....إلخ .

وتكتسب الاتجاهات ميزة أخرى حيث يقيم الأفراد اتجاهات عديدة حيال العديد من الموضوعات . ويكتسب الاتجاه ويصاغ عبر عملية بطيئة ويأتي من مصادر عدة ، فالوالدين و الرفاق و الآخرين ذوي السلطة بالنسبة للفرد ووسائل الإعلام والمعايير الاجتماعية جميعاً تلعب أدواراً مختلفة في عملية اكتساب الاتجاه وتذكرنا الاتجاهات الفروق الفردية حيث تختلف الأفراد إزاء الموضوعات والأشخاص .....إلخ .

وهناك سببين رئيسيين لاهتمام علماء النفس بدراسة الاتجاهات وهما :

١ - أنها تعمل على تحقيق هدف علم النفس الاجتماعي من خلال الفهم و التغيير و التنبؤ ،  
فمعرفة اتجاه الفرد يسهم في فهم سلوكه و التنبؤ به .  
ب - تسهم دراسة الاتجاه وكيفية اكتسابه في معرفة أفضل الطرق لتغييره .  
ومن المهم أن نناقش الفرق بين الاتجاه وبعض المفاهيم المتشابهة في علم النفس  
الاجتماعي كالمعتقد والقيمة .

فالمصطلح " عقيدة " Belief يشير إلى ما هو صادق بالنسبة للفرد ويختلف عن الاتجاه في أن  
الأخير يعتمد على الانفعال ولكن العقيدة فلا تعتمد على الانفعال . كما أن المعتقد يتميز  
بالتنوع في مقدار شدته من معتقد لآخر . فمثلاً الشخص الذي يؤمن بوجود الله سوف يعتمد  
على هذا المعتقد في أمور شتى وعلى النقيض نجد الشخص الذي لديه سبباً مقنعاً لارتداء  
نظارة شمسية لقيادة السيارة فإن هذا المعتقد لن يؤثر كثيراً على غيره .

وتتمثل القيم في الأحكام الأخلاقية على السلوك الذي يتأثر بالثقافة والمجتمع والمعايير  
الاجتماعية ، وتؤثر القيمة بالطبع في السلوك الاجتماعي ، وتعد القيمة موجهاً نحو أنواع  
كلية من الموضوعات بينما الاتجاه يكون نحو موضوع محدد . ( Pennington , c , o ; Gillem , Hill )  
(١٩٩٩) .

#### اكتساب الاتجاه :

يرى غالبية علماء النفس الاجتماعي أن الاتجاه يكتسب ( يتم تعلمه ) بصورة مباشرة أو غير  
مباشرة عبر عملية التنشئة الاجتماعية .

وتشير نتائج البحوث الحديثة ( Kelleretal ١٩٩٢ , Waller , etal , ١٩٩٠ ) إلى أدلة تؤيد أثر  
العوامل الوراثية في الاتجاه ، فمثلاً وجد والر وزملاؤه ١٩٩٠ إلى إيجاد علاقة قوية بين  
التوائم المتماثلة في اتجاهاتهم بينما الأمر مختلف في حالة التوائم غير المتماثلة ويجدر  
الإشارة إلى أن التوائم المتماثلة في هذه الدراسات قد خضع بعضها لنفس ظروف التنشئة ،  
والآخرون تم تنشئتهم بطرق مختلفة . وتم اختبارهم في الاتجاهات نحو العمل والاتجاه الديني

. على أية حال فإن الدور الأكثر فعالية في الاتجاهات يرجع للعوامل الاجتماعية و التعلم الاجتماعي .

نظرية التعلم :

إن اكتساب الاتجاه يمكن فهمه من خلال نظرية التعلم الكلاسيكية فكما تشير نتائج البحوث الأولية إلى أن الاستجابة التي تلقي التعزيز الموجب تظل وتدوم والتي تلقي التعزيز السالب تختفي ( Staats et al, ١٩٦٢).

وفي ميدان الاتجاهات أجريت العديد من التجارب التي تعتمد على هذه الفكرة فمثلاً وجد كروزنيك و زملاؤه (Krosnich .et al, ١٩٩٢) نتائج تتفق مع ذلك .

و الاشتراط الوسيلى و الإجرائى من خلال تطبيقهما للثواب و العقاب دور بارز في صياغة الاتجاه وتعديله ، والنمذجة الاجتماعية Modeling كما صاغها باندورا ( Bandura ١٩٧٣ حيث أكد على أن الاتجاه يمكن تعلمه من خلال الملاحظة أو من خلال إثابة السلوك وعقابه ، فمثلاً الأطفال الذين يكتسبون بعض قواعد السلوك الجيد من خلال ثواب الوالدين وبنفس الطريقة يكفون عن السلوك الذي يؤدي إلى العقاب . كما يكتسبون بعض ألوان السلوك الأخرى من خلال ملاحظتهم لسلوك الوالدين فيتصرفون مثلهم.

الخبرة المباشرة :

العديد من اتجاهاتنا نكونها من خلال خبرتنا المباشرة ، حيث نكون نتيجة للخبرات الصادمة ، و هذه الفئة من الاتجاهات من الصعب تغييرها (Oscamp, ١٩٧٧) .

و إذا كانت معالجة نظرية التعلم لاكتساب الاتجاه كما سبق أن ذكرنا تتم تحت عدد من الشروط مثل أهمية للفرد ، فأنا نجد أنفسنا لأول مرة إزاء خبرة صادمة في حالة الخبرة السيئة نحو شخص أو موضوع ... إلخ .

و أخيراً تسهم المقارنة الاجتماعية في تشكيل الاتجاهات ، فحين نقارن أنفسنا بشخص آخر أو جماعة ... إلخ . و تكون اتجاهاتنا وفق ما نفهم و نعتقد .

\* ما هو الاتجاه ؟



في الواقع إن عملية الوصول إلى صياغة صادقة وواضحة لتعريف الاتجاه يتوقف على تحديدنا للمفهوم تحديداً واضحاً حيث يستخدم كثيراً في حياتنا اليومية معاني مختلفة ، و في علم النفس نجد هذا المفهوم يشير إلى بناء يعبر عن مفهوم مجرد يمكن الاستدلال عليه من خلال بعض المؤشرات السلوكية.

فالمصطلح يستخدم ليلخص مجموعة من الخصائص النفسية المركبة و لتحقيق مزيد من الفهم للمصطلح فيمكن تناوله استناداً على جانبين :- الأول : وهو وظيفي يتمثل في فهم وظيفة الاتجاه بالنسبة للفرد ، و الثاني : و هو بنائي و يتمثل في علاقة المفهوم بالخصائص النفسية الأخرى و كليهما وجهان لعملة واحدة .

#### المنحى الوظيفي :-

بصورة تقليدية فإن الجانب الوظيفي في تناوله للاتجاه كما يرى ( , katz ١٩٦٠ , Mcguir ١٩٦٩ ) ( smith ١٩٥٦ ) أنه يعبر عن الوجود الإنساني للفرد لأنه يخدم بصورة أساسية وظائف أربع و هي :

١ - الوظيفة التوافقية .

٢ - وظيفة التعبير عن الذات .

٣ - وظيفة الدفاع عن الأنا .

٤ - الوظيفة المعرفية .

و فيما يلي نحاول بصورة موجزة شرح كل منها .

#### ١ - الوظيفة التوافقية : - Adaptive function

و تعني أن الفرد ينمي الاتجاهات نحو الموضوعات التي تسهم في تحقيق رغباته و تمكنه من الحصول على اللذة و تجنب الألم ، فتلك التي تحقق اللذة و المنفعة تكون إيجابية و الأخرى سلبية .

و بصورة اجتماعية تسهم عملية التوحد في مساعدة الفرد على تنمية اتجاهات مشابهة لمن يعيشون حوله من أهله و أصدقائه ، أي يبدأ في مسايرة الجماعة التي ينتمي إليها .

#### ٢ - وظيفة التعبير عن الذات : - self expressive function

و تعني أن الفرد قد يستمد الإشباع لحاجته للتعبير عن نفسه من خلال الاتجاهات التي تعبر عن قيمه و معتقداته ، و بذلك يكتسب الهوية المميزة و الوجود الاجتماعي و عضويته في الجماعة التي ينتمي إليها من خلال هذا التعبير . و يقترب هذا المعني من وجهه نظر ( أريكسون ) Erikson حيث يرى أن الإحساس بالهوية هام جداً للوجود الإنساني .

### ٣ - وظيفة الدفاع عن الأنا :- Ego – defensive function

و تتمثل في بعض الاتجاهات التي تساعد في حماية الشخص من نفسه و من الآخرين ، يتناول Katz بالاستعانة بمفاهيم التحليل النفسي ( ميكايترمات الدفاع ) رؤية تدعم هذه الفكرة ففي الحالات التي تجد فيها الأنا أن هناك إهانة أو تحقير للذات من جراء بعض الأفعال تسعى إلى الدفاع عن الذات فمثلاً الشخص الذي يشعر بالدونية قد ينمي اتجاهات من شأنها التكبر على الآخرين .

### ٤ - الوظيفة المعرفية :- function Knowledge

تهتم بصفة خاصة بالكيفية التي يدرك بها الفرد معلوماته ويوظفها عن العالم الاجتماعي ، بحيث يمكنه التعامل مع العالم بصورة أكثر ألفة و قدرة علي التنبؤ و أقل غموضاً ، و من عيوبها النمطية التي تؤدي للتعصب .

و لعل مبدأ الإنسان المعرفي الذي صاغه Hieder ١٩٤٦ و الذي يؤكد على التناغم بين الاتجاهات و القيم و السلوك .

و بصفة عامة فإن المنحي الوظيفي له تطبيقات في مجال تغيير الاتجاهات ، و يتطلب ذلك :

\* معرفة الاتجاه الراهن للفرد .

\* ما يحققه للفرد من مكاسب .

ولكي نسهم في تغيير الاتجاه بكفاءة لابد من إيجاد وظيفة و بصورة عامة يمكن تغيير الاتجاهات التي تخدم وظيفة معلوماتية بعد إمداد الفرد بمعلومات أخرى و في المقابل نجد أن الاتجاهات التي تخدم الدفاع عن الأنا لا يمكن تغييرها بالمعلومات و لكن بتجسيد صورة.

المنحى البنائي : -

- يرى أصحاب المنحى البنائي أن الاتجاه هو بمثابة تقييم سالب أو موجب لموضوع ما ، الأمر الذي يعكس و جهة النظر التقليدية للاتجاه على إنه يتكون من :-
- ١ - جانب معرفي .
  - ٢ - جانب انفعالي .
  - ٣ - جانب سلوكي (Katz ١٩٦٠) .

وفي محاولة حديثة للتعريف نجد ايجلى و شايبكين chaikem & Eagly ، ١٩٩٣ يعرفا الاتجاه على أنه عملية نفسية يمكن ترجمتها إلى تقييم محدد بالقبول أو بالرفض أو بدرجة من كليهما إزاء موضوع الاتجاه .

و يشتمل هذا التعريف على التقييم الذي يتضمن المكون المعرفي الظاهر و الكامن و القصد و السلوك . و يشير المكون المعرفي إلى المعتقدات و الآراء و الأفكار التي تعبر عن موضوع الاتجاه . و يشير المكون الوجداني إلى التقييم بالحب أو بالكراهية لموضوع الاتجاه و الذي قد يعكس قيم الفرد . بينما يشير المكون السلوكي إلى المقاصد و النوايا و السلوك الفعلي المصاحب للاتجاه .

و يطرح نيوكمب وزملاؤه (Newcomb, ١٩٥٠) تعريفاً للاتجاه على أنه مفهوم استعدادي متعلم يهيئ الفرد للاستجابة بصورة أكثر اتساقاً مع المفضل و غير المفضل بالنسبة لموضوع الاتجاه .

و يفترض النموذج الثلاثي أن هناك اتساقاً بين مكونات الاتجاه و لكن الناس عادة ما يسلكون و يتصرفون بطريقة مغايرة . و يقر أصحاب هذا المنحى هذا التناقض بأنه أحد مظاهر الحياة الإنسانية .

طرق قياس الاتجاه :-

تشير الأدلة إلى اهتمام علماء النفس الاجتماعي بصورة مكثفة - خلال النصف الأول من القرن العشرين - بأساليب قياس الاتجاه ، و قد تراوح ذلك ما بين توجيه الأسئلة المباشرة للأفراد أو الملاحظة المباشرة . أو بصورة غير مباشرة من خلال الاعتماد على الاستجابة الفسيولوجية للفرد .

- و بصفة عامة تكمن أهداف القياس في ميدان الاتجاهات على الحصول على إجابات صادقة قدر الإمكان ، و قد حاول الباحثين التوصل إلى ذلك بغية الوصول - إلى جوانب ثلاثة هي :-
- ١ - التعرف على اتجاه الفرد حيال موضوع ما أحياناً، تم معرفة درجة الشدة في أحيان أخرى.
  - ٢ - إجراء معايير التقيين ( ثبات صدق ) .
  - ٣ - التعرف على مدى فعالية برامج تغيير الاتجاهات .

بصورة موضوعية و مثالية في آن واحد فإن طرق قياس الاتجاه يجب أن تعتمد على طريقة تضمن عدم وعي الأفراد و ضمان عدم تأثير ذلك في استجاباتهم ، و كما يرى ( براثويت و لو ( low & Brathwait ١٩٨٥ بأنه يجب على المرء **الحذر من** ابتكار طريقة تعكس صوراً من التمييز الإحصائي بينما تخفق في قيامها بعكس reflect الواقع النفسي بشتى صورة .

و تبدو الحاجة ملحة إلى ذلك في ميدان قياسي الاتجاهات و ذلك نظراً لما نواجهه من مفارقة بين السلوك اللفظي و العملي و لعل المدخل الملائم للقياس الواقعي يتمثل في الاعتماد على الطرق غير المباشرة في قياس الاتجاهات .

و فيما يلي نعرض بصورة موجزة للطرق غير المباشرة و تلك المباشرة في قياس الاتجاهات .

أولاً :- الطرق غير المباشرة في قياس الاتجاهات .

- ١ - الاستجابة الفسيولوجية :-

و تتمثل في استجابة الجلد الجلغرافية أو معدل ضربات القلب و التي تعتمد في القياس على العوامل الانفعالية و أثرها في الجوانب الفسيولوجية وإن كانت نتائج الدراسات تشير إلى انخفاض المؤشرات الدالة على علاقة الاتجاه بالجوانب الفسيولوجية . (Hess, ١٩٦٥) و لكن يبدو أن إمكانية القياس ليست عملية بسيطة بالمقارنة بالتقارير اللفظية مثلاً . و لذا نجد البعض الآخر يؤكد على فعالية التكنيك بالرغم من النجاح المحدود للبحث في هذا الجانب ، و قد يكون مؤشراً جيداً للقياس الموضوعي . ( petty, ١٩٨١ & cacioppo )

٢ - المقاييس الواقعية :-

وتعتمد على مسلمات الاتساق بين الاتجاه والسلوك ، فمثلاً حين تريد قياس الاتجاه الديني لفرد ما فإنه من المفضل أن نلاحظه و هو يقصد دور العبادة ويمارس أفعال الخير .... إلخ

### ٣ - الأساليب الإسقاطية :-

و تعطينا ميزة الحصول على الاستجابة الحقيقية المعبرة عن الاتجاه الفعلي للفرد بعيداً عن التحريف و التشويه .

وبصفة عامة يمكن القول أن الأساليب غير المباشرة لقياس الاتجاهات لها مميزات و عيوبها ، فمن مميزات تقليل أثر المرغوبة الاجتماعية ، و النفاذ إلى الاستجابة الواقعية .

### ثانياً : - الطرق المباشرة لقياس الاتجاهات :-

الطرق المباشرة لقياس الاتجاهات أو ما يعرف بالتقارير الذاتية و التي تشيع في الصحف و المحلات ، و لعل أكثرها طريقة التقدير الجمعي ليكرت ( likert ١٩٣٢ ) ، و **التمايز السيمانتي** لاوسجود Osgood .

### ١ - طريقة "ليكرت" للتقديرات المتجمعة :- ( Likert's summated rating )

طور ليكرت طريقة للقياس في ميدان الاتجاهات تعتمد الوصول إلى تقدير اتجاه الأفراد نحو أي موضوع من الموضوعات و بالتالي يصلح لقياس اتجاهات الأفراد نحو أي موضوع أو قضية . و يتألف المقياس من خمس نقاط أو سبعة أو تسعة بحيث يجعل الموضوع أو النقطة المتوسطة الثالثة حينما يكون المقياس مؤلفاً من خمسة نقاط و الرابعة من سبعة ، و هكذا . و بالتالي تمثل النقطة المتوسطة الموقف الحيادي أي بين التأييد و الرفض .

مثال :-

حينما تفكر في بناء مقياس للاتجاه نحو عمل المرأة مثلاً بهذه الطريقة فإننا نلجأ إلى بناء مقياس متدرج من خمسة نقاط مثلاً كما يلي :-

أوافق بشدة	أوافق	أوافق	غير متأكد	أعارض بشدة	أعارض	العبارات
------------	-------	-------	-----------	------------	-------	----------

١	٢	٣	٤	٥	المرأة أكثر خضوعاً للعاطفة.
١	٢	٣	٤	٥	المرأة أقل إنجازاً من الرجل.
١	٢	٣	٤	٥	المنزل هو المكان الملائم لعمل المرأة .

و كما في هذا المثال يقدم للمفحوص عدة عبارات تتصل بالموضوع الذي نريد معرفة اتجاهه نحوه ، و أمام كل عبارة نضع هذا التدرج ، و الاختيار الذي يقدمه المفحوص على كل عبارة يتم ترجمته في النهاية إلى درجة كلية تمثل اتجاه المبحوث نحو الموضوع تستخدمها في المقارنة بينه و بين فرد و آخر .

فلو فرضنا إن أحد الأفراد استجاب في العبارة الأولى عند (٤) و الثانية عند (٥) و الثالثة عند (٥) أمكننا في هذه الحالة تجميع هذه الدرجات (١٤) و لنا أن نعد هذه الدرجة تقديراً كمياً لاتجاهه المتناقض لعمل المرأة .

و جدير بالذكر إن هذه الطريقة مازالت الأعم و الأشمل في وضع مقاييس الاتجاهات بالإضافة إلى التغيرات التي طرأت عليها وأكسبتها ثقة و فائدة في التطبيقات المختلفة وأحد هذه التغيرات تتمثل في إعطاء درجات سالبة و أخرى موجبة بدلاً من المتصل كما في مثالنا السابق . بحيث تبدأ الدرجة -١ من بداية المعارض و ٢ في قمة الاستجابة . و هكذا بالنسبة للاستجابة المؤيدة . (Pemning ton , D , etal ١٩٩٩) .

٢ - طريقة "أوسجود" للمعاني المتمايزة :- (Osgood's Semantic differential) لم يقصد ( تشارلز أوسجود ) إلى أن تكون طريقته هذه لقياس الاتجاهات و إنما كان اهتمامه موجها لدراسة المعاني و المفاهيم و تحليلها . و تقوم فكرته على أن لكل لفظ أو تصور نوعين من المفاهيم بالنسبة للفرد أولهما وهو المعنى Denotative meaning وهو ما يطلق عليه المناطقة الماصدق أي الأشياء التي يصدق إطلاق اللفظ عليها . فالمستشفى مثلاً هو ذلك المكان المعد لعلاج المرضى .

وثانيهما هو المعنى الانفعالي Conotative meaning وهو يمثل مجموعة المستدعيات التي يثيرها اللفظ أو المفهوم بالنسبة للفرد أي الخبرات السارة أو غير السارة بالنسبة للفرد .

وما يهمنا في هذا السياق وفقاً لأوسجود هو المعنى الانفعالي حيث تمثل دراسة المعنى الانفعالي للموضوعات المختلفة مدخلاً ملائماً لدراسة وتحليل شخصيات الأفراد والتعرف على الاتجاهات نحو الموضوعات التي يتكون منها عالمهم الداخلي .

وعلى هذا الأساس يقوم مقياس أوسجود بحيث يقدم للمفحوص من التصورات التي تشير إلى أشخاص أو حيوانات ..... إلخ وعليه أن يحدد مكانتها بالنسبة له في ضوء طرفين متقابلين من الصفات المختلفة :-

ويتضمن المقياس عنصرين أساسيين هما :-

التصور أو الموضوع Concepts والتي يراد معرفة تقديرها .

مقياس التقدير Rating scale وهو يشبه طريقة ليكرت ولكنه عادة ما يتألف من سبعة نقاط .  
مثال : فيما يلي نجد في وسط السطر عنواناً لمفهوم نريد التعرف على معناها بالنسبة لك ،  
وذلك بوضع علامة ( X ) في المكان الذي يعبر عن معناها بالنسبة لك .

الإسرائيلي

حسن : - : - : - : - : - : - : ( X ) : قبيح

\* حينما يضع العلامة هكذا يدل على مدى انطباق صفة القبيح على الشخص الإسرائيلي وذلك بصفة كلية .

الإسرائيلي

حسن : - : - : - : - : ( X ) : قبيح

\* وفي هذه الحالة يوضح أنه قبيح إلى حد ما .

وبنفس الطريقة فإن اختبار الفرد يعبر عن اتجاهه .

ولقد قام أوسجود وزملاؤه بعدد كبير من الدراسات طبقوا فيها طريقتهم على عدد كبير من المفحوصين الذين ينتمون إلى حضارات مختلفة مستخدمين عدداً كبيراً من التصورات ( الألفاظ ) وطائفة هائلة من مقاييس الصفات . وكان هدفهم من ذلك بيان ما إذا كانت الصفات المختلفة . جيد ← رديء . يمكن أن تنتظم في إطار نظري بسيط بعد استخدام التحليل العملي فوجدوا أن التحليل العملي بطريقة ثيرثون أثبت أن مقاييس الصفات Adjective scales يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً موجباً . وأن هناك ثلاثة عوامل مسئولة عما بين الصفات من ارتباطات موجبة وهي :-

١ - عامل التقييم Evaluative Factor :-

ويصل درجة شبع بعض مقاييس الصفات فيه أكثر من ٧ ، ٠ ، وهذه الصفات :  
حسن ← رديء ، جميل ← قبيح ، خائن ← أمين .

٢ - عامل القوة Potency.F. :-

ومن أمثلة مقاييسه :  
صلب ← لين ، ثقل ← خفيف ، شجاع ← جبان .....  
جبان ..... إلخ.

٣ - عامل النشاط Activity.F. :-

ومن أكثر المقاييس تشبهاً به :-  
سريع ← بطيء ، حار ← بارد .

## الفصل الخامس

### "القيم"



تعريف القيم ..

مفهوم القيم والمفاهيم المشابهة له .

[ القيم والاعتقاد / القيم والاهتمامات / القيم والاتجاهات / القيم والحاجات / القيم والذوايق .

تصنيف القيم :

تصنيف روكيتش / تصنيف ستوب / تصنيف القيم على أساس أبعادها / تصنيف القيم حسب محتواها / القيم الدينية ، السياسية ، الاجتماعية ، النظرية ، الاقتصادية ، الجمالية .

أكتساب القيم :

منظور التحليل النفسي . منظور التعلم الاجتماعي . المنظور الارتقائي .

بعض مصادر أكتساب القيم :

الأسرة / المدرسة / جماعات الرفاق / وسائل الإعلام .

أولاً : تعريف القيم :-

بالرغم من أن مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة في حياتنا اليومية وكثيرا ما نتحدث عن القيم ، ونشكو في أحيان كثيرة من انهيار القيم ، إلا أن التحديد العلمي لمفهوم القيم يختلف بحسب وجهات النظر للمفكرين والفلاسفة والعلماء حسب اتجاهاتهم العلمية والفكرية .

قد يكون من المفيد أن يستعرض مفهوم القيم من الناحية اللغوية كما جاءت في المعاجم العربية ومعاجم المصطلحات المتخصصة وكذلك المعاجم الفلسفية ثم تستعرض المدارس الحديثة والمعاصرة التي تعرضت لتعريف القيم ، وأيضاً المفارقة بين مفهوم القيم والمفاهيم المتداخلة معه .

#### مفهوم القيم في اللغة :

القيمة ، بكسر القاف ، واحدة (مفرد) القيم ، وقيمت السلعة أي ثمنها (الزواى) .  
وجاء في الصحاح : واصلة الواو لأنه يقوم مقام الشيء وقوله تعالى : (وذلك دين القيمة) إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية (الجوهري : ج ه )  
وقال الزجاج : أي ذلك دين الملة المستقيمة ، والقيمة نعت الموصوف محذوف ، أو يقال : دين الأمة القيمة بالحق أي القائمة بالحق (الطبرى ج ه).  
وعن ابن عباس ؓ في قوله تعالى في سورة الكهف ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً \_ قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ..... الآية ) (الآيات ١٠٢)  
قال : أنزل الكتاب عدلاً قيماً ولم يجعل له عوجاً متلبساً .  
وفي مفردات الراغب : تقويم السلعة بيان قيمتها وتقويم الشيء تثقيفه فدينا قيما : أي ثابتا مقوماً لأمر معاشهم و معادهم .  
القيمة في معجم المصطلحات :

\* أنها خاصة تجعل الأشياء مرغوباً فيها .

ما يعلق عليه الإنسان أو مجموعة من الناس أهمية كبرى من حيث قابليته ليكون مبدأ من مبادئ السلوك الأخلاقي أو الإيمان الديني أو الفلسفي ويكون هذا بطبيعة الحال شيئاً مجرداً نسبياً في رأي بعضهم ، مثال ذلك الحرية بوصفها قيمة من قيم الديمقراطية .  
أساس ما يسمى بالحكم التقويمي ، أي ذلك الحكم الذي يمنح المدح أو الذم لصفات يراها المصدر الحكم في المفاضلة بين شيئين أو أكثر ، ويلاحظ أن هذه الصفات تكون بما يميز شيئاً عن غيره لا لما فيه تركيب مادي أو مظهر . وإنما لما في النفس من ميل أو عدم ميل إليه (مجدى وهبه ، كامل المهندس ) هذا التعريف على عموميته يجعل النفس بما لها من استمالات مقياساً للقيم وعندما يكون هوى النفس هو المقياس فقد عرض القيم من دون شك إلى التقلبات والأهواء .

ونتفق في ذلك مع ما ذهب إليه (محمد الهاشمي ١٩٩٨) عندما أوضح أنه إذا كانت النفس بميولها حكما في التقويم ، أي في إعطاء القيمة فإن ذلك يجعلها نسبية اعتبارية ، بل ذاتية ، مما يقوض وحدة الإجماع حولها . لأن الأهواء متعددة والميول أضراب وفنون . وإذا كانت القيمة تبعا لها ، تستمد (مقوماتها) منها ، تعددت الأنظار إليها واختلفت الاعتبارات لذى الأوزاع .

#### القيم في المعجم الفلسفي :

قيمة الشيء في اللغة قدره ، وقيمة المتاع ثمنه . يقال : قيمة المرء ما يحسنه ، وما لفلان قيمة ، أي ماله من ثبات ودوام على الأمر .

وقيمة الشيء من الناحية الذاتية ، هي الصفة التي تجعل الشيء مطلوباً ومرغوباً فيه عند شخص واحد ، أو عند طائفة معينة من الأشخاص ، مثال ذلك قولنا : أن للنسب عند الأشراف قيمة عالية .

يطلق لفظ القيمة ، من الناحية الموضوعية ، على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً أو قليلاً . فإن كان مستحقاً للتقدير بذاته ، كالحق والخير والجمال ، كانت قيمة مطلقة ، وأن كان مستحقاً للتقدير من أجل غرض معين ، كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية ، كانت قيمته إضافية .

يطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل على لفظ الخير بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية . فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل ، كانت قيمة الفعل أكبر . وتسمى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية وهي الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم ، أي الأحكام الإنشائية التي تأمر بالفعل أو بالترك (جميل صليبا ١٩٧١) .

مما سبق يستفاد الآتي :-

معنى الثبات والدوام ، حيث يشير التعريف السابق إلى مدى صلاحية القيم وفعاليتها ويكشف عن دورها الأساسي في بناء الوحدة المعنوية والخلقية للأفراد وتكوين مواد الحكم التقييمي للضمير .

- أن تعلق القيم بعوامل عاطفية أو نفسية كالرغبات والميول قد يجعلها نسبية فضلا عن حصرها دون أخرى لاختلاف النوازع والاتجاهات .

- أن الخيرية كميّار في علم الأخلاق ، بقدر ما تتحقق في الفعل تكسبه قيمة تتفاوت بحسب نسبة التوافق مع الهدف الأسمى المختط ، أو الغائية المنشودة في ذهن ، متبنى الأحكام التقييمية أو التقييمية على حد سواء .

✳ مفهوم القيم والمفاهيم المشابهة له:-

أولاً : مفهوم القيمة ومفهوم الاعتقاد :-

يخلط البعض بين مفهوم القيمة والاعتقاد (المعتقد) حيث يرون أن القيم إنما هي معتقد راسخ لدى الفرد.

لذا قبل عرض لمفهوم القيمة على أنها اعتقاد نعرض لمفهوم الاعتقاد للمفارقة بينه وبين مفهوم القيم .

العقيدة مفرد عقائد Article of faith . وهي جملة من الحقائق الثابتة التي لا تقبل تغييراً أو تعديلاً ، ولا تتأثر بالإنسان ، ولا بالبيئات ولا العصور (أحمد غلوش ١٩٩٨).

العقيدة عقد القلب على علم ثابت عقداً قويا مؤكداً على اليقين التام واليقين الحق . (دائرة المعارف الإسلامية ج ١) والعقيدة منهج تفكير ومنزع سلوك ، يعيش الإنسان على هداه ويتحرك على ضوئه في خاصة نفسه وفي صلواته بالناس جميعاً . (عبد الكريم الخطيب ١٩٩٠) وفي المعجم الوجيز (إبراهيم مذكور) جاء في مادة عقد أن اعتقد فلان الأمر ، أي صدقه وعقد عليه قلبه وضميره فقد جاء في القرآن الكريم ( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان ( صدق الله العظيم .

مما سبق يمكن أن نستخلص :

أن العقيدة هي مصدر القيم والمعايير والأحكام ومنطلق مجموعة السلوك التي يؤمن الإنسان بصحتها ، وهذا الإيمان يأتي عبر فهم عميق للقيم التي تمتلك القدرة على الرد . والمعقدات الميتافيزيقية عندما تنزل القلب أو الوجدان وتأخذ مكانتها فيه ، فإنها تكون محتواه ، وتكون خفقاته وفلسفته ودوافعه وموجهاته وترسم اتجاهاته وقيمه ، وحركته في مجال التفاعل ، وأنماط السلوك التي تقربها الجوارح ، داخل البيئة عندئذ تصبح المعقدات الميتافيزيقية في

داخل الإنسان شاهد عدل ومراقبا يقظا يحافظ على الوجدان من التعثر أو الفساد ، أو الانحراف وتملؤه بأخلاقيات وأفكار ترشده نحو إقامة علاقات سليمة مع معطيات البيئة (الطبيعية والاجتماعية ) . (فوزى فهمى ١٩٩٨ ) أن القيم لا يمكن أن تكون مرادفا للمعتقدات وذلك لأن المعتقد هو حكم أو رأي أو اتجاه يتعلق بالواقع الاجتماعى ، يعتنقه الفرد باعتباره صحيحا وبذلك فهو يختلف عن مفهوم القيمة التى تعد نسقا شبه مقنن يستخدمه الفرد في تقدير المواقف الاجتماعية وإذا كانت القيمة تتصل بما يعتبره الفرد مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه فإن المعتقد يختلف عنها في أنه حكم صادق واقعى (زيدان عبد الباقي ١٩٨١ ) . ولهذا لا يمكن اعتبار القيمة معتقدا .

ثانياً : القيمة والاهتمام :-

من المحاولات الأولى التى ربطت بين القيم والاتجاهات تلك المحاولة التى قام بها (البورت وفيرنون) في وضعهما لمقياسهما الشهير للقيم والذي يعبر أكثر على الاهتمام وليس القيم .

وتبعاً (لروكيتش ) فإن هذا المقياس على الرغم مما حظى به من شهرة وانتشار كمقياس للقيم ، فإنه لا يصلح إلا أن يكون مقياساً للاتجاهات أو الاهتمامات المهنية بصور خاصة ،

نظراً لأنه ضيق نطاق القيم وحصرها في دائرة الاهتمامات فقط (Rokeach, M, ١٩٧٣) . فالاهتمام يعتبر أحد مظاهر القيمة ، وإن كان يساعد في توجيه الفعل وتحقيق الذات لكنه - أي الاهتمام - أضيق من القيمة لأنه لا يتضمن الحالات المثالية أو الغايات وتتميز القيم عن الاهتمامات في أن الأخيرة لا تستوجب الإلزام والوجوب (عبد اللطيف خليفة ١٩٩٢) كما أن الاهتمامات قد لا تتفق مع المعايير التى تحدد ما ينبغى وما لا ينبغى أن يكون (محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون ١٩٧٤) .

ثالثاً : القيم والاتجاهات :-

منذ حوالى ربع قرن ، قال (ميلتون روكيتش) : إن العلماء الاجتماعيين ذوى التوجيه الأمبريقى أولوا - خلال الخمسين سنة الماضية - اهتماماً كبيراً النظرية وقياس الاتجاهات أكثر من نظرية وقياس القيم . وحسب (روكيتش ) فهذا التشديد القوى على الاتجاهات لا ينبع من قناعة عميقة بأن اتجاهات الإنسان تحدد سلوكه أكثر من القيم بل أن ما حدث هو نمو سريع لوسائل قياس الاتجاهات مقترنة - ربما بغموض ما في فهم الفرق المفاهيمى بين القيم

والعلاقة بينهما . وهذا التأكيد المبالغ فيه على الاتجاهات - قد روج للنظرة التي حازت على قبول واسع بأن القيم صعبة التعريف والقياس ، رغم أنها تلعب دوراً أكثر مركزية وأكثر دينامية من الاتجاهات داخل النظام المعرفي الوجداني للشخص .

(Rokeach , M, ١٩٧٣)

فالقيم تختلف عن الاتجاهات في العديد من النواحي يرى (بريثويت ، ولو law & Braithwaite) أن الفرق بين الاعتقادات والاتجاهات من جهة والقيم من جهة أخرى هو أن مفهوم القيم ينحصر في تلك الفئة الخاصة من المعتقدات المستديمة المتعلقة بأشكال التصرف والحالات الغائية من الوجود التي تتجاوز الموضوعات والمواقف النوعية والتي تكون مفضلة من الناحيتين الشخصية والاجتماعية مقابل الشكل العكسي من التصرف أو الحالة الغائية من

الوجود . (law H.G, ١٩٨٥) & Braithwaite)

الاتجاه إذن له موضوع ، أما القيم فلا ، فنحن نمتلك اتجاهات نحو موضوعات محددة تشمل كل شيء ؛ من الاتحاد السوفيتي سابقاً إلى العقاقير ، إلى السيارات الأجنبية . أما القيم فهي أوسع من حيث التركيز وغالباً ما تشتق اتجاهاتنا نحو موضوعات أو عمليات أو أناس معينين من قيمتنا .

كما أن تكوين الاتجاهات أقل تعقيداً من تكوين القيم ، لأن تكوين القيم تحتاج إلى فترات طويلة حتى تأخذ مكانها في السلم القيمي للفرد أو للجماعة ، فالقيم تتميز عن الاتجاهات في صعوبة تفسيرها لأن جذورها ممتدة في حياة الإنسان إلى السنين الأولى من عمره (محمود أبو النيل ١٩٨٤).

ويرى (روكيتش) أن الاتجاه هم تنظيم للعديد من المعتقدات التي تتركز حول موضوع محدد (فيزيقياً كان أم اجتماعياً ، ملموساً أو مجرداً ) أو موقف نوعي ، يهيئ المرء للاستجابة بطريقة معينة . وبعض هذه المعتقدات عن الموضوع أو الموقف تتعلق بمسألة الوقائع facts، وتتعلق أخرى بمسألة التقييم evaluation والاتجاه - على هذا هو مجموعة من المعتقدات التي تتكون من تأكيدات Assertion مرتبطة فيما بينها تؤثر في أشياء معينة خاصة بموضوع أو موقف محدد من حيث أنها حقيقة أو زائفة ، وعلى أشياء أخرى بهذا الموضوع أو الموقف من حيث أنها مرغوبة أو غير مرغوبة .

أما القيم - من ناحية أخرى - فتلزم المرء بالعمل وفق صيغ ( Modes معينة من السلوك (Rokeach, M, ١٩٦٨)

مما سبق يتضح لنا أن هناك فروقا واضحة بين مفهوم القيمة ومفهوم الاتجاه ، ومن الفروق التي حددها (روكيتش) :

- أن الاتجاه يتركز حول موقف أو موضوع معين ، أما القيمة فهي أكثر عمومية .
  - أن الفرد يمتلك عددا من القيم ربما تعدى العشرات بينما تصل الاتجاهات إلى الآلاف .
  - أن مفهوم القيمة أكثر دينامية من الاتجاهات حيث ترتبط القيم بالدافعية .
- رابعاً : القيم والحاجة :-

يرى البعض أن القيم كامنة في التعبير عن رغبات وحاجات وميول واهتمامات الأفراد ، أي أن القيمة لا تكمن في الشيء أو الموضوع ، بل تكمن في ذات الفرد المقيم ومن ثم فإنه يسقط هذه القيمة على موضوع .وبهذا فالقيم من منظورهم تعد (خصائص نسبية)وهي ما يعبر عنها أحيانا بكلمة علاقية Relation . بمعنى أنها قيم مرتبطة بأشخاص معينين ، وليست مجرد خصائص تتميز بها الأشياء ، فهي ترتبط بما هو مرغوب فيه . وبجانب تعريف القيم على أنها الأشياء المرغوب فيها يرى أصحاب هذه الاتجاه أنها تعبر عن حاجات الفرد ، ويعبر (مالينوفكس) عن ذلك بأن ((القيمة هي اتصال قوى وحتمى بموضوعات وقيم أو معايير أو أشخاص ينظر إليهم باعتبارهم وسيلة لإرضاء حاجات الكائن ) (محمد أحمد بيومي ١٩٨١).

يتضح من العرض السابق أن المحاولات التي بذلت لتعريف القيم لم يجانبها الصواب إلى حد كبير . فمحاولات تقديم مفهوم القيم على أساس أنها حاجات أو اهتمامات لم تحدد بدقة مفهوم القيم ، وإنما اعتبرت القيمة مرادفا للحاجة أو الاهتمام ، فقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه في معرض حديثهم عن مفهوم القيمة إلى القول بأنها الحاجة ، وإذا كانت الحاجة هي الافتقار إلى شئ ما إذا وجد تم الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي (حامد زهران ١٩٧٧). فإن ذلك يعنى أن أصحاب هذا الاتجاه اعتبروا القيمة امتدادا للحاجات النفسية والبيولوجية ، هذا منافع لطبيعة القيم التي لا يمكن الوقوف بها عند حد اعتبارها امتدادا لرغبات الإنسان وحاجاته البيولوجية أو النفسية.

فالقيم - على خلاف الحاجات - ليست فطرية ، بل مكتسبة من خلال الخبرة الانفعالية (بصورة مفاهيمية في بعض الحالات ، وبصورة سلبية بالتناضح Osmosis والامتثال في بعضها الآخر) . والقيم هي الرابطة بين الحاجات والفعل ، فهي تفيد في توزيع الانتباه والجهد على مختلف الحاجات ، وهي كذلك الأساس للإنفعالات .

(Encyclopedic Dictionary of psychology, ١٩٨٨)

خامساً : القيم والدوافع :-

تختلف القيم عن الدوافع أنها (أي القيم) ليست مجرد ضغوط لتوجيه السلوك ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك تشتمل على التصور أو المفهوم القائم خلف هذا السلوك بإعطائه المعنى والتبرير الملائم.(عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢). ويمكن التمييز بين القيمة والدافع على أساس الهدف ، فالهدف في القيمة من النوع المطلق ويتسم بالوجوب ، فيقول الفرد : يجب أن أعمل هذا الشيء ، أما الدوافع فيقول أريد أن أعمل هذا الشيء .بالإضافة إلى ما سبق أن الحاجات والدوافع عامة ، بينما تختلف القيم من ثقافة إلى أخرى وكذلك فإن القيم **أشمل** من الحاجات والاهتمامات والرغبات لأنها تسيطر عليها فالحاجة أو الدافع أو الرغبة إلى الجنس أو التملك تنظمها وتسيطر عليها القيم ، التي لا تسمح بتحقيقها للفرد إلا تحت ضوابط يرتضيها المجتمع ، بل كثيرا ما تقف القيم حائلاً في تحقيق بعض الحاجات والرغبات التي يرفضها المجتمع .

واستناد إلى تلك الإشارة الموجزة لما يمكن أن يقوم من اختلاف بين مفهوم القيمة وغيرها من المفاهيم المتداخلة معه في المعنى ، والتي قد تكون مسئولة عن إضافة مزيد من الغموض حول المفهوم ، وكذلك إجراءات قياسه ، يمكننا تحديد وضبط تعريف القيمة .

يتصور البعض أن التعريف الملائم للقيم يجب أن يقوم على أساس نظري وتجريبي في آن واحد ، حيث أن النظر إلى مفهوم القيم على أنه بناء فرض **Hypohetical construct** . يمكن الاستدلال عليه من السلوك اللفظي بالإضافة إلى أن هناك متغيرات أخرى يمكن أن تؤثر في هذا السلوك تجعله متسقا أو غير متسق مع القيمة التي يتبناها الفرد (عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢) .



## تصنيف القيم :

تصنيف القيم من أكثر الموضوعات التي أثارت وما تزال تثير الجدل بين المختصين في هذا المجال . بل أن بعض المفكرين لا يحبذون فكرة تقسيم للقيم أصلا. فيرى (رولو ماي) مثلا أنه توجد مجموعة من القيم في كل مرحلة تطورية في حياة الإنسان ، أي يوجد نمط تطوري في تشكيل القيم . فبعد الميلاد مباشرة ، يكون للحب والرعاية والتغذية القيمة العليا ، وعندما ينضج الطفل تصبح أمور مثل الاستحسان والنجاح ، والمكانة بين الرفاق هي لها القيمة العليا . ومع ذلك لا ينظر إلى القيم الناضجة على أنها ثمرة للقيم التي تم تبنيها من قبل . بل هي تعكس الطبيعة البشرية الأساسية بتأكيدا على الحرية والمستقبل وتحسين الوضع الإنساني (Hergenhalm, 1984) . وعلى الجانب الآخر ، تقف غالبية ذوى الرأي في موضوع القيم ، باتفاقهما على تصنيف القيم ، وإن اختلفت هذه الأغلبية في محاور التقسيم .

- توجد عدة محاور أو أبعاد يمكن على أساسها تصنيف القيم وهي :

بعد الشكل : القيم إيجابية أو سلبية .

بعد المحتوى : مثل القيم النظرية والسياسية والجمالية والدينية ..... الخ .

بعد القصد : فهناك قيم خاصة بالوسائل وأخرى خاصة بالأهداف .

بعد العمومية : فبعض القيم تكون خاصة بمواقف معينة . قيم الدور الذي يقوم به فرد ما (، وهناك قيم تنطبق على مواقف عريضة متنوعة .

بعد الشدة : يمكن تحديد قوة قيمة معينة بالجزءات التي تطبق على مخالفتها ، ودرجة الكفاح في سبيلها .

وفيما يلي سنعرض لبعض من هذه التصنيفات :-

(أ) تصنيف روكيتش :

من أكثر التقسيمات شيوعا ، تقسيم روكيتش للقيم إلى غائية وأخرى وسيلية . وقد اختار روكيتش القيم الغائية من عدة مئات من القيم التي جمعها من التراث البحثي ، ومن الخبرة الشخصية ، والقيم الغائية التي عبرت عنها عينة ممثلة عددها مائة (100) من سكان إحدى المدن الأمريكية ، ومن تلك القيم التي عبرت عنها مجموعة صغيرة من طلبة الدراسات العليا . ومن ثم ، تم حذف البنود التي لم تتماثل مع تعريف روكيتش للقيم وتلك التي اعتبرها

متداخلة سيمانطيقيا أو إمبريقييا مع قيم أخرى .

(law, H.G. ١٩٨٥) & Braithwaite

وتم انتقاء القيم الوسييلية من قائمة تضم (٥٥٥ كلمة) تمثل سمات الشخصية اشتقتها (أندرسون ١٩٨٦ Anderson) من (١٨٠٠٠ سمة) جمعها (ألبورت وأدبرت ١٩٣٦). واختار روكيتش القيم الوسييلية في صورتها النهائية على أساس قائمة طويلة من المحكات . وضمت إحدى هذه المحكات حذف البنود المتكافئة امبريقييا أو سيمانطيقيا ، واختيار القيم التي تعتبر هامة عبر الثقافات والمكانة والجنس ، وتجنب القيم التي ترتبط بقوة مع تحيز الاستجابة القائم على المرغوبة الاجتماعية ( Rokeach, M, ١٩٧١) وعدد القيم الغائية (١٨) قيمة تمثل القيم التي يسعى المرء إليها كغاية في الحياة ، مثل : الحياة المريحة ، والأمان الأسرى والحرية ، والسعادة ، والحكمة ، واحترام الذات . وللقيم الوسييلية نفس العدد ، حيث تمثل قيما يتخذها الفرد وسائل لتحقيق غاياته ، مثل : الطموح الاستقلال ، المنطقية ، الطاعة ، التحكم في الذات ..... الخ .

(ب) - تصنيف (ستوب staup)

وهو تقسيم ثنائي ، ففي تصوره ، تصنف ليس فقط القيم ، بل المعايير والتقمص تحت ما يسميه (الأهداف الشخصية)، التي تقوم بدورها على **توجيهين قيميين مختلفين** . التوجه الأول : توجه المعاوضة الاجتماعية ، ويتميز بالتوجه الإيجابي نحو الآخرين والانشغال برفاهية الآخرين ، والشعور بالمسئولية الشخصية نحو صالح الآخرين ، وتوجه المعاوضة الاجتماعية يدفع الناس إلى إفادة الآخرين وعلى زيادة رفاهيتهم أو تقليل محنهم .

٢ - التوجه الثاني :

فهو التوجه القائم على الواجب أو الإلزام . وتوجه كهذا يؤدي إلى الرغبة في العمل وفق المعايير المقبولة اجتماعياً ، وعمل ما هو صحيح . ورغم أن الرغبة في أداء واجب المرء قد

تدفع غالبا على السلوك الإيجابي، فتحت ظروف معينة . ( Staub, Ervin, ١٩٨١ )

(ج) - تصنيف القيم على أساس أبعادها :

ويتضمن: -١ - بُعد العمومية Dimension of Generality

ويقصد به تقسيم القيم إلى : قيم عامة ، وهى القيم الأكثر انتشارا بين أفراد المجتمع بغض النظر عن مستوياتهم وأدوارهم الاجتماعية واتجاهاتهم ومناطق سكناهم، (وعمومية القيم ) تعنى عند (دوركيم) أنها توجد في الواقع كأشياء وأنها مشتركة بين مجموعة من الناس والجماعات ، ويجد فيها الناس إشباعا لرغباتهم التى يبحثون عنها بين موضوعات مختلفة في مواقف متباينة(محمد سعيد فرج، ١٩٨٩). وفي مقابل القيم العامة توجد القيم الخاصة وهى التى تتصل بطبقات معينة أو مناسبات معينة أو تكون خاصة بأصحاب مهن معينة .

#### ٢ - بُعد الوضوح Dimension of explicitness

وهو البعد الذى يحدد مدى وضوح القيمة ودرجات التصريح بها ، وتنقسم حسب هذا البعد إلى قيم ظاهرة وقيم ضمنية . فالقيم الظاهرة التى يصرح بها ويعبر عنها بالكلام مثل القيم المتعلقة بالخدمة الاجتماعية والمصلحة العامة ، وفي مقابلها القيم الضمنية وهى التى يستدل على وجودها من ملاحظة الميول والاتجاهات والسلوك الاجتماعى بصفة عامة مثل القيم المرتبطة بالسلوك الجنسى (حامد زهران ١٩٧٧).

#### ٣ - بُعد الشدة Dimension of intensity

ويقصد بالشدة درجة إلزام المجتمع بالقيم ، وهذه الدرجة من الإلزام تختلف من قيمة إلى أخرى ، وفي ضوء هذا تنقسم القيم حسب هذا البعد إلى قيم إلزامية وقيم تفضيلية . والقيم الإلزامية هى تلزم الثقافة بها أفراد المجتمع ، ويرى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم عن طريق العرف وقوة الرأي العام ، أو عن طريق القانون ، و هى فى الغالب القيم التفضيلية ذات القدسية التى تشمل الفرائض والنواهي . وفي مقابلها القيم التفضيلية وهى القيم التى لا تتطلب العقاب الصارم الصريح لمن يخالفها ، وإنما يشجع المجتمع أفرادها على الاقتداء بها .(نجيب اسكندر إبراهيم وآخرون، ١٩٧٤).

#### ٤ - بُعد الدوام Dimension of permancy

برغم أن من خصائص القيم أنها نسبية إلا أن هذه النسبية تختلف من قيمة إلى أخرى فهناك قيم لا تزول بسرعة مهما اختلفت الأزمنة وقيم أخرى تزول بعد فترة من الزمان وتقسيم القيم في هذا البعد على قيم دائمة وقيم عابرة .

والقيم الدائمة نسبيا هي التي تبقى زمنا طويلا وتنتقل من جيل إلى آخر مثل القيم المرتبطة بالعرف والتقاليد ، وفي مقابلها القيم العابرة وهي القيم الوقتية العارضة قصيرة الدوام سريعة الزوال مثل القيم المرتبطة (بالموضات) (حامد زهران ١٩٧٧) .

#### ٥- بعد المقصد Dimension of intent

وفي هذا البعد تصنف القيم على أساس الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، ولهذا فهي تنقسم إلى قيم وسيلية ، وقيم غائية . فالقيم الوسيلية هي القيم التي تختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم . (عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢) . أما القيم الغائية فهي القيم الباطنية الذاتية التي تستقل بنفسها في ذاتها وتسمى بالقيم أو المثل العليا .

#### (د) - تصنيف القيم حسب محتواها .

لعل أول تقسيم للقيم - حسب محتواه - هو تقسيم (جوردن البورت) وزملائه علم ١٩٦٠ ، حيث ابتكروا مقياسا يتناول المدى الذي يشدد به الشخص على القيم التالية في حياته : القيمة النظرية ؛ حيث الانشغال بالبحث عن الحقيقة ، والقيمة الاقتصادية ؛ حيث يكون التشديد على النواحي البراجماتية والاهتمام بالمعرفة ذات الصلة بها ، والقيمة الجمالية ؛ حيث يميل المرء بقوة نحو الخبرات الفنية ، والقيمة الاجتماعية ، حيث يعطى المرء الأولوية لبدء والاحتفاظ بعلاقات إنسانية دافئة ، والقيمة السياسية ، حيث ينصب اهتمام الفرد على تحصيل القوة وأخيرا القيمة الدينية ؛ حيث يعطى المرء أهمية كبرى للسعى نحو الوحدة والانسجام مع الكون (Hergenhahn. ١٩٨٤) .

#### أولاً: القيم الدينية Religious values:

لا يرقى أي عنصر من عناصر التراث الاجتماعي إلى المرتبة التي يمثلها الدين بأي حال من الأحوال لما يصنعه في النفوس من راحة وطمأنينة وما يبعثه فيها من أمل وسكينة ، فالدين باعتباره مجموعة من الأحكام يؤمن بها الناس بأنها من عند الله فهو يمارس سلطة قوية على أفراد المجتمع وترتبط في أذهانهم بقدسية وهيبة واحترام. والنزعة الدينية أصيلة في نفس الإنسان (إمام عبد الفتاح ١٩٨٥ ، سيد عثمان ١٩٨٦ ، محمود حمدي زقزوق ١٩٩٤) فالتدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان والحس الديني ، يمكن في أعماق كل قلب بشري ،

بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان ، مثله ذلك مثل العقل سواء بسواء . والغريزة الدينية مشتركة بين كلى الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحيوانية وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو أحد النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ، فمن المعلوم أنه قد يوجد ووجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد أبدا جماعة بغير ديانة (محمد عبد الله دراز ١٩٨٠). إذا النزعة الدينية أصيلة في نفس الإنسان ، وليست شيئا مفروضا عليه من خارجه ، وأنها متوائمة تماما مع الطبيعة الإنسانية ، وأن جحودها وإنكارها يعد شذوذا في الطبيعة الإنسانية وخروجها عليها وقصورا في فهمها . والدين من حيث هو عقيدة نظام أو مجموعة من الحقائق العامة لها تأثير في تكييف الخلق ، إذا صدق الاعتقاد بها وفهمت فهما واضحا قويا . (عبد الكرم الخطيب، ١٩٩٧). من ذلك نسلم أن الحس الديني جزء أساسي في تكوين الإنسان وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعا . والموقف السلوكي في إطار الدين الذي يؤمن به الأفراد تحكمه القيم الدينية المنبثقة من الإطار الديني فقد نجد مجموعة متدينة كأشد ما يكون التدين بحيث يتسم سلوك أفرادها بالتحديد الشديد بحرفية النص الديني والتقاليد الدينية المتوارثة وهي التقاليد التي تتعلق بأجيال سابقة بعيدة في طيات التاريخ ، بينما نجد مجموعة أخرى قد لا نجد للدين الذي تنسب إليه صدى في سلوكها ، فلا نكاد نعرف في سياق تعاملنا معهم أي دين ينتسبون إليه .

وقد تعددت الدراسات التي تناولت التدين والقيم الدينية والمتغيرات الأخرى ، ففي دراسته عن تطور القلق توصل (أحمد عبد الخالق ١٩٩١ ) إلى أن ارتفاع معدل القلق لدى الأفراد راجع إلى تدهور القيم الدينية والأخلاق . وعن التقبل الاجتماعي والإيمان بالله فقد وجدت علاقة موجبة بين التقبل الاجتماعي والإيمان بالله (سامية الأنصاري ١٩٨٧) . كما أن البعد عن التدين وضعف التمسك بالقيم الدينية يعد واحداً من أهم أسباب إدمان المخدرات ، وذلك من خلال الدراسة التي أجراها كل من (shontlz & spott ١٩٨٤) عن العلاقة بين التدين وإدمان المخدرات (هيروين - كوكايين) . وعن المجازاة والمخالفة لقيم ومعايير المجتمع في مصر توصل (على حسين على ١٩٩٠) إلى شيوع نوع من التدين الشكلي وليس المضمون على مستوى الأفراد والمؤسسات ففي الوقت الذي يحرص فيه الأفراد على أداء بعض العبادات ذات الطابع السلوكي الملحوظ مثل الصلاة ، والصوم..... الخ فإنهم يمارسونها أنماطا من

السلوك لا تتفق مع مضمون هذه الشعائر أو ما تدعو إليه ، وهو ما يمثل نوعاً من الانفصام الديني أو المفارقة بين الشكل والمضمون بشكل ينم عن عدم استدماج جيد لمفهوم التقوى والذي يمثل جوهر الأديان السماوية .

وفي عالمنا المعاصر نرى مقدار ما يعانيه الإنسان في العصر الحديث من تمزق نفسي بسبب الفراغ الروحاني الذي يعانيه ، الأمر الذي يجعله كالمعلق بين السماء والأرض ، ليس لديه أساس راسخ يركن إليه ولا إيمان يملأ جوانب نفسه بالسكينة والطمأنينة .. والإيمان هو ما وفر في القلب وصدقه العمل . أي ظهر في السلوك أو الفعل السلوكي قولاً وعملاً .  
تعريف القيم الدينية :

في (إبراهيم مذكور ١٩٧٥) أنها القيم التي تربط الحياة الدنيا بالحياة الآخرة ولهذا الارتباط شأنه في تقويم الأعمال والحكم عليها وخطاب الله هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبح وعلى المباح والمحرم ، والحسن ما وافق الشرع ، واستوجب الثواب ، والقبح ما خالف الشرع ، ويترتب عليه العقاب في الآخرة ، وقيمة الأشياء من حيث ما تحصله من حسن الأفعال أو قبحها .

ثانياً : القيم السياسية Political values :

يرى المشتغلون بالدراسات السياسية أن هناك ثلاث ظواهر سياسية واجتماعية رئيسية محتملة ذات أثر على تشكيل الفكر السياسي في القرن القادم كنتيجة لتحولات التسعينات (ثورة الاتصالات) . ، هذه الظواهر هي :

١ - النستولوجيا والعنف المرافق .

٢ - حوار الثقافات وتشكل ثقافة عالمية واحدة .

٣ - حرب المعلومات وتحولات الاقتصاد .

والنستولوجيا Nostalgia - عبارة عن توق غير سوي للماضي ، أو إلى استعادة وضع يتعذر استرداده ، وهو وضع ناتج إلى حد كبير عن عدم قدرة الذات على التكيف مع المستجدات والمتغيرات ، خاصة إذا كانت متسارعة وعظيمة الأثر ، وعدم القدرة على الاندماج الاجتماعي ، ومن ثم خيبة الأمل من تحقق التوقعات ، إنها نوع من أنواع اغتراب الذات إلى حد كبير (تركي الحمد ١٩٩٦) ومن اغتراب الذات نجد الاغتراب السياسي political alienation . ومظاهره

تتمثل في العجز السياسي الذي يتضمن أن الفرد المغترب ليست لديه القدرة على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسي وكذلك تغيب عنه المعايير التي تشكل النظام السياسي . وهو ببساطة شعور الفرد بأنه ليس جزءا من العملية السياسية ، وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حساباً . (أحمد خيرى حافظ ١٩٨٣).

والنظام السياسي مسئول عن قيم الناس وسلوكهم وأخلاقهم ، فالسلطة تتبنى قيما في مراحل معينة ، بينما تعمل على تقليص دور قيم أخرى ، وبمواقفها وسلوكها تضيء شرعية على بعض القيم وتسقط شرعية قيم أخرى ، أي أن ممارسات السلطة وإقرارها لأوضاع معينة ، أو حتى تغاضيها عن تلك الأوضاع ، هو بمثابة إشارات أو أجازات مرور. تدعم قيما معينة وتروج لها ، فممارسات السلطة ليست مجرد جولات سياسية أو حسابات اقتصادية ولكن هذه الممارسات تغرس قيماً (أحمد أنور ١٩٩٣). ومن الثابت أن الإنسان يتأثر في سلوكه بقيم معينة يكتسبها من البيت الذي تربى فيه ومن المجتمع الذي يعيش فيه .

والمراهق في وقتنا الحاضر ، وهو رجل عام (٢٠١٥) الذي ستؤول إليه المسؤولية في كافة مجالات الحياة فإن لم يستدمج بداخله القيم التي توجه سلوكه بإيجابية نحو تحقيق الأهداف المرجوة وتأكيد الانتماء الفعلى للوطن . وإن كان غير ذلك فكثير من الصور السلبية التي نراها في ممارسات كثير من رجال اليوم ستكون الغالبة ، بل أن المشاركة السياسية للشباب التي لم تتجاوز حاليا نسبة معقولة مما يؤكد أن غالبية الشباب تدير ظهرها للحياة السياسية ، ستكون أضعف وأقل مما هي عليه الآن .

لذا من الضروري أن تعنى الأنظمة السياسية بالقيم السياسية وتعمل على ترويجها لأهميتها للفرد والمجتمع . فمثلاً.. تحمل المسؤولية كقيمة من القيم السياسية تمثل ضرورة للفرد لكي يحقق التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، كما أن الإيثار فضلا عن كونه أحد علامات الصحة النفسية فهو ضرورة لازدهار للجماعات وقدرتها على تحقيق أهدافها . (فرج طه ١٩٩٧) .

كما أن الديمقراطية واحترام الملكية العامة والعمل الجماعي تعد قيم ضرورية لتحقيق الاستقرار والتقدم للمجتمعات ، فضلا عن أنها قيم إيجابية تلقى الحث والتأييد من خلال التراث الديني - خاصة الإسلامى - مما يعزز من انتشارها بين أعضاء المجتمع ، هذا فضلا عن تأكيد مؤسسات التنشئة المختلفة عليها فالمقررات الدراسية ، ووسائل الإعلام ... الخ تعمل كل منها على توجيه الأفراد وإلزامهم بها

ثالثاً : القيم الاجتماعية Social values :-

كلما تعقد المجتمع كلما اشتدت حاجتنا إلى فهم أنفسنا فهما صحيحا بصورة أشمل وأعمق ، فالمجتمعات الحديثة متقدمة كانت أو نامية تزخر بالأسباب والدوافع العديدة للإضطراب النفسى ، مثل الضغوط الاجتماعية والمعيشية وتغير القيم السريع وتناقضها والتمزق والضياع .

ومن الثابت الآن عند المؤرخين ، وعند علماء النفس والاجتماع ، أن سلوك الناس وأخلاقهم مع أنفسهم ومع الناس ، ليست أبنية ذاتية خالصة يصنعها الفرد لنفسه بعيدا عن المجتمع ، وإنما هى - شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان - نتاج تصنعه أوضاع المجتمع من ناحية وأداة تؤثر في المجتمع وتسهم في تغييره من ناحية أخرى. (أحمد كمال أبو المجد ١٩٨٥) .

ومجتمعنا العربى عامة ، والمصرى خاصة ، شهد - ومازال - خلال السنوات الأخيرة صور عديدة لمظاهر التحول والتغيير التى شملت مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية ، مما كان له الأثر الواضح على تغير العديد من الأطر القيمة التى يتبناها الفرد وانعكاس هذا التغير فى النسق القيمى على بعض أشكال السلوك والاتجاهات . والقيم الاجتماعية تلعب دورا هاما فى تكوين البناء الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسياسى للمجتمعات ، فهى الإطار المرجعى للسلوك الفردى وهى الدافعة للسلوك الجمعى . (عبد الهادى الجوهري ١٩٨٧) .

ولقد تعرضت القيم الاجتماعية فى مصر لتغيرات فى ظل انعكاسات السوق العالمى إذ تعرض البناء الاجتماعى بوجه عام ، ونسق القيم بوجه خاص إلى مجموعة من التغيرات التى ترجع إلى علاقة التبعية وفتح الأبواب لرؤوس الأموال الأجنبية نتج عنها تهميش Marignalization القيم التقليدية وإحلال قيم سلبية جديدة على قطاعات كبيرة من الشعب بصورة عامة ، وعلى نسق القيم بصفة خاصة (نادية رضوان ١٩٩٧) .

فالقيم الاجتماعية ، شأنها شأن أى جانب آخر فى حياة الإنسان تتأثر بما يطرأ على المجتمع من تغيرات تكنولوجية وتؤثر فيها ، وتختلف تبعا لذلك القيم التى تسود مجتمعا بسيطا عن تلك التى تسود فى مجتمع متقدم تكنولوجيا . إذ بينما تؤكد قيم المجتمع الأول على أهمية



القربة والمسئولية الاجتماعية والجماعية والمكانة الاجتماعية المورثة تؤكد المجتمع الثانى على الكفاءة الشخصية والمسئولية الفردية والمكانة المكتسبة .

وفي ظروف كظروفنا الراهنة حيث نعيش مرحلة انتقالية ينهار فيها الكثير من القيم التقليدية لتحل محلها قيم جديدة ، وتزداد إمكانية التباعد بين الفرد والجماعة وتكثر الشكوى من الآخرين أي من الجماعة ويقوى قطب الفردية وقد يترتب على ذلك ظهور أفكار تشيد بالفردية وتدعو لها ، أما قطب الاجتماعية فيبدأ بتحديد موقع الفرد في الجماعة ودوره وعلاقته بالآخرين وارتباطه بقيم الجماعة الثقافية وخوفه الدائم من أن ترفضه الجماعة وتعزله لاختلافه معها (معن زيادة ١٩٩٠) .

ولقد تسبب الانفتاح في صورته الفجة وخلال أقل من عشرين عاما في نوع من (السيولة الطبقيّة) إن جاز التعبير عن التشوه الذي لحق بالبناء الاجتماعي ، فلم يكن نمو طبقة وضعف أخرى نتيجة ظروف طبيعية خاصة بعمليات الإنتاج والتسويق وغير ذلك من آليات وإنما تبادلت بعض الطبقات المواقع ومسخت بعض الطبقات الأخرى (غالي شكري ١٩٩٢).

ولقد انتهت بعض الدراسات إلى أن جرائم العنف العائلي (كمثال) داخل الأسرة كانت قديما أمرا نادرا يقتصر غالبا على أولئك الذين يعانون من اضطرابات عقلية أو نفسية إلا أن الدراسات الحديثة أظهرت أن العنف داخل الأسرة أصبح واسع الانتشار وأرجعت أن أحد أسبابه غياب قيم الترابط الأسرى والانتماء الفعلى للأسرة ، والصراع بين الأجيال والانتهازية بين أفراد الأسرة وعلى ضعف الوازع الدينى وقلة الخشية من الله .

وقد تبين من فحص وتحليل الإحصاءات لجرائم العنف العائلي خلال الفترة من (١٩٩٥ حتى عام ٢٠٠٠) ، أن جرائم العنف العائلي تمثل نسبة حوالى ١٩.٣% من إجمالي جرائم العنف الأخرى مثل الخطف ، السرقة بالإكراه. (مصطفى سويف ١٩٩٨ ، مركز بحوث الشرطة ١٩٩٠) .

تعريف القيم الاجتماعية :

يرى (جمال مختار حمزة ١٩٩٤) أن القيم الاجتماعية تعد من أبرز عوامل الضبط الاجتماعى غير الرسمية informal حيث تعمل كموجه لسلوك الأعضاء في اتجاه ما هو مرغوب فيه ويفضل ثقافيا . وهذا يعنى وجود ثلاث جوانب أساسية للقيم هي :

\* الجانب الفكرى .

\* الجانب الوجدانى .

\* الجانب التوجيهى أو التنظيمى .

وهذا يعنى أن القيم ببساطة مجموعة من الأفكار المشتركة التى تدور حول ما هو مرغوب فيه ، والتى يرتبط بها أعضاء الجماعة وجدانيا بحكم تمثلهم إياها وكنتيجة للتنشئة الاجتماعية التى تسهم فى تنظيم السلوك وتعديله وتوجيهه وتحديد مضامينه ويذهب (محمد الزلبانى ١٩٧٧) إلى أن القيم الاجتماعية هى كل ما يستثير فى مجتمع إنسانى اهتماما عاما سواء كانت القيمة متمثلة فى موضوع حسى ملموس أو صفة معنوية مستحبة ، ومن شأن القيمة الاجتماعية أن تسد حاجة اجتماعية حيوية أو ترضى اتجاهات نفسية عامة فى عدد كبير من الأفراد ، والشعور نحو القيمة والاهتمام يتصف بالديمومة والاستمرار النسبى ويتمثل الاهتمام فى وجود قواعد سلوكية تبين كيفية التعبير عن أهمية القيم مع وجود جزاءات (مثوبات - عقوبات) الأولى لمن يحترم القيم والثانية لمن ينتهكها ووجود رموز اجتماعية يتم بها التعبير عن احترام هذه القيم أو اكتسابها . ويرى (محمد سعيد فرج ١٩٨٠) أن القيم الاجتماعية هى القيم التى تهتم بالناس والمجتمع ، وتعنى بسعادة الآخرين ، ويعبر عنها بمحبة الناس والتعاطف بينهم ، والإنسان الاجتماعى يقدر الناس بوصفهم غايات ويرى فى الحب الصورة الوحيدة للملائمة للصلات المتعددة بين الناس ، وسلوك الشخص المؤمن بالقيم الاجتماعية يتسم بالتضحية من أجل الآخرين وإنكار ذاته .

فى موسوعة السلوك الإنسانى يرى (بيجن ، وأليسون) أن القيم الاجتماعية هى التفاصيل الثابتة بالنسبة لأنماط معينة من توزيعات الناتج على الذات والآخرين .

ومثال ذلك : تفضيل الحصول على أكبر قدر من المكاسب للذات بصرف النظر عما يحدث

للآخرين . وعلى النقيض قد يفضل موقفا تكون فيه الرفاهية الاجتماعية Collective Welfare

لأطراف متعددة فى حدها الأقصى ، حتى لو أدى ذلك به لتحمل بعض التكلفة الشخصية ، وقد

أضح أن للقيم الاجتماعية تأثيراً ذا مغزى فى اختيار السلوك وإنجاز القرارات فى المواقف

الاجتماعية . (Allison & Beggan ١٩٩٤)

فالقيم الاجتماعية - إذن - هي نمط من القيم يدخل تحته كثير منها . وكما يذكر (جابر عبد الحميد ، وسليمان الخضرى ، ١٩٧٨) فإن أعلى قيمة عند النمط المثالي الاجتماعي هو حب الناس ، سواء أكان فردا أو أكثر ، قريبا أو غريبا .

رابعاً : القيم النظرية Theoretical Values :-

عندما نقرأ في تاريخ التقدم الإنسانى ، نجد أن وقت الفراغ ، كان يمثل المظلة النفسية الاجتماعية الواعدة ، التي تتيح للفكر الإنسانى قدرا أوسع وأعمق على ابتكار الجديد ، وتطوير ما هو كائن ، وتحسين ما هو موجود والبحث عن صورة أفضل للحياة (فرانك جوبو ١٩٦٦) .

وحالياً .. وقت الفراغ أكثر ملائمة لتحقيق الاسترخاء الفكرى ، أو هشاشة الضبط القيمي وبالتالي فهو أنسب الأوقات لنفاذ الطرائف والبدائع إلى النفس ، وهنا تكمن خطورته ، إذا ما تركت هذه النفوس والعقول الخاوية ، أمام الطوفان الوافد يالاحاح من المجتمع الغربى ، في مجالات الثقافة ، والفن والأخلاق ، والأزياء والآداب وغيرها ، وعبر وسائل بالغة الجاذبية ، عبر الصحف والمجلات الأنيقة ، أو عبر الإذاعة والتلفزيون ، وعبر السينما وأجهزة الفيديو ، وعبر شبكات الإعلان والدعاية التي تحاصر الإنسان أينما ذهب . هذا يثير تساؤلا يضعنا أمام مسئولياتنا الجسيمة نحو الأطفال والمراهقين والشباب ويتمثل هذا التساؤل في ما هي القيمة الحقيقية لهذا الكم الهائل من الرسائل الثقافية المتدفقة نحو كل فئات المجتمع المصرى .

والإجابة على هذا التساؤل سنتعرف عليها من خلال المواقف التي صيغت لمعرفة القيم المعرفية (النظرية) التي يدركها أفراد العينة . وذلك لما تمثله القيم المعرفية من أهمية بالغة في تقدم المجتمعات ... فقد أصبحت المعرفة تمثل الجانب الأكبر في تقدير قيمة ثمن منتج ما وليس المواد الخام التي استخدمت في عملية تصنيع هذا المنتج (حسين توفيق إبراهيم ١٩٩٢) وذلك لأن تكنولوجيا العصر تعتمد على نتائج العقل البشرى وعلى حصيلة الخبرة والمعرفة والتقنية .

فالعقل البشرى هو الذي أصبح ينظر إليه باعتباره قوام الثورة التكنولوجية الراهنة ، لذا فقد بات من المقبول بصفة عامة أن مواكبة هذا التطور الجديد الحادث في طبيعة العمليات الإنتاجية إنما تستلزم بالدرجة الأولى استثماراً رئيسياً في نوعيات معينة من المجالات ،

وبالذات تلك التي تتعلق مع مخرجات هذه الثورة والتكيف مع نتائجها.(على الدين هلال ١٩٩٥).

وقد يروعا في يوم ما تلك المسافة التي تفصلنا عن المجتمعات المتقدمة فإننا لن نبقى متخلفين فحسب ، بل أن تخلفنا سوف يزداد . فينبغى أن نهتم بالمعرفة في مختلف نواحيها وأساليب توصيلها إلى الشباب وكيفية استثمارها إيجابياً .

ولأن التغير سنة من سنن الحياة فالمجتمع يتغير شأنه في ذلك شأن كل كائن حي فالمجتمع الذي لا يتغير محكوم عليه بالفناء ، لأن التغير صفة أساسية من صفات الأحياء . والتغير الذي نقصده هنا هو التغير إلى الأفضل والأحسن ، وإذا صح أن (الأفضل) و(الأحسن) يختلفان من حيث المفهوم من مجتمع إلى آخر ، فإن حضارة اليوم قربت بين المفاهيم ووحدتها . والمجتمع - كالفرد - ميل إلى حفظ بقاءه والمحافظة على مفاهيمه وقيمه ومثله ، والمجتمع الذي يهيئ الفرد للحفاظ على بقاءه الخاص يتهياً من خلاله للحفاظ على بقاءه وبقاء قيمه ومثله ومفاهيمه .

والمجتمع الذي لا يقرأ حسابا لِنفسية الشباب ولا يعرف نزعاته واتجاهاته وخصوصياته يدفع بنفسه قدما إلى الفناء ، ويفوت على نفسه في كل حين الفرصة ليبنى كيانه على أسس سليمة . كما أن مجتمعا يقوده شبابه فيتساهل معه ويقبل منه تجاوزا للأخلاق المألوفة وتحديا للقيم المعروفة وتهاونها بالقيم والعقائد التي يحترمها عامة الناس ويقل احترامه للقوانين التي يرضخ لها كل الناس ، فهو مجتمع مريض دب في جسمه المرض وبدأ يأكل لحمه الهلاك ، ونخر في عظامه السوس، فالطاعة في دون خوف ضرورية ، والحفاظ على الثوابت الصلبة **دون** تعصب واجب ، فلا يحجب عنا التقدم أصالتنا ، ولا تشوش علينا البدع استقرارنا ، ولا يمكن أبدا أن ينقلب التطور والتحضر إلى تفسخ وتمتع وانحلال . فبقدر تفهم المجتمع لشبابه والتسامح معه بقدر وقفته الحازمة ضد تياراته الجارفة التي يستلهمها من قصصه وأفلامه ومحادثاته وعسى أن نرى في الحاضر خير شاهد .

مثلاً: فقد قل معدل الزمن الذي يخصصه الشباب وما دونهم لقراءة الكتب والمجلات المتخصصة عما كان عليه في الماضي . كما أنه يستمع من الراديو إلى التمثيليات أقل ويذهب إلى السينما مرات أقل ، ولكنه يشاهد عددا كبيرا من التمثيليات في التلفزيون .. مع

حدوث تغير في المادة التي يستقبلها الشباب عن طريق الوسائل الثقافية إذا قورنت بتمثيلها قبل ظهور التليفزيون . لذا لا غرابة في أن يطلق البعض أن {الإنسان حيوان تليفزيوني} \* .  
كما أن الصفة اللفظية والأسلوب اللفظي تغلب على عمل المدارس وأصبح معيار التعليم قياس المحصول اللفظي لدى التلاميذ .. في حين أنه من المفترض أن للمدرسة وظيفة أعمق وأشمل وهي تعميق الأشياء والظواهر والعلاقات عند التلاميذ . عن طريق خبرات معرفية سليمة تكون منطلقا للتفكير والبحث والتمحيص والإضافة من خلال خبرات تعليمية مستمرة .(مصطفى سويف ٢٠٠٠).

والمعرفة .. هي إدراك الإنسان للعلاقات المختلفة بين الأشياء والأحداث والمعاني المختلفة التي تتضمنها هذه العلاقات . فالمعرفة تمثل مجموعة من الإمكانيات التي تحفز الناس على معاودة بذل جهود جديدة تدفعهم إلى العمل على تحقيق أمور جديدة ، كما أنها تعنى الوسائل المادية والمناهج الفكرية التي توجه التغيير الذي لا بد أن يحدث .

وللمعرفة وظيفة اجتماعية .. فالمعارف والاتجاهات والمفاهيم ليست نتاج عقلي مطلق وإنما هي نتاج متفاعل مع الزمان والمكان الذي يعيش فيه إنسان سواء كان فنانا أو عالما أو أديبا أو صانعا. فأهم مصادر المعرفة وتكوين التصورات الفكرية تلك التي تنبثق من الواقع الاجتماعي ، ووظيفة الإنسان أن يوجد العلاقات بين أنماط من الأفكار والمفاهيم والتصورات المختلفة وبين الظروف الاجتماعية المختلفة التي تظهر فيها (محمد الهادي عفيفي ١٩٧٨) .  
وقد رصد (ذكي نجيب محمود ١٩٨٢) دراسة للباحث الأمريكي (ماكليلاند) توضح أهمية البعد المعرفي من خلال مواد القراءة ، وتوصل فيها إلى أنه كلما ازدادت مواد القراءة التي تبعث على الأمل والعمل ، جاءت النتيجة بعد ذلك بنحو عشرين عاماً ، زيادة في النمو الاقتصادي والعكس كذلك صحيح ، وتوصل أيضا إلى أن البلاد التي تدهورت - إنما يرجع التدهور إلى أنها بالغت في الإشادة بالطرائق التقليدية في الفكر والسلوك.

ومصادر الثقافة الرئيسية هي (الأسرة - المدرسة - وسائل الإعلام) ، ما زالت تعمل في مجموعها بأسلوب متناقض متعارض في كثير من الأحيان؛ فما يكرسه البيت في وجدان الطفل تنفيه المدرسة ، وما تؤكد المدرسة تهدمه وسائل الإعلام ، فخرج الأطفال بثقافة مشوهة ،

\* عنوان كتاب للصحفي / محسن محمد . ويتناول فيه العديد من الدراسات والقصص عن أثر مشاهدة التليفزيون في كثير من دول العالم - صدر عام ١٩٨٤ - مطابع الأهرام التجارية .

محبطة ، انعكست آثارها البعيدة على مستقبلهم . (محمد عماد ذكي ١٩٩٠) . ومع تفاقم الثورة المعرفية والعلمية أصبحت عملية استقراء المستقبل والاستعداد له ، بل محاولة الإمساك به ضرورة ملحة للسيطرة على المتغيرات المتلاحقة والمحافظة على كيان الأمم ووجودها الحضارى.

وهذا لا يتأتى دون دراسة الواقع المعرفي عند الشباب ... من خلال التعرف على ما يدركه من قيم معرفية (نظرية) مرغوب فيها أو عنها . وذلك لأن التغيرات المعرفية و القيمة غالبا ما تكون دالة لأداءات سلوكية معينة - أكثر من أن تكون أسبابا لهذه الأداءات والتكوينات ، والمعارف قد لا تخضع لإعادة تنظيم لكي تتسق مع السلوك- كما تستخدم لتفسير ذلك السلوك .

وقد أشار (ماسلو وموارى) ، إلى أن الحاجات المعرفية cognitive needs تتقابل والقيمة النظرية ، وهى نوع من القيم ، تجعل من يفضلها يسعى إلى الكشف عن الحقائق وبحث أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر ، كما تؤدي به إلى أن يلاحظ ويفكر ويستدل ، أي أن اهتمامات الفرد تركز على ما هو عقلى . ولذا يوجد ارتباط بين الحاجات والقيم حيث يسعى ذوى الحاجات المعرفية إلى إشباعها من خلال تبني قيم ذات طبيعة نظرية تحث على المعرفة (طلعت الحامولى،١٩٧٧) كما أن الرغبة في المعرفة حاجة أصلية مستمدة من صميم الوجود الإنسانى (سعد المغربى ١٩٩٣).

إلا أننا نشير إلى أن مفهوم المعرفة ليس مرادفا لمفهوم العلم . فالمعرفة أوسع حدودا ومدلولا ، وأكثر شمولاً وامتدادا من العلم . والمعرفة بشمولها تتضمن معارف غير علمية ، لذا يمكن القول كل علم معرفة وليس كل المعرفة علما والفرد يظل معرضا للخطأ والسلبية ما لم يعرف معرفة كافية وصادقة ومحددة في ظل أي نظام يعيش ، وما لم يعرف وفق أي القيم والمعايير يسلك ؟ والمهم في المعرفة .. ماذا يجب أن يعرف ؟ لكي لا يصل إلى حالة التنافر المعرفي التي تسبب حالة مؤلمة على المستوى النفسى لصاحبها . فمثلا: هناك فرق بين أن نعرف أي شئ عن الحياة الجنسية من خلال الإطار الدينى والعلمى وبين أن نعرفها من خلال المصادر الإباحية المخالفة لقيم ومعايير المجتمع .

وفي تراث علم النفس يقال أن - المعرفة شفاء - وهي المعرفة التي أشار إليها من قبل القرآن الكريم في أول ما نزل من القرآن ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر :

( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) آية ( ١ ) من سورة العلق

( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) من الآية ( ١١ ) في سورة المجادلة . ( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) من الآية ( ٩ ) في سورة الزمر . صدق الله العظيم فالذي لا يعرف حاجاته ومشاعره الحقيقية نحو نفسه ونحو الموضوعات المختلفة يسقط في مهاوي التخبط وسوء التواصل والاعتراب (الاعتراب الثقافي cultural estrangement) . ولعل في الواقع ما يبين لنا صورة من صور التردى المعرفي في لغة التعامل والتواصل مع الآخرين - وتتمثل في ظهور استخدام مصطلحات وتعبيرات تدل على اللامبالاة والسلبية - مثل (طنش - اشترى دماغك - فتح مخك - أبجنى - للحلوح - الأرنب-.. العلم لا يكيل إلا الباذنجان ، وأخيرا كلمة الروشنة ؟؟... الخ).

خامساً: القيم الاقتصادية :-

لا يغيب عنا ، أننا أحوج ما نكون في هذه الأيام التي نخوض فيها معركة التنمية الشاملة ضد التخلف أن نعيد بناء الإنسان المصرى ليصبح ذا وعى جديد ليدرك معنى وقيمة العمل في الحياة وفي المجتمع وما ترتبط به من قيم إيجابية تبتعد عن طريق الانزلاق ، و الانحراف عن جوهره الإنسانى . والاقتصاد يدخل في الحياة اليومية للأفراد - سواء أدركوا هذا أو لم يدركوه - وبالتالي يؤثر الاقتصاد في كل مفردات التعامل اليومي ابتداء من رغيف العيش وطبق الطعام ، إلى أسلوب العمل إلى البحث عن مأوى وسكن ... ويمتد تأثير الاقتصاد إلى الحالة النفسية للأفراد والقدرة على تخطيط المستقبل .

أي أن قوة المتغيرات الاقتصادية تفرض على المواطن العادى منهاجا جديدا في التفكير وأيضا إعادة النظر في القيم والمبادئ والسلوك الاقتصادى الذي عليه حاليا وما يدركه للتخطيط للمستقبل . فلقد أثمر الانفتاح الاقتصادى من بين ما أثمر عن ظهور فئة جديدة لتشكل فيما بعد طبقة من الأثرياء الذين أثروا ثراء فاحشا ، بلا جهد حقيقى أو نتيجة عمل إنتاجى له قيمة ملموسة في البنية الأساسية للصناعة بهذا المجتمع . (رؤوف توفيق ، ١٩٨٦).

ومن ناحية أخرى لا يغيب عنا أن انتشار السلع الأجنبية في المجتمع النامى يصاحبه بالضرورة انتشار نمط من أنماط القيم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية غريب عن واقع

المجتمع المحلي . كما أن التمتع بالسلع الاستهلاكية التي ينتجها مجتمع غريب ، يفترض أن يصاحبها قيم هذا المجتمع الغريب لتحل محل قيم المجتمع الأصلي ، بمعنى أنه يفترض أن يغير المجتمع قيمة وعاداته وتقاليدته حتى تتفق مع قيم وعادات المجتمع الذي ابتدع هذه السلع .

فمن الملاحظ شيوع الاستهلاك المظهري أو الترفيه منذ مطلع السبعينات وهي ظاهرة ترد عادة إلى ما يسمى بأثر (المحاكاة) أي اندفاع الفرد إلى تقليد غيره ، الأعلى منه دخلا ، في نمط استهلاكه ، وليس ثمة شك في أهمية أثر المحاكاة في زيادة الميل إلى الاستهلاك المظهري ، ولكن من المهم أيضا أن نلاحظ أن أهم عوامل المحاكاة رغبة الفرد في الظهور بالانتماء إلى طبقة أعلى من طبقة الحقيقية أو الأصلية ، ومن ثم فإن من أهم دوافع الاستهلاك المظهري الرغبة في الحصول على رموز طبقية تؤكد الارتقاء على درجات السلم الاجتماعي (جلال أمين العالم ١٩٩٨).

أيضا كان من نتيجة التغيرات الاجتماعية المفاجئة ، حدوث خلل وارتباك في كثير من المفاهيم والقيم . حيث ظهرت تساؤلات في محيط الأفراد تعكس مدى الصدمة التي يعانون منها .. تلك الصدمة التي جعلتهم يتشككون في قيمة العمل الدئوب .. وهل يحقق لهم هذا العمل الدئوب - قدرا من الأمن الاقتصادي للمستقبل ؟ هل سيحقق لهم فرصة الحصول على سكن مناسب ؟ - أو دخلا شهريا كافيا للوفاء بالتزاماتهم وهل سيظل البعض يستمتع بكل شئ من متع الحياة ... بينما آخرون على حافة الخطر والانتظار بلا أمل ؟ (رؤوف توفيق ١٩٨٦).

فهناك إجماع من المفكرين والباحثين على أن التمسك بالقيم قد أضى من قبيل الترف الذي لا يسمح به تغير الأحوال ، وتهون أكثر فأكثر التضحية بالمبدأ والشرف وعلا في الناس قيم الشطارة والقهولة والقدرة على انتهاز الفرص والتكيف مع الظروف المتقلبة والوصولية لأصحاب النفوذ القادرين على فتح أبواب الفرص الجديدة (مصطفى سويف ٢٠٠٠ - غالى شكرى ١٩٩٢ - نعمات أحمد فؤاد ١٩٨٦ جلال أمين العالم ١٩٨٣).

ولأن القيم الاقتصادية تشكل أحد عناصر النسق القيمي للمجتمع الذي يهدف ويخطط ويهدف للتنمية الشاملة - أي في جميع جوانب الحياة . ولأن السلوك الاقتصادي للأفراد يشكل في نهاية الأمر المنحى الاقتصادي في المجتمع فلا بد من معرفة أي القيم التي تحكم هذا السلوك .



بمعنى آخر .. إذا كان المال في المقام الأول هو وسيلة لتحقيق الرغبات وإشباع الاحتياجات وأحد مصادر الأمن النفسى والاجتماعى للفرد ، فمن الضروري أن نتعرف على الصورة الحقيقية للقيم التى تحكم توجهات الأفراد نحو المال والثروة والعمل على اعتبار أن الأفراد هم عصب عملية التنمية.

سادساً: القيم الجمالية Aesthetic values

الجمال من أجمل النعم التى تفضل بها الخلاق المنعم - سبحانه وتعالى - على عباده وأضفاها على مخلوقاته ، فألبسها رداء الحسن ، وزينها بآيات الرواء ، والجمال صفة الحق سبحانه ، فإله جميل يحب الجمال ، وللجمال في الوجود صور متعددة ، يلمسها المتأمل في هذا الفضاء الرحب وهذا الكون الفسيح أرضه وسمائه وبحره .

والجمال روح رقيقة تسرى في المخلوقات وتشع فيها وتشرق عليها ومنها ولا يدرك هذه الروح السارية إلا من سرت في نفسه و أشعت في ذاته فاستشعرها وأحسها وتذوقها وعاشها ، أما أصحاب النفوس المظلمة ، والمشاعر المعتمة ، والأحاسيس المتبلدة ، فإنهم لا يدركون سر الجمال ، ولا يعرفون جوهره ، بل آثاره وآياته المبدعات .والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً.

ونحن نرى الجمال فيما حولنا من صورة مادية ، وأشكال حسية ، فنراه في حديقة غناء ونهر جار ، زهرة يانعة ، وشجرة مثمرة ، ووجه صبوح وطلعة بهية ، وغير ذلك . كما نراه في أخلاق كريمة ، وصفات حميدة ، وخصال طيبة وفي كل ما هو محبب إلى النفس ، مقرب إلى الحس ...

وفي كتابه الشهير {الإنسان ذلك المجهول} يذهب(الكسيس كاريل ١٩٨٠) إلى أنه لا يمكن فصل الإنسان إلى أجزاء ، إذا لو عزلت أعضاؤه إحداهما عن الآخر لما بقى على قيد الحياة. وهذا القول يصح بنفس القدر على وجدان الإنسان وعن فكرة وعقله فإهمال الجانب الجمالى في حياة الفرد ، يعد بمثابة فصل عضو من أعضاء الفرد ، ولعل إهماله أيضا سبب من أسباب مظاهر القبح ، والفوضى الوجدانية ، والانحرافات المتعددة (كالإدمان - الانحراف الخلقى - الهوس الدينى).والوعى الجمالى طاقة نولد بها ، ولكنها طاقة غير محددة الهدف تحتاج الملاحظة والقدرة على تنميتها بنفس القدر الذى تنمي به القوى الأخرى ، ثم تستثير هذه في الإنسان كل ملكاته الإدراكية ، والحركية ، ولكن عوامل المواهب الخاصة تحدد لنا

الاختلاف في التعبير عن هذا الوعي ، بمعنى أن الاستثارة الجمالية تكون أقوى في حالة عنها في حالة أخرى ، فقد يحرك الوعي الجمالي عند تحوله إلى حاجة جمالية تتلبس الإنسان ، فتثير فيه ملكة البلاغة اللفظية فينظم الشعر أو تحرك الميل إلى عمل تكوينات وأحجام فيرسم أو ينحت أو تتحرك فيه القدرة على الخيالات الصوتية المبهمة فيؤلف الموسيقى ... وهكذا . (وفاء إبراهيم، ١٩٧٧) .

وإذا كان الوعي الجمالي هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة في الاختلاف ، و التناغم والمتناقضات ، في المتعارضات ، كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة من الحلول أمام العقل الذي يختار في الأغلب أحد الحلول ، فإنه بذلك يغرس احترام الرأي الآخر ومعتقداته ، ويتعد ذو الوعي الجمالي عن التعصب والتشدد ، وكذلك يجعل الوعي الجمالي صاحبه يبحث دائما عن زوايا جديدة للرؤية فيتجنب الجمود ، وأيضا عن جوانب ومستويات متعددة من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التي تعوق التقدم وتغلق طريق التبادل والحوار الإنساني على أرض يملؤها الاحترام والفهم المتبادل وأيضا التسامح والتقدير (وفاء إبراهيم ١٩٩٧) .

ولعل الوظيفة المدنية العصرية قد قتلت في الإنسان شيئا ما حين دمرت روحه وقادته إلى الصراع المادي .. فأصبح ترساً في آلة ليس عليه إلا أن يدور ولكن بلا معنى ولا جدوى وربما بلا هدف .. ففقد قدرته على الاسترخاء والتأمل ، ومن ثم أصيب بفقدان الشعور بالذات وبمعنى الهدف الذي سعى على تحقيقه .. لأنه فقد الجمال الداخلي الذي يجعل منه إنسانا متسامحا ، متواضعا في غير ضعف ، يختلف مع الآخرين في أدب . وقد انعكس هذا على كل شئ في حياتنا المعاصرة (العمارة - الإعلام التربوية - الأزياء . الثقافة) ، والإبداع الفني كالشعر والمسرح والتصوير والنحت والموسيقى ولناخذ مثلا مجال العمارة .. كمثال .. لما أصبح عليه الشكل الجمالي لكثير من مدن مصر وأهمها القاهرة التي تحولت بعد ألف سنة من إنشائها ، من مدينة عربية ذات طابع معماري هندسي وعربي مميز يتناسب مع الثقافة والحضارة العربية ، ومع احتياجات البيئة وخاماتها إلى غابة من حوائط الأسمنت المسلح العالية ، تتناقض مع طابعها القديم ، فإذا بها اليوم مدينة بلا طابع معماري مميز ، وأنها تأثرت إلى حد كبير بموجة (التحديث) . بل التقليد للعمارة الأوروبية الأمريكية . ولعل الخطاب

الرسمى المصرى حاليا يحاول الإبقاء على ما تبقى من طرز معمارية تتميز بالأصالة العربية والإسلامية يؤكد ما وصفنا به القاهرة وغيرها من المدن التاريخية .كذلك الحال في المجالات الأخرى التى ذكرناها سالفا .. وخاصة الموسيقى والغناء .  
وخلصه ما سبق .. نجد أن الجمال هو الجانب التذوقى أى استمتاع الناس نتيجة لإدراكهم للعلاقات التى يعبر عنها الآثار الناجمة عن التفاعل مع الأشياء .  
أما عن القيم الجمالية ..

بداية يؤكد أن المفاهيم الجمالية غير مستقرة الدلالة في استخدامات النقاد والباحثين لها ..  
والمحاولات التى نجدها تتمثل في جانبين في الدراسات العربية وهما :

- إما تأليف مباشر لصياغة مبادئ أساسية يقوم عليها علم الجمال الأدبى .  
- وإما تطبيق لعدة نظريات ومناهج معاصرة على بعض الظواهر الثقافية والإبداعية لذا ليس من السهل تعريف القيمة الجمالية تعريفا جامعا مانعا ، فالقيمة الجمالية قيمة ثرية متسعة المجال ، متعددة الخصائص والسمات ، كثيرة الارتباطات، فهى ترتبط بالتراث ، وبالوعي الجمعي ، وبالمستوى الثقافى و بالمناخ الاجتماعى والنضج النفسى كما أنها متنوعة الأبعاد وفقا لمستوى رؤية المتلقى ، فهى قد تحقق للبعض لذة ومتعة وتسليه ، وقد تمثل لآخرين احتياج ضرورى يصله بالآخر فى كل صورة .

وفى دراسة حضارية مقارنة عن القيم عرف (عطية هنا ١٩٦٥) القيم الجمالية بأنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق ، وهو لذلك ينظر للعالم المحيط به نظرة تقدير له من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلى ومعنى هذا أن الذين يتميزون بهذه القيمة يكونون فنانيين مبتكرين بل أن بعضهم لا يستطيعون الإبداع الفنى وإن كانوا يتذوقون نتاجه .

-اكتساب القيم :

يستمد الإنسان أسلوب تفكيره وأنماط سلوكه وحدود حرياته ومعالم القيود والمحرمات والتقاليد والمثل ... الخ يستمدها رويدا رويداً من الوالدين وأسرته وحلقاته الاجتماعية فى البيت والشارع والقرية والمدينة والمجتمع الأكبر . ويتلقى الفرد تلك التعاليم سطرًا سطرًا ، ويحتسى

الثقافة المحلية جرعة جرعة .. ويتدرج في العادات الجارية خطوة تلو الأخرى وتبدأ حياة المجتمع للفرد منذ أيام الطفولة . والفرد يكتسب معالم فرديته عن طريق التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها ، وهي عملية مركبة لا غنى للفرد عنها ، تؤثر فيه كما يؤثر الماء والهواء والغذاء ، حتى أن اختياره وإبداعه وما يعتقد أنه من خصائصه المكونة لصميم فرديته تأتيه من الجماعة ، وبالمقابل فإن الفرد يفعل في الجماعة ، وخاصة الفرد المبدع المبتكر ، وينتج عن هذه العلاقة الجدلية أن تأتي ثقافة الجماعة محصلة لشخصيات الأفراد وإبداعهم كما يمتص الفرد عالمه الثقافي يمتص المجتمع إسهامات الأفراد .

ومعنى ذلك .. إننا بقدر ما نبذع واقعنا نكون في الوقت نفسه ناتجه وحصيلته . ونستند في ذلك على ما ذهب إليه (تالكوت بارسونز) إلى أن الفرد يستدخل أو يستوعب قيم النسق بداخله بحيث تصبح القيم الأخلاقية مصاغة بنائيا في شخصيته ، بل وتشكل طاقة اندفاعه الحافز بحيث تصبح حركة الفاعل نحو التوافق وقيم النسق ليس خوفا من سطوتها وعقابها ، بل يصبح ذلك إرادياً . ( على ليلة ، ١٩٨٨ ) .

وقضية استيعاب القيم وإدراكها تمثل حجر الأثاث في المسألة الثقافية بصورة عامة ولدى المتخصصين في علم النفس بصورة خاصة فقد ذهب كلا من (جروسيك وديكس) إلى أن المتخصصين في علم النفس يواجهون تحديا كبيرا يتمثل في استكشاف كيفية استدخال أو

استدماج القيم المجتمعية ، وكيف يتبنى الأطفال قيم واتجاهات معينة . ( Dlx, T., & Grusec, E ) . وفي ذلك إشارة إلى الصعوبة أو الغموض الذي ما زال يكتنف عملية اكتساب القيم، وقبل البحث عن طريق لكشف غموض هذه العملية وفهم دينامياتها نود أن نحدد خطانا ، حيث يفرق العاملون في هذا المجال بين اكتساب القيم وتغيير القيم ، فيحدد

(ريشر Rescher) عملية اكتساب القيم بأنها العملية التي يتبنى الفرد من خلالها مجموعة معينة من القيم في مقابل التخلي مع قيم أخرى . أما التغيير القيمي ويقصد به تحرك وضع القيمة على هذا المتصل ، فالأكتساب يعني وجود القيمة من عدمه ، أما التغيير فهو الدرجة التي يتحدد بها هذا الوجود (Rescher, N., ١٩٦٩) .

ولكى نصل إلى فهم الميكانيزمات المفسرة لعملية اكتساب القيم سوف نعتمد على بعض المداخل الملائمة لذلك في البحوث النفسية مع الاهتمام بالتيارات الرئيسية في علم النفس

كإطارات مفسرة لتلك العملية ، مثل التحليل النفسي ، ونظرية التعلم الاجتماعي والمنظور الارتقائي .

- منظور التحليل النفسي :

طبقا لفرويد (S.Frued) ، فإن الشخصية تتكون من ثلاث أبنية وهي (الهو id) (والأنا ego) ، (والأنا الأعلى suber ego) وهذا الأخير يعكس معايير المجتمع ويناضل من أجل حمايتها ، ينمو خارج الأنا في حوالى الخامسة أو السادسة من خلال التوحد Identification مع أحد الوالدين يستدخل الطفل بعض الأنماط المعقدة من سلوك الوالد وسماته الشخصية وخصائصه ودوافعه ومعايير وقيمه . والأنا الأعلى تحتوى على نظامين فرعيين : الضمير والأنا المثالية . وتتضمن الأخيرة المعايير الأخلاقية أو المثاليات بينما يحكم الضمير وينظم سلوك الفرد ويعاقبه على الانتهاكات من خلال الشعور بالذنب ، وقمع أو إعاقة الدوافع الغريزية النشطة التي تنتهك الميثاق الأخلاقي الذي استدخله الطفل .

و من هنا تكمن أهمية التنشئة الاجتماعية ، و بالأخص الوالدية ، و التي تضم التفاعل المبكر و الدائم بين الوالد و الطفل في عملية اكتساب القيم . و إن كان بعض منظري التحليل النفسي ، و الذين يطلق عليهم ( المتخصصون بسلوكية الأنا ) مثل (فلوجل flugel) ، و ( ستلج settleg) ، حيث يؤكدون على الدور المهمين لعمليات الأنا - بدلا من الغرائز - في تطور الشخصية ، و يبنذون فكرة أن السلوك الأخلاقي و القيم يمثلان ببساطة في استدخال القيم الوالدية والمجتمعية عند سن الخامسة أو السادسة ، ويعتبرون التوحد والتطور الأخلاقي في عمليات إبداعية مستمرة تمتد إلى المراهقة والرشد . وعلى الرغم أن الوالدين قد يساهمان في المحتوى الأساسى للأنا المثالية للطفل فإن صور التوحد مع الآخرين ذوى الأهمية (المدرسين - أتراب - الرؤساء ..الخ ) . يبدو أنها مؤثرة في تغير التوجيهات الأخلاقية والقيم تصاحب النضج في بنية الأنا كالتغيير من العطف الأخلاقي إلى العطف التلقائي ومن الخوف إلى الأمن ، ومن التبعية [استخدام المعايير الخارجية ، ومعايير ذو السلطة في اتخاذ الأحكام الأخلاقية ] . إلى الذاتية (التلقائية ) ويستطرد (ايزنبرج ومينوس) أن لمفهوم التوحد أهمية كبيرة في استدخال القيم الإنسانية والمجتمعية ، فإذا كان الوالدان يتسمان بخصائص وقيم إيجابية قد يتبنى أطفالهم هذه الخصائص من خلال التوحد ( Mussen &Eisemberg

(١٩٨٩، وتضيف (جروسيك ، وديكس ) ، أن التوحد يتم كذلك مع قيم واتجاهات الوالد المخيف (التوحد للمعتدى) .

- منظور التعلم الاجتماعي :

يرى أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي أن الطفل يكتسب الضمير أو مجموعة المعايير الداخلية والتي في ضوءها يحكم على ما هو مناسب وغير مناسب من أشكال السلوك بنفس الطريقة التي يكتسب بها الدور الجنسي الملائم للثقافة .فالفرد يتمسك ويتبنى قيما معينة ، لأن السلوك المعبر عنه له عائد مدعم وبالتالي فإن القيم تكتسب - في حالة التعلم الاجتماعي - من خلال تدعيم مجموعة أنماط السلوك الذي يعبر عن هذه القيمة ، فتصبح القيمة ، قيمة تدعيمية تمثل التدعيم الذي نتج عن هذا السلوك وعلى هذا فإن القيمة تمثل دافعا لسلوك معين . وافترض (باندورا Bandura) أهمية التعلم من خلال النموذج الاجتماعي Social Model والمحاكاة Imitation كذلك التعلم من خلال الخبرة Vicarious learning ويرى أن الأفراد يضعون معايير يحققونها بأنفسهم من خلال ملاحظة معايير الآخرين والتدعيمات الفارقة لهذه المعايير ، وينتج عن التمسك بهذه المعايير التدعيم الذاتي - Self Reinforcement بينما يؤدي إنتهاكها إلى العقاب بهذه الطريقة يتم الاحتفاظ بالسلوك مستقلا عن الضبط الخارجي ( Dix & Grusec ١٩٨٦) .

ويعلق البعض أهمية كبيرة على مفهوم التعلم بالملاحظة أو فكرة (الشخص النموذج) في تعلم القيم والسلوك ، فمن خلال عرضه لنتائج البحوث في هذا الصدد يقرر (فيلدمان feldman) أن رؤية شخص يتصرف بكرم وإيثار سيؤدي إلى زيادة سلوك الكرم لدى جزء من المشاهدين ، وبصورة متشابهة ، فرؤية نموذج أناني ينتج عنه سلوك أناني ( feldman, RS., ١٩٨١) . ومن المحتمل أن يكون النموذج الذي هو في وضع قوة وسلطة بالنسبة للطفل أكثر تأثيرا من تلك النماذج التي لا تمتلك القوة أو السلطة ، وبصورة مشابهة فالنموذج الذي يتميز بالدفع والاهتمام بالطفل سوف يكون أكثر تأثيرا . ( phares ١٩٨٨ )

وفي دراسة أجراها (بريان وست . Bryan & West) يعرض فلدمان نتائج هذه الدراسة بأنها أظهرت تأثيرات النمذجة في إبداء سلوك المساعدة ففي الدراسة مر المبحوثون في أحد الظروف التجريبية على رجل يساعد امرأة في تغيير سيارتها عند أحد الطريق السريعة الخطرة ، وبعد ربع ميل على امرأة أخرى تحاول تغيير إطار سيارتها ، لكن هذه المرة بمفردها ويبدو أنها في حاجة للمساعدة . وكان السؤال التجريبي : كم عدد الناس الذين يتوقفون لمساعدتها في المجموعة التجريبية ، مقارنة بمجموعة تجريبية أخرى لم تمر من قبل بالنموذج الذي يقدم المساعدة . أوضحت النتائج أن النموذج كان فعالا ، ففي المجموعة التي لم تشاهد النموذج توقف ٣٥ فرد فقط من أربعة آلاف شخص ، بينما توقف أكثر من ضعف هذا العدد لتقديم المساعدة من المجموعة التي شاهدت النموذج (feldman R,S, ١٩٨٧) .

وبعد مراجعة التراث البحثي عن النمذجة فرض(رشتون) استنتاجا مؤداه أنه عند التعرض لمدة قصيرة لمشاهدة نماذج الأشخاص المهمة في حياتهم ، يمكن أن ينتج لدى فريق من الأطفال زيادة في السلوكيات المساعدة الاجتماعية وبالطبع ، لا يصدق هذا على الأطفال الذين لا يفعلون سوى تقليد النموذج أيا كان ، أنهم يميلون إلى اتباع النماذج التي لها خصائص تدعيمية لهم .(Phares, ١٩٨٨) وفي مراجعة حديثة لنظرية التعلم الاجتماعي تم إضافة بعض العوامل الهامة وخاصة المعرفية منها ، اتخاذ المنظور Taken – perspective حيث تلعب النوايا وعمليات التقييم الذاتي أدوارا هامة في تنظيم السلوك ومن خلال استخدام التمثيلات المعرفية ، يكون بمقدور الأفراد توقع نواتج السلوك والتصرف بطرق يكون القصد منها إحداث الحالة المرغوبة وهم يضعون كذلك أهدافا لأنفسهم بصورة سلبية إذا لم يتصرفوا بطرق متسقة مع تمثيلاتهم المعرفية عن السلوك الملائم ولأن الرضا عن الذات يتلائم مع الحياة وفق المعايير الداخلية ، يخلق الحوافز لضمان ديمومة جهودهم في الحياة وفق المعايير الداخلية ، وبصورة عامة طبقا لنظرية التعلم الاجتماعي ، يلعب القائمون بالتنشئة الاجتماعية دورا رئيسيا في تعلم القيم والسلوك الأخلاقي ، بالإضافة إلى التنظيم الذاتي للأفراد لسلوكهم وفق القواعد والقيم المستدخلة (Eisemberg & Mussen ١٩٨٩) .

من منظور آخر يرى(بتري . Petri, ١٩٨٧) أن القيمة كمكون أساسا تعتمد على الإيمان أو التبنى لأفكار ومعتقدات تشمل الإيمان بأن هناك أشياء أو نتائج معينة ذات قيمة كبيرة (مثل

النجاح الدراسي - الحياة الآخرة) . وعامل آخر هام في القيمة كبناء معرفي هو التوقع ويعنى توقع الفرد أن سلوك ما سوف يحقق له هدف يعتبر ذا قيمة كبيرة ، أيضا أن الفرد سوف ينجح في تحقيق الهدف (أي إمكانية تحقيق الهدف - مضافا إلى ذلك أن هذه المكون المعرفي يحدد نتائج السلوك التي يدركها الفرد بشكل انتخابي ذاتي ، بمعنى أن الفرد يهتم - يدرك - بجوانب معينة من المواقف ونتائج سلوكه . وهذا الانتخاب Selection يحدث من خلال معتقداته وقيمة (البناء المعرفي).

- المنظور الارتقائي :

بينما يسعى المحللون النفسيون للبحث عن القيم والسلوك الأخلاقي في جذور العلاقة الانفعالية للفرد ، ينظر أصحاب هذا المنحى إلى النمو المعرفي ، فقد أراد (بياجيه ١٩٣٢) معرفة كيفية وصول الأطفال إلى الأحكام الأخلاقية عندما يصبحون ناضجين والتبريرات التي يقدمونها عن تصرفاتهم (Phares ، ١٩٩٧). و حسبما يرى (بياجيه) يأخذ الطفل الصغير [ أقل من عشر سنوات ] الأشياء على علتها ويهمل غالبا دقائق الأمور مثل النوايا والمقاصد [التوجه الموضوعي] وعندما ينضج الطفل (بعد العاشرة) ، تصبح الأحكام الأخلاقية مرتبطة بالظروف ونوايا الشخص المتضمنة في الموقف ، أي أن بياجيه ينظر إلى الحكم الأخلاقي على أنه نتيجة نضج العملية المعرفية . (Phares ١٩٨٨) واكتشف (بياجيه ١٩٣٢) أن الأطفال يمرون من خلال مرحلتين متميزتين على الأقل في تطورهم الأخلاقي ، مثل العقلي . فتحي عمر (٨ سنوات) يكون الطفل لديه أخلاقية تابعة Hhteronomous Morality التي تعنى الأخلاقية الخاضعة لقانون شخص آخر ويتم تحديد الصواب والخطأ في ضوء الأشياء التي يعاقب ويثيب عليها الكبار الذين يمثلون رموز السلطة . ويستخدم محركات بسيطة - مثل إتلاف الأشياء - في الاستدلال على رموز الفعل المحتملة للكبار في موقف ما إلا أنه بعد عمر (٨ سنوات) تكون المهارات المعرفية للطفل ناضجة بصورة كافية لتسمح بتطور الأخلاقية التلقائية والتي تستخدم مبادئ هامة مشتقة من أحداث يخبرها خلال المرحلة الأولى ، ولكنها تتضمن الآن مفاهيم القصد والظروف المخففة والطبيعية النسبية لقواعد التصرف . وانتهى (بياجيه) إلى أن الأخلاقية التلقائية الكلية لا يتم الحصول عليها في العادة قبل مرحلة المراهقة المبكرة (Samuel ، ١٩٨١) ، w. . ومثل بياجيه يعتقد (لورانس كولبرج) أن الحكم



الأخلاقي يسير في مراحل ، وإن كان (كولبرج) قد قسمها إلى ثلاث مستويات ، كل مستوى يضم مرحلتين ففي :

- المستوى الأول :

\* المرحلة الأولى : وهي (توجه العقاب والطاعة ) وفيها تعتمد رداءة أو جودة الأفعال على ما إذا كان المرء يعاقب أو لا يعاقب عليها .

\* المرحلة الثانية : وهي التوجه الوسيلى النسبى- وفيها يتجه الأطفال نحو إشباع حاجات ورغبات المرء الخاصة .

\* المستوى الثانى : وهو العرفي ويقع في الطفولة الوسطى - وفيه يتأثر الطفل بالمثاليات الناشئة عن معايير الأسرة والجماعة، وتقع في هذا المستوى :

\* المرحلة الثالثة : وهي توجه الطفل الطيب أو اللطيف وفيها تكون الأفعال الإيثارية هي المرغوبة أكثر من الأنانية .

\* المرحلة الرابعة : وهي : توجه القانون والنظام - وفي هذه المرحلة ينبغى على المرء أن يعمل بمقتضى السلطة والاحتفاظ بالنظم الاجتماعى .

\* المستوى الثالث والأخير " ما بعد العرفي " :

ويقع في مرحلة المراهقة والرشد وفي المستوى يصبح إحساس الشخص بالصواب والخطأ منفصلا عن هوية الجماعة

- المرحلة السادسة : (التوجه العالمى) حيث يتطور السلوك الأخلاقي بمرور الأعوام ،

وتكون المبادئ مجردة شاملة . (phares ، ١٩٩٧)

من خلال عرضنا الموجز لأفكار اثنين من أبرز منظري المنحنى الارتقائى وكما يرى (صامويل) أن استدخال القيم كعملية تطويرية ، ذات طابع استعدادى ، حيث يكون الطفل مدفوعا بالنضج البيولوجى من خلال تتابع تدريجى للمراحل (وإن اختلفنا في عددها) ، وعند وقت معين يظهر الاستدلال الأخلاقي ، والذي يكون متسقا مع المرحلة التى يمر بها ، وهي عملية اجتماعية الطابع حيث لا بد أن يتعرض الأطفال لأمثلة على الاستدلال من مرحلة أعلى مما هم فيها حتى يتقدموا في تطورهم الأخلاقي.

من خلال العرض السابق والذي اختص بتناول كيفية اكتساب القيم من خلال أبرز التوجهات النظرية في علم النفس ، والذي يكشف عن أهمية عملية التنشئة الاجتماعية في هذا السياق

. ومن الثابت أن لكل مجتمع من المجتمعات نماذج وأنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه أفرادها ، حيث تتبلور هذه النماذج والأنماط في شكل صيغ مجردة تشكل ما يسمى بقيم المجتمع ، والتي يحاول المنشئون نقلها للأعضاء الجدد ، بحيث تخلق في النهاية ما يسمى بالشخصية القومية للمجتمع ، ولا يعنى ذلك جعل الأفراد نسخاً متشابهة ولكن بصورة تسمح بالفروق التي تبرزها المتغيرات المختلفة (كالسن- الجنس- المهنة -... الخ )

وعندما ننتقل إلى تبنى المنشئين لقيم المجتمع ومدى التزامهم بها يأتي على قمة هؤلاء المنشئون الوالدان والمدرسون وقادة الفكر والرأي في المجتمع والذين يقع عليهم عبء عملية نقل قيم المجتمع ، والذين يتوقف فاعلية دور كل منهم على مدى التزامهم بتلك القيم أو بالأحرى تشابهها مع قيمهم ، وإذا سلمنا جدلاً بالتزام الوالدين بتلك القيم ، فهل يمكن نقلها للأبناء خاصة من هم في مرحلة المراهقة ؟ وخاصة ما يقال عن وجود تعارض بين قيم الآباء والأبناء في هذه المرحلة ، ولاستجلاء ذلك فقد اهتمت بعض الدراسات بالوقوف على هذا الأمر

- فمثلاً وجد ( باتشمان ، وأوميلي ، وجنسون ، Bachman Omally, johnson ) ، أن قيم طلاب السنة الثانية من المدرسة العليا تتوافق مع قيم الوالدين أكثر بكثير مما يفترضه الكثيرون عن وجود صراع بين قيم الآباء والأبناء فهناك تشابه بينهما خاصة القيم الأساسية مثل الأهداف التعليمية و الطموحات المتركة على المستقبل ، كما يستمر المراهقون في تأييد الوالدين في

القضايا المتصلة بالمجتمع و المسائل الأخلاقية ( karen owens, ١٩٩٣ ) أما عن قيم الأتراب التي قد تتعارض مع القيم الوالدية ، تضيف (كارين أوينز ) بأن مثل هذا التعارض قد لا يقع فيه المرء خلال فترة المراهقة أو لا يقع فيه كل المراهقين و طبقاً للبحوث فإن امتثال المراهقين يعتمد على نضجهم و نمو علاقتهم بوالديهم و لعل الأخيرة هي المتغير الحاسم في هذا الشأن حسبما تشير أدبيات البحوث في التنشئة الاجتماعية فتوحد الابن بقيم و معتقدات الأب يتم في حالة كونه إيجابياً و جذاباً بالنسبة للابن و على هذا فإن المراهقين لا يختلفون بصورة عامة عن والديهم في القضايا ذات المغزى ، و أولئك الذين لهم علاقة وثيقة بوالديهم

قد يختارون الأتراب المتشابهين لنظامهم القيمي أكثر من المتعارضين معهم ( karen owens ) .  
و عن التوافق بين قيم المعلم و تلاميذه ، أظهرت دراسة ( فؤاد أبو حطب ١٩٧٤ ) أن التوافق يرتبط بأسلوب المعلم وعلاقته بتلاميذه فأسلوب التقبل يؤدي إلى تحقيق التوافق بين القيم

الاجتماعية للمعلم و تلاميذه ، و أسلوب الدفاء و الصداقة يؤدي إلى الانتماء ، بينما كان لأسلوب المعلم الذي يتسم بالتمركز حول العمل إلى التوافق في القيم النظرية .  
و تشير نتائج الدراسات التي اقتصت بالوقوف على دور قادة الفكر في (مصر) في نقل القيم إلى تدني دورهم ، فمثلاً في إحدى الدراسات التي أجريت على عينة منتقاة من القادة في المجالات المختلفة و الذين يفترض فيهم أن يكونوا المثل و القدوة في الانتماء و التفاعل الإيجابي ، كشفت النتائج عن ضعف انتمائهم و عدم قدرتهم على التأثير بشكل إيجابي و فعال من ناحية أخرى حيث يمارسون سلوكيات لا تختلف عن العامة ( مجدة أحمد ، ١٩٨٥).

و من الجدير بالذكر إن هناك إشارات متعددة لانخفاض الانتماء لدى المثقفين عموماً فمثلاً ما تطالعنا به الصحافة - خاصة القومية - عن ممارسات سلبية لسلوكيات الصفوة السياسية و الذين من المفترض أنهم يمثلون القدوة الطيبة للجماهير .

من هذا المنطق قد يكون من الطبيعي أن تقل قدرتهم على التأثير في الآخرين (المواطنين) فسلوكياتهم لا تتفق و الشعارات التي يطرحونها و لا يلتزمون هم بتنفيذها مما يفقد المصداقية و يعلق ( عبد الرؤوف ثابت ١٩٩٥) على دور المثقفين في المجتمع المصري الآن بأنه انحصر في اتجاهين :-

أ - مداينة الحاكم على حساب الصالح الاجتماعي .

ب - وقوف المثقفين موقف اللامبالاة لما يحدث في المجتمع فلا يضيقوا دعماً أو يمنعوا خطأً .

و عموماً يمكننا أن نرصد وجود فجوة بين قادة الرأي و الجماهير العريضة و بالتالي لنا أن نتوقع غياب فاعليتهم . و لذا يدعو (فرج طه ١٩٩٣) كافة المثقفين و قادة الرأي لأن يجسدوا بسلوكهم الفعلي القدوة الصالحة لمواطنيهم .

- بعض مصادر اكتساب القيم :

لقد أصبح من الضروري أن نتعرف على مدى الالتزام بالقيم الإيجابية و مدى فاعلية التنشئة الاجتماعية و مؤسساتها في بث القيم المرغوبة لخلق شخصيات الأفراد بما يتفق و أهداف المجتمع ، و ما يضمن لنا الاحتفاظ بذاتنا الثقافية وسط الخضم الهائل المتدفق من الرسائل الثقافية عن طريق الأقمار الصناعية التي جعلت من العالم قرية صغيرة و لعل أحد وأهم و أخطر وظائف التنشئة الاجتماعية في الوقت الراهن هو الحفاظ على الهوية و الملامح المميزة

للمجتمع المصري ، بما تعكسها من تراث حضاري ثقافي يمثل البناء الأساسي للشخصية المصرية .

والتنشئة الاجتماعية عملية يتم بمقتضاها تأهيل الفرد لكي يصبح قادرا على التفاعل ضمن النسق القيمي من خلال أداء أدواره في المجتمع بصورة فعالة وهي عملية مستمرة طوال حياة الفرد ، ويقوم بها مؤسسات عديدة [الأسرة - المدرسة - جماعات الرفاق - وسائل الإعلام - دور العبادة - الأحزاب... الخ] .

وهذه المؤسسات تمارس تأثيرات متباينة على الفرد تبعا للمرحلة العمرية التي يمر بها ففي السنوات المبكرة تلعب الأسرة دورا أساسياً في ذلك ومع اتساع البيئة الاجتماعية للطفل تبدأ جماعات الأصدقاء والمدرسة في ممارسة أدوارها المفترضة في هذا الشأن ، كذلك التعرض لوسائل الإعلام وقد تختلف (أو تتفق) تلك المؤسسات من حيث المبادئ التي تسعى لتوكيدها من قيم واتجاهات... الخ ، وذلك طبقا لظروف المجتمع الاقتصادية والسياسية ... الخ .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك قدرا من التداخل بين تأثير كلا منها في نفوس الأفراد ، بحيث لا يمكن عزل أثر إحداها عن الأخرى ولكن لاعتبارات نظرية نقوم بعرض كلا منها بصورة مستقلة .. كما أننا سنركز على بعضها وليس جميعها وذلك لافتراضنا بأن الأسرة والمدرسة - وجماعات الرفاق ، ووسائل الإعلام ، قد تكون أهم المؤسسات التي تسهم في التنشئة القيمية للأفراد الذين هم في مرحلة المراهقة .

وفيما يلي عرض لصورة موجزة لكلا منها .

-الأسرة:

تعتبر الأسرة من أهم عناصر التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والقيمية بصفة خاصة ، وتكتسب الأسرة هذه المكانة لكونها البيئة الاجتماعية الأولى التي تتولى الفرد منذ حياته المبكرة وتعمل على إشباع حاجاته الأساسية ، كما أن التفاعل بين الأسرة والفرد يكون أشد كثافة وأطول زمنا هذا إلى جانب العلاقة الانفعالية التي تربط الفرد بالأسرة . وتعتبر فترة ما قبل المدرسة من أهم الفترات التي تتشكل فيها ملامح شخصية الطفل المستقبلية وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي ، والذي يؤثر بالطبع على قيمه وسلوكه مستقبلا ، وتعد هذه المرحلة من أهم الفترات النمائية لما يحدث فيها من تشكيل (الأنا) وبداية نمو الضمير أو (الأنا الأعلى) والذي يتشكل عبر أساليب التنشئة الوالدية والملاحظة والتقليد مما يسهم في استدماج القيم والمعايير والاتجاهات التي تتميز بها الثقافة الفرعية التي ينتمى إليها الآباء . [محمد عماد

الدين إسماعيل ١٩٨٦-مصطفى سويف ١٩٨١]. وعلى الرغم من تعدد علاقات الطفل - في مرحلة الطفولة المتأخرة - وارتباطه بالمؤسسات المختلفة كالمدرسة وجماعات الأصدقاء ، إلا أن علاقته مع والديه تؤثر تأثيرا كبيرا في تشكيل الجانب الأكبر من شخصيته وتسهم في توحده مع عدد من الأنماط الثقافية والقيم التي يتكون منها البناء الاجتماعي والسياسي (Langton, 1969).

وانتهى (هربرت هايمان ١٩٥٩, Hyman, H.) إلى أن الأسرة في كل الثقافات تحتل المرتبة الأولى في التنشئة السياسية نظرا لما لوحظ من تشابه بين الآباء والأبناء في المعرفة السياسية والاختيار الحزبي .

كما تشير نتائج البحوث الحديثة إلى أن وجود تشابه بين الأبناء والآباء في الانتماء الحزبي والالتزام بالقضايا والآراء السياسية ، وتوقف القيم والاتجاهات التي يتعلمها الفرد داخل الأسرة على عوامل عدة منها مكانة الوالدين (الأسرة) على السلم الاجتماعي ، ومدى قدرتهما على إشباع حاجاته المختلفة ، ونوع القيم التي يؤمن بها الوالدان بثقافتهما . (سعد جمعة ١٩٨٤)

كما تسهم الأسرة بصورة غير مباشرة في غرس قيم معينة في نفوس الأطفال وذلك من خلال أسلوب التنشئة المتبع فإذا كان الأب متسلطاً في علاقته بأفراد الأسرة فإن من المحتمل أن يؤدي ذلك لدى الأبناء إلى قيم الإكراه و السلبية والخنوع ، و في المقابل إذا كان ديمقراطياً فإنه قد يؤدي إلى غلبة قيم الحرية و المساواة .

و من خلال الملاحظة البسيطة في المواقف الحياتية يكتسب الطفل من الوالدين بعض الاتجاهات و القيم ، و طاعة الأب لتعليمات رجل المرور في الطريق العام ، فالابن يعرف أن هناك نمطاً آخر من السلطة التي تستوجب الطاعة و الاحترام . و هكذا يميل الأبناء عادة إلى التأثر بسلوك الآباء ، مما يجعلهم يميلون إلى تقليد آباءهم أو التوحد بهم في قيمهم ، لكن يتوقف ذلك على مدى كفاءة الوالدين في إرساء دعائم الاحتمام إليهما كنماذج جذابة و مقنعة بالنسبة للابن .

- المدرسة :

تمثل المدرسة المؤسسة الرسمية الأولى التي توظفها النظم السياسية في بث و ترويج قيم معينة تتفق وأهدافها لدى صغار النشء ، ففي معظم النظم السياسية - في الدول النامية بصفة خاصة - يناط بهذه المؤسسة غرس القيم و الاتجاهات التي تراها ملائمة لأهدافها من

خلال المقررات الدراسية التي تقدمها للنشء ، و تكتسب المدرسة أهمية خاصة في ذلك لاعتبارات عديدة منها ، طول الفترة التي يقضيها الفرد في التعليم ، و ارتباط النظام المدرسي بالدولة و خضوعه للسلطة السياسية ، فالتعليم هو الأداة الرئيسية لإحداث التغيير الاجتماعي (langton ,k, ١٩٦٩) ، و يتأثر التعليم بالفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع و غالباً ما يعمل على تدعيمها ، فالتعليم في الدول الدكتاتورية أداة لإعداد مواطن يتفق في صفاته مع نظامها و أهدافها ، حيث الامتثال و الخضوع و يختلف الأمر عنه في الدول الديمقراطية ، حيث يعتبر السبيل لخلق قيم الديمقراطية و الحوار .

و هكذا فإن التعليم في كل الأحوال هو السبيل إلى التنشئة القيمية الملائمة للنظام السياسي و يتم من خلاله نقل المعارف المختلفة بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة و تأكيد الشعور بالوطنية و الولاء و بث القيم و الاتجاهات الإيجابية للأفراد نحو بلدهم و نظمها السياسية و الاجتماعية . لكن كيف تقوم المدرسة بهذا الدور؟ فإنه يمكن تصور دور المدرسة في هذا الشأن عبر طريقتين هما :

المحتوى الصريح للمقررات ، الذي يؤكد بصورة مباشرة على تنمية قيم واتجاهات معينة ، مثل مقررات التربية الدينية ، و التربية الوطنية ، و الدراسات الاجتماعية و اللغة العربية .

المحتوى غير المباشر أو ما يسميه علماء التربية ( المنهج الخفي - hidden curriculum ) و الذي يتمثل في طبيعة النظام المدرسي و ما يحويه من أنشطة و فعاليات تصاحب المقررات ، و التي قد تساند أو تعارض ما تؤكد المقررات الصريحة، بالإضافة إلى دور المدرس أيضاً و قيمه .

و بدءاً بالمحتوي الصريح للمقررات الدراسية ، نجد أن معظم النظم السياسية قد درجت على تخصيص مقررات معينة لإكساب التلاميذ المعلومات و المعارف التي تعينهم على فهم بناء المجتمع و نظامه السياسي و يشمل هذا المعرفة بحقوق وواجبات المواطنة و توزيع السلطة في المجتمع ، و تأكيد القيم الوطنية التي من شأنها خلق الانتماء و الولاء للوطن فالتربية الوطنية في مصر على سبيل المثال - كمقرر دراسي يناط به تنمية مجموعة من القيم الإيجابية و التي تنمي لدى الأفراد الانتماء و الولاء للوطن ( وزارة التربية و التعليم ١٩٩٦/٩٥ ) و يسهم في ذلك أيضاً بعض المقررات الأخرى كالتربية الدينية والدراسات الاجتماعية .

والمستقرئ لأوراق العمل والتقارير الرسمية والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها السياسة التعليمية في مصر من السبعينات وحتى الآن يجد أنها قادرة على الوفاء بتحقيق الأهداف القومية الكبرى في تشكيل وبناء شخصية المواطن الصالح القادر على تحقيق تنمية ذات مجتمعية .(فكرى شحاته ١٩٨٧) وفي المقابل نجد المفارقة المثيرة للدهشة حيث تشير نتائج الدراسات الميدانية التي أجريت في مصر في هذا السياق التي تدني دور المدرسة عموما في إكساب التلاميذ القيم والمهارات المتضمنة في تلك المقررات ، فضلا عن بروز اتجاهات وقيم سلبية لدى التلاميذ .(سمير خطاب ١٩٩٩).

فالقضية ليست في روعة المقررات وحبكتها الفنية ، أو مدى تحميل تلك المقررات أفكار معينة ، ولكن الأكثر أهمية هو تفاعلها مع معطيات الواقع؛ فالأهداف والقيم التي تشيع في المقررات الدراسية بدون الجو الملائم من مناح اجتماعي ومعلم يؤمن بتلك القيم تصبح غير ذات قيمة ، ولا تؤدي إلى النتائج المرجوة منها .

ومن الجدير بالذكر أن المدرسة تبلغ أقصى درجات الفاعلية في التنشئة القيمية إذا كان ثمة تطابق بين ما تنشره المقررات الدراسية وما يعايشه الفرد من خبرات ، فحينما تؤكد المقررات مثلا على قيم المساواة والإخاء والترابط وتنطوي معاملة المدرسين للطلاب على عكس ذلك ، فإن هذا بلا شك يؤدي للتناقض وليس للتطابق ، فالمناخ المدرسي له أهمية كبيرة إلى جانب المقرر الدراسي، ففي كثير من البلاد المتقدمة نجد أن التربية تنمي لدى النشئ منذ نعومة أظفارهم الروح العلمية ، ويساعد على ذلك الألعاب والكتب والأغاني والقصص التي تعزز الدافع للإنجاز والترقي الذاتي .

وإذا انتقلنا إلى المحتوى غير المباشر والمتمثل في الجو المدرسي ودوره في إكساب وترسيخ القيم بأنواعها . فنجد الأنشطة المختلفة التي يتم تنفيذها وتسهم في إكساب الطلاب المعارف المختلفة . فالاتحادات الطلابية تعد من أهم الأنشطة المدرسية التي قد تسهم في توعية الطلاب بواجباتهم وحقوقهم نظرا لما تتيحه للطلاب من معرفة وممارسة لحرية التعبير وإبداء وتحمل المسؤولية ، وممارسة الديمقراطية ، كما تسهم المعسكرات التي تستهدف تنمية وخدمة البيئة المدرسية والمحلية إلى ربط الطلاب ببيئتهم والحفاظ عليها واحترام الملكية - وروح المنافسة الشريفة والمبادأة والعمل الجماعي والتطوعي .

وبصورة عامة فإن النظام التعليمي الذي يقوم على مشاركة الطلاب وإشراكهم في العملية التربوية يزيد من الترابط بين التلاميذ وينمي لديهم روح المشاركة والديمقراطية وعلى النقيض

نجد النظام التعليمي الذي يعتبر التلاميذ طرفا متلقيا فقط يقتصر دورهم على تلقي المعلومات قد يؤدي ذلك إلى الميل إلى السلبية والانزواء واللامبالاة (عبد المنعم المشاط ١٩٩٢ ) وقد ينطبق على نظام التعليم في مصر الوصف الأخير حيث يعتمد على الحفظ والترديد ويعتبر الامتحانات هي المؤشر الوحيد للتقييم ، مما يعزز النزعات الفردية ويؤدي إلى تفشى السلبية والغش (محمود أحمد موسى ١٩٨٧) . وللمدرس أهمية كبيرة في عملية التنشئة حيث أن المقررات (الموجهة) لا تنتقل إلى التلاميذ بصورة متعالية ، وإنما تتحول إلى واقع من خلال المدرس واتجاهاته وقيمه وسلوكه ، والتي قد تكون مساندة أو مقوضة لأهداف تلك المقررات .

وتشير نتائج إحدى الدراسات التي تمت بمصر بهدف التعرف على اتجاهات المعلمين نحو القضايا السياسية والأفكار التي يتبناها المعلم ، أن النسق الفكري الذي يتبناه المعلم يتميز بالتسلط ، فضلا عن السلبية وعدم القدرة على التعبير عن رأيه ، وهو ما أرجعه إلى مناخ إعداد المعلم الذي يتسم بالمحافظة (كمال نجيب ١٩٨٨) . وتبصرا بأهمية دور المعلم باعتباره القدوة ونموذج السلوك القيمي للتلاميذ نجد البعض يشددون على ضرورة إعداده بصورة تتسق وخطورة دوره ، كما يجب العناية بظروفه الاقتصادية والاجتماعية (على الجمل ١٩٩٦) .

وبصفة عامة فإن المدرسة تعد من المصادر الأساسية في التنشئة القيمية سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وإن اختلفت أهمية هذا الدور طبقا لفاعلية عناصرها (المقررات - الأنشطة - المعلم ) في ذلك .

- جماعات الرفاق :

تضم هذه الجماعات الأفراد المتقاربين في السن أو الوظيفة أو المستوى الاقتصادي ... الخ . وتبدأ منذ الطفولة إلى الكهولة ، وتتكون من زملاء الفصل أو الجامعة أو العمل ... الخ وأهم ما يميز به علاقة الفرد بنظرية التكافؤ والشعور بالندية ، ولهذا تتزايد درجة الترابط بينهم ، كذلك التأثير المتبادل ، ولا شك أن لتلك الجماعات دورا سياسيا في نقل وتعزيز القيم التي يكتسبها أعضاء تلك الجماعات . ولقد برزت أهمية جماعات الرفاق ودورهم في عملية التنشئة عموما ، مع التحولات الاجتماعية التي حدثت في العقود الأخير والتي صاحبها ضعف في الروابط الاجتماعية بين الأبناء والآباء (إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨).



و في مجال التنشئة عامة تمارس جماعات الرفاق تأثيراً كبيراً على قيم واتجاهات أعضائها ( كمال المنوفي ١٩٧٨ ) و يتم ذلك من خلال طريقتين هما :

١- نقل و تعزيز الثقافة ، إذ عن طريق تلك الجماعات يمكن نقل الثقافات الفرعية سواء كانت طبقية أو مهنية . فالطفل الذي ينشأ في أسرة تنتمي إلى الطبقة العمالية يتعلم أسلوب حياة هذه الطبقة ، و إذا انضم في المدرسة لجماعة رفاق تضم زملاء نفس الطبقة فإن ذلك يؤدي إلي تأكيد و تعميق الاتجاهات التي سبق و أن اكتسبها في الأسرة .

٢- غرس قيم و مفاهيم جديدة ، فقد يتعلم الفرد عن طريق جماعة الرفاق اتجاهات و نماذج سلوكية جديدة ، حيث تتيح تلك الجماعة لأعضائها حرية التعبير عن أنفسهم و معاشية أدوار جديدة بعيدة عن التحكم الأسري . و يجب ألا نبالغ في دور جماعة الرفاق ، حيث يتوقف تأثيرها في الفرد علي غياب التنشئة الوالدية ، لكن بقدر نجاح الأسرة ( الوالدين ) في إرساء دعائم راسخة في شخصية الابن بقدر تقلص تأثير باقي منافذ التنشئة الأخرى في التأثير على الابن ، فكلما كانت علاقة الفرد بالأسرة تتسم بالقبول و التشجيع و الدفاء يقل احتمال تأثير الرفاق مثلاً و بالعكس ، خاصة في المراحل المبكرة .

وفي فترة المراهقة فإن الأمر لا يختلف كثيراً من البحوث الحديثة وجدت ( Owens ) أن امثال المراهقين للتوجيه الوالدي يعتمد بصورة كبيرة على نوع علاقاتهم بوالديهم فحينما يدرك المراهق الوالدين على أنهما ذو كفاءة ، ونموذج للدفاء ، فإنهم لا يختلفون عنهم كثيراً في أفكارهم وفي توجهاتهم ، فضلاً عن ميلهم لاختيار الرفاق المشابهين لنظامهم القيمي أكثر من المتعارضين معهم . ( Owens, K, ١٩٩٣, P. ٥٤٢ ) .

وسائل الإعلام:

لم تتفق المراجع العربية أو الأجنبية على لفظة واحدة معبرة عما اصطلح تسميته بالإعلام. فالمصادر الفرنسية تحاول تثبيت مصطلح "الإعلام INFORMATION" لدقته وشموله وتلاؤمه مع التطور التكنولوجي والعلمي. بينما نجد المصادر الأمريكية- السباقية في هذا المضمار- بحكم ازدهار الصحافة وكافة الأجهزة الإعلامية في ولاياتها الشاسعة تُصر على مصطلح "وسائل الاتصال الجماهير MEDIA OF MASS COMMUNICATION" رغم عدم تطابقه الدقيق على كافة جوانب المعنى المقصود. أما مفهوم الإعلام في اللغة العربية ومعنى اللفظة ليس دقيقاً لأنها تعبر عن الجانب النهائي من العملية الإعلامية، ألا وهو إرسال المعلومات،

وتتغافل عن الجانب الأول المعبر عن استقبال المعلومات. جاء في لسان العرب :الإعلام بمعنى التبليغ، ويقال: "بلغت القوم بلاغاً" أي أوصلتهم الشيء المطلوب. والبلاغ ما وصلك، ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية"، وكما يقال: "استعلم لي خبر فلان فأعلمنيه حتى أعلمه". وفي الوسيط "ع ل م": علم الشيء علماً: عرفه وفي التنزيل العزيز "لا تعلمونهم الله يعلمهم". وعلم الشيء، وبه: شعر به ودري وفي التنزيل العزيز "يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين". وأعلم فلان الخبر، وبه: أخبره به ومنها (استعلمه) الخبر: استخبره إياه. و"الإعلام": كل نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير، سواء عبر موضوعياً أو لم يعبر، وسواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزه". نجده أيضاً: "هو نشر للحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة"، وهو "نشر للحقائق والمعلومات الدقيقة الصادقة بهدف التقرير والإقناع"، ويعرفه "أوتوجروت": "أنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت .

"المؤسسة الإعلامية يقصد بها المؤسسات الصحفية أو الإذاعية أو السينمائية العامة أو الخاصة التي نشاطها المنتظم يتضمن جمع ونشر الأخبار والآراء". وعليه؛ فوسائل الإعلام هي الطريقة التي بها يمكن نقل ونشر الأخبار والمعلومات وغيرها، وهي متنوعة فمنها؛ المباشر وغير المباشر. الفردي والجماعي. وأفضل تصنيف لهذه الوسائط الإعلامية المعاصرة بحسب الحواس المتأثرة بها بطريقة مباشرة، كالاتي:

١. وسائل بصرية: وتمارس تأثيرها معتمدة على حاسة البصر مثل: الصحف، والمجلات، والنشرات، والكتيبات الدعائية، والملصقات المطبوعة، والمخطوطة، وغيرها مما يشد انتباه البصر وحده.

٢. وسائل سمعية: وتعتمد على حاسة السمع وحدها ويندرج تحتها إطار الكلمة المسموعة بكافة أنواعها من خطابة وإذاعة وتسجيلات وغيرها.

٣. وسائل سمعية بصرية: وهي تمارس تأثيرها على الأذن والعين معاً، مثل: المسرح والسينما والتلفاز والمؤتمرات وغيرها .

أركان عملية الاتصال الفعالة والإيجابية تعتمد على :

١. العامل التقني؛ أي القناة الموصلة للرسالة مثل؛ الهواء والهاتف والكتاب المطبوع، التلفاز... الخ.

٢. العامل النفسي الاجتماعي؛ العلاقة بين المرسل والمستقبل.

٣. العامل التنظيمي؛ وتظهر أهميته عندما يتجاوز الاتصال لأكثر من طرفين، وهنا يلجأ المرسل لاختيار أفضل الطرق لايصال رسالته إلى الآخرين ومن ثم فأفضل الطرق لتلقي تأثرهم برسالته.

٤. العامل الثقافي؛ فكلما توحدت ثقافة كل من المرسل والمستقبل أو تشابهت أو تقاربت كلما كانت عملية الاتصال أكثر فعالية وأكثر نجاحاً بين الطرفين.

وتعتبر الطرق الثلاثة الأولى؛ هي التي تعمل على تحديد القدرة على إدراك الرسالة وفهمها وإرادة الاتصال وانتقاء قنواته المناسبة.

واللغة الإعلامية تتميز بأنها لغة غير مباشرة، تنتقل عبر أجهزة الإعلام التي تقوم بنقل المعلومات، والقيم بين المرسل والمستقبل. وأن هذه بعكس حال الاتصال الشخصي المباشر بين طرفي الاتصال. وأن اللغة الجديدة تصل إلى الجماهيرية العريضة MASSES، لاسيما في عصر الفضائيات

من الثابت أن وسائل الإعلام ( السينما - الراديو - التلفزيون ..... ) تقوم بدور لا يقل أهمية عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى في عملية التنشئة ، ولئن كان هذا الدور يمثل سلاحاً ذا حدين ، ففي الوقت الذي يتم فيه عن طريقها نقل القيم و المعايير الاجتماعية المتفق عليها بين أفراد المجتمع فإنها في الوقت نفسه تقوم بصورة غير مباشرة بتغيير هذه القيم والمعايير وإحلال أخرى جديدة ( سلبية ) ، مما يؤثر سلباً على شخصية الأفراد . وتظهر خطورة وسائل الإعلام في المجتمعات المختلفة بصورة خاصة في فترات التغيير الاجتماعي الذي يمر به أي مجتمع ، مثل التغييرات التي شهدتها المجتمع المصري في المجالات المختلفة على مدى الخمسين عاماً الأخيرة .

وفي المجتمعات النامية \_ ومنها مصر ( نجد أن وسائل الإعلام تخضع خضوعاً تاماً لسلطة الدولة ، ومن ثم تسخيرها في نشر الاتجاهات والقيم الملائمة مع توجهات السلطة فمن خلال الاستعانة بقيادة الرأي أو المتخصصين عن طريق النشر في الصحف أو عبر البرامج الإذاعية

أو التلفزيون يتم الترويج والدفاع عن تلك القيم والاتجاهات بصورة مباشرة هذا فضلاً عن الأعمال والمواد الأخرى ( المسلسلات - الأفلام ) التي تعني بذلك .  
وتكتسب وسائل الإعلام أهمية خاصة في نشر القيم المختلفة نظراً لتعرض كافة أفراد المجتمع تقريباً من برامج في جميع أنحاء الدولة ، وقد يبدو ظاهرياً أن الفرد لديه القدرة على الاختيار في التعرض لوسائل الإعلام بينما هو في الواقع يخضع بقوة وبصورة منظمة لبرامج مخططة تستهدف نشر أفكار محددة وإرسالها بكافة الوسائل .

وإدراكاً لأهمية وسائل الإعلام وخطورة تأثيرها على المواطن لمصري فقد نشطت الدراسات التي اهتمت بمعالجة هذا الموضوع وتبين أبعاده بصورة موضوعية منذ بداية الثمانينات ففي معرض تقييمها لدور البرامج الإذاعية في تشكيل الثقافة السياسية مثلاً توصلت ( نادية سالم ١٩٨٠ ) إلى غياب دور تلك البرامج في تنمية الثقافة السياسية للمواطنين بالإضافة إلى نظرة الشك التي يبديونها إزاء تلك البرامج ، نظراً لأنها لا تهتم بقضاياهم ومشكلاتهم الفعلية .  
ويصف البعض الثقافة السياسية ( كمثل ) في مصر بأنها تتم بصورة فوقية - تأتي من أعلى إلى أدنى - من السلطة إلى المواطنين دون انتباه لمشكلاتهم وآرائهم مما يسهم في عدم تقبلها واستيعابها بصورة كافية وبالتالي انخفاض الوعي السياسي لديهم . ( زايد ١٩٩٠ ) .

وبالنسبة للأعمال الدرامية في التلفزيون والإذاعية كالمسلسلات فقد حاول البعض التعرف على القيم المتضمنة بها ، وتبين أن القيم السلبية تتفوق على تلك الإيجابية في مضمون تلك المسلسلات ( عدلي رضا ١٩٨٣ ) مما قد يسهم في تبدل قيم المجتمع .  
وبصورة إمبريقية اهتم البعض الآخر بالوقوف على القيم التي أدركها المشاهدون في بعض المسلسلات التلفزيونية والإذاعية العربية ، كشفت النتائج عن تدني القيم الإيجابية وغلبة تلك السلبية ، فمثلاً عدم الأمانة ٩٧% ، التفكك الأسري ٩٢% ، والمادية ٩٠% ، عدم الاحترام ٧٠% ، في حين كانت قيم الترابط الأسري ٥٧% ، الانتماء ٥٥% ( سعدية مرزوق ١٩٩٢ )  
مما يشير إلى أن البرامج الإذاعية والتلفزيونية لا تساعد على تنمية القيم الإيجابية ، وتسهم في نشر القيم السلبية .

كما تكشف نتائج الدراسات التي اهتمت بفحص مضمون الإصدارات الموجهة للأطفال ( الرسمية وغير الرسمية ) والتي تستهدف تنشئتهم قيمياً من خلال ما تبثه وتنشره من قيم واتجاهات إيجابية ، إلى تدني دورهما في تلك ، فالإصدارات الرسمية المتمثلة في المجالات

والكتب التي تصدرها هيئة الاستعلامات و الموجهة للأطفال ، لوحظ عدم وفائها بنقل القيم المرغوبة بكفاءة ( إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨ ) ونفس الشيء وجد في كتب الأدب غير الرسمية حيث أن نسبة القيم الإيجابية التي تحويها كان ضعيفاً ( أسماء غريب بيومي ١٩٩١ ) مما يشير إلى غياب التوجيه الواضح نحو الأهداف و القيم الإيجابية لدى قادة الفكر والرأي والذين من المفترض أنهم على وعي بذلك وبالتالي فمن الطبيعي أن يترتب على ذلك انخفاض أو تقلص دور مؤسسات الإعلام في التنشئة الاجتماعية بصورة إيجابية . وعلى الرغم من أن عملية التنشئة في كافة المجتمعات هي عملية مقصودة إلا أن الأدلة تشير إلى أنه لا يوجد في مصر - أي تصور مستقبلي على المستوى المجتمعي - التنفيذي - لما نريده بعد عشر سنوات من أطفالنا لأنه لا يوجد تصور واضح تلتزم به مؤسسات التنشئة وتتفانى عليه في إعداد الأجيال القادمة .

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نستنتج أن اكتساب القيم على عائق الوالدين أولاً و يليها المعلم ثانياً ، و يساعدهما في ذلك مستوى الإلزام بتلك القيم خاصة التي يعززها الدين و يحث عليها .

## الفصل السادس

## التنشئة الاجتماعية

مقدمة:

- دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية .
- الثواب والعقاب ، الملاحظة والتقليد ، التوحد .
- \* طرق البحث الملائمة لدراسة التنشئة الوالدية.
- سلوك الوالدين الفعلي نحو الأبناء .
- اتجاهات الوالدين نحو أساليب التنشئة .
- أساليب التنشئة الوالدية كما الأبناء .

## التنشئة الاجتماعية

٣- أن موضوع التنشئة بحكم كونه يختص بتشكيل الأفراد في السياق الاجتماعي الذي يوجدون فيه هو السبيل لفهم أنماط الأفراد علي اختلافهم في السوية والانحراف .

٤- تمكننا التنشئة من معرفة مطاوعة الكائن البشرى للمتغيرات الاجتماعية المختلفة ،وبالتالى تساعدنا على إمكانية تعديل سلوك الأفراد وتقويمه أو من حيث إبراز أنماط سلوكية جديدة . الأمر الذى يجعل من دراسة هذه العملية تستند إليها أى خطة إصلاحية أو تقويمية .

والتنشئة الاجتماعية هى تلك العملية التى يكتسب الفرد من خلالها الخصائص الاساسية لمجتمعه ،كما تبدو هذه الخصائص .

فهى اذن عملية توجيه الفرد إلى أنماط سلوكية مرغوبة من قبل المجتمع الذى يعيش فيه ،والبعد عن أنماط أخرى غير مرغوبة ( zigler & chil ١٩٨٩ فكل مجتمع من المجتمعات نماذج وأنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه سلوك أفرادها، وتهدف التنشئة إلى إدماج الفرد فى الإطار الثقافى العام للمجتمع وتعليمه نماذج السلوك المختلفة فى ذلك المجتمع .

ومن خلال الأنماط الشائعة للتنشئة تغرس المجتمعات فى أبنائها بعض سمات الشخصية والقيم والمعتقدات ،والميول والاتجاهات (فوزية دياب ،١٩٧٨) .

ولاتتم هذه العملية -التنشئة الاجتماعية- بصور عفوية ولكن يسهم فيها مؤسسات عديدة فى المجتمع ،وهى :

٤- جماعات الأقران

١- الأسرة .

٥- المؤسسات الدينية

٢- دورالحضانة .

٦- وسائل الاعلام

٣- المدرسة .

وعلى الرغم من أهمية كل تلك المؤسسات ،ودورها الفعال فى عملية التنشئة الاجتماعية . إلا أن أحدا لاينكر أهمية دور الاسرة بصفة خاصة فى إعداد وتشكيل شخصية الفرد ، لاسيما فى السنوات التكوينية الاولى .

دور الاسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

تعتبر الأسرة من أهم الجماعات الأولية التى يتفاعل الطفل مع أعضائها . ويتم فى ظل هذا التفاعل اهم مراحل إعداده وتنشئته وتشكيل شخصيته .

ويذكر "عثمان لبيب فراج " فى هذا الصدد "أن شخصية الطفل اذن هى نتاج لتفاعل تكوينه البيولوجى والنفسى الموروث مع العوامل المادية والاجتماعية المحيطة به، فإذا كانت

الوراثة تقدم المادة الخام ، والثقافة الاجتماعية تقدم النظم والمعايير فإن الجماعات الأولية هي التي تعمل على تشكيل هذه المادة وصلها حتى تقترب من النموذج الذي تريده هذه الثقافة (عثمان لبيب فراج ، ١٩٧٠) ويؤكد البعض على دور المنزل ؛حيث يعتبرونه أحد المحددات الهامة في نمو الشخصية - أعني شخصية الطفل -فالأسرة تكون مركزا رئيسيا يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة فإذا كانت ظروف المنزل من النوع الذي يدعم توافق الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يصير في سبيل النمو الصحيح ،أما إذعجز المنزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية المناسبة والشعور بالأمن ،فسوف ينمي عنده ميكانيزمات

دفاعية يكون الهدف منها التغلب على مشاعر عدم الأمن.

فالتنشئة في نطاق الأسرة تحدد حجم و دور المؤسسات الأخرى ، فبقدر نجاح الاسرة في إرساء دعائم شخصية الابن يتقلص دور المؤسسات الأخرى ، وبقدر فشل الأسرة في ذلك يتزايد تأثير المنشئين الآخرين . ومن هنا تكتسب الأسرة أهمية خاصة - بالذات الوالدين - في تشكيل شخصية الطفل ، في مراحلها الأولى بحيث تجعله يستجيب للخبرات القادمة بصورة سلبية او إيجابية.

ولكن كيف يقوم الوالدان بهذه العملية ؟ أو ما الذي يفعلانه لكي ينشئوا أبنائهم اجتماعيا؟ بالطبع إحدى الطرق التي يستخدمها الوالدان في ذلك هي الأساليب المباشرة ( الثواب و العقاب ) Reward and Punishment . علي أن الأطفال لا ينتظرون حتي يوقع عليهم الجزاء ثوبا أو عقابا لكي يكتسبوا ألوانا جديدة من السلوك. فهناك الملاحظة والتقليد Imitation و التوحد Identification مع أحد الوالدين ،فهذه العمليات تسهم جميعا في التنشئة الاجتماعية للطفل . وهي ليست مستقلة الواحدة منها مكان الأخرى بل هي على العكس متداخلة وتكمل كل منها الأخرى .

وأحيانا يحدث تعارض بين ما يكتسبه الطفل بإحدى هذه العمليات مع ما اكتسب عن طريق عملية أخرى مما يوقع الطفل في تناقض أثناء عملية التنشئة الاجتماعية . وفيما يلي نتناول هذه العمليات بشئ من التفصيل:

الثواب و العقاب:

يميل الوالدان لاستخدام هذه الوسيلة لتدريب أطفالهم علي اكتساب بعض السلوكيات مثل



المشاركة في الملكية مع الآخرين أو التعاون ، فيكافئ الوالدان أطفالهما مثلا إذا ما أشركوا صديقا في اللعب معهم ويعاقبانهم إذا لم يفعلوا ذلك ، وهكذا يدرّب الوالدان أطفالهما عن طريق مكافأة أو تدعيم Reinforcement استجابات معينة وإيقاع العقاب علي أخرى. وتفيدنا نظرية التعلم بأن الاستجابات التي تكافأ تميل إلي أن تقوى وتصبح عادات سلوكية ثابتة نسبيا . أما تلك التي تعاقب فقد تضعف أو تختفي ، أو إن كان العقاب قد يسفر عن مضاعفات أخرى غير سلبية في شخصية الطفل مثل الخوف أو القلق أو العدوان. علي أن الثواب و العقاب لا يكفيان وحدهما لتفسير اكتساب الطفل للعادات و الدوافع و سمات الشخصية سواء كانت إيجابية أو سلبية ، فهناك قدر كبير من سلوك الاطفال يكتسب عن طريق الملاحظة و التقليد .

#### الملاحظة والتقليد :

رغم أن جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية يقتضي تدريبيا مباشرا فإن كثيرا من جوانب عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب من خلال الملاحظة و التقليد و يذكر باندورا وولتر Walters&Banaura ١٩٦٣ أن الأطفال في كثير من الثقافات لا يعملون ما يقوله له الراشدون وإنما يعملون ما يشاهدونه من سلوك الراشدين وما يتمثل في نماذج واقعية يتم محاكاتها دون أن يصحبها تعليمات صريحة بتقليدها . فالأطفال بإمكانهم أن ينمو أنماطا سلوكية بمجرد ملاحظة بعض الكبار المحيطين بهم يقومون بها أي دون أن تكون هناك مدعمات إيجابية كانت أو سلبية . ولقد تبين لباندورا وولتر أن استجابات المحاكاة سواء كانت سلوكا اجتماعيا أو غير اجتماعي في حضور النموذج أو غيابه تظهر دون حاجة إلي أن يسبقها علاقة رعاية أو تبعية (تدعيم) بين النموذج والفرد المشاهد (Walt ٧ bandwra ١٩٠٢ ers) والتقليد أو المحاكاة هذه عملية مؤقتة بحيث نجد المقلد يعود الى شخصيته الأصلية بعد انتهاء المحاكاة على أن الشخصية والسلوك الاجتماعي لا يمكن تفسيرها ببساطة بمثل هذه العبارات ، فكما أننا لا نقبل الثواب والعقاب كمتغير وحيد في بناء شخصية الطفل ، كذلك فإننا لا نستطيع أن نفسر بناء الشخصية بعبارات بسيطة مثل الملاحظة أو التقليد فهناك الكثير من الأنماط السلوكية المعقدة التي قد تكتسب دور مثل هذا التدريب المباشر ، بعبارات أخرى هناك

ذاتية الطفل واستقلاليته التي تغفلها مثل هذه التفسيرات البسيطة ، ولكي نتفادي هذه الثغرة علينا أن ندخل في تفسيرنا للسلوك الاجتماعي ونمو شخصية الطفل عملية التوحد.

التوحد :

يشير مفهوم التوحد إلي عمليتين : الأولى تتضمن ملاحظة الطفل لأنه يشبه شخصا آخر .  
و الثانية تتضمن مشاركة الآخر في انفعالاته.

هذا الشخص الآخر بالنسبة للطفل هو في الغالب أحد الوالدين. وتتم عملية التوحد بصورة لاشعورية يحصل بها الطفل علي حل - ولو مؤقت - للصراعات التي تنشأ بينه وبين السلطة الوالدية ، وبهذا يتفادي ما ينشأ عن هذا الصراع من قلق وفي نفس الوقت يحقق إشباعا لدوافع أساسية لديه . فالتوحد يحقق للطفل شعورا متزايدا بالاستقلال، فمن خلال استدماج

Introjection اتجاهات وقيم ودوافع الوالد (الوالدة) بحيث تصبح جزءا من العالم الداخلي للطفل وذلك من شأنه أن يجعل الطفل يعرف كيف يتصرف الآباء في موقف معين فإنه لا يعود بعد في حاجة إلى وجودهم جسما لكي يوجه سلوكه وبالتالي يستطيع الطفل أن يعاقب

أو يكافئ نفسه على أفعاله ويصبح أقل اعتمادا على الوالدين kagan.j.1958.

ولكي يتم التوحد بين الطفل وأحد والديه لابد من أن يدرك الطفل أوجه التشابه بينه وبين هذا الوالد ،وإذا كان الأطفال غالبا ما يشبهون آباءهم في ناحية أو أخرى من النواحي الجسمية لذا فإنهم سوف يلاحظون غالبا نواحي التشابه هذه .ومن أهم هذه النواحي الجنسية ،ولذلك فإن الوضع النموذجي هو أن يتوحد الوالد مع والده والبنت مع أمها ،ولكي تتم عملية التوحد بدرجة قوية لابد من أن يمتلك الوالد صفات جذابة بالنسبة للطفل فالتوحد مع والد يتحلى بالدفء العاطفي والرعاية والحب يكون أسرع وأقوى منه بالنسبة لوالد رافض أو مهمل ،وعلى ذلك فيحدث خلل في التوحد إذا كان الوالد غير كفء وغير جذاب عندئذ تؤدي عملية التوحد بالطفل إلى القلق والخجل وانعدام الأمن ؛فيصبح التوحد بالمعتدى بدلا من التوحد التطوري (السوي) .

من خلال العمليات السابقة -الثواب والعقاب .الملاحظة والتقليد .التوحد -تم عملية التنشئة الاجتماعية ،بعبارة أخرى من خلال طرق التعليم المباشر ، أو تأثرا بالتعليم غير المباشر يستقي الطفل من الوالدين اتجاهاتهما و قيمهما و معتقداتهما و أنماط سلوكهما عبر مواقف

## الحياة المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الوالدين في تعاملهما مع الطفل يكون لها طابعاً عاماً للمعاملة أو أسلوب للمعاملة يتراوح ما بين الشدة واللين ، أو الحماية و الإهمال ، او الاتساق و التذبذب ، فكل من تلك الاساليب آثارها الضارة علي نمو شخصية الابن . فإذا كان أسلوب المعاملة يقوم علي إثارة مشاعر الخوف وانعدام الأمن مثلا ترتب علي ذلك تعرض الابن للاضطراب النفسي و التأخر في نواحي النمو المختلفة . والذي يؤثر دون شك في صحته النفسية ، ويلخص ( مصطفى فهمي ١٩٦٧ ) أهم الأسباب المؤدية للاضطراب النفسي فيما يلي:

- ١ - شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه.
  - ٢ - إفراط الوالدين في التسامح و الصفاح عن الأبناء .
  - ٣ - الإفراط في رعاية الأبناء والاهتمام الزائد بهم.
  - ٤ - صرامة الأباء و ميلهم إلي الاستبداد بأبنائهم.
- فأسلوب المعاملة الوالدية يؤثر تأثيرا مباشرا في شخصية الابن و يذكر ( سيد غنيم ١٩٧٥ ) أن النبذ كنمط من أنماط المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية خائفة ساديه ، أما الرعاية الزائدة عن الحد فإنها تخلق شخصية أسلوبها طفلي و انطوائية ليست لديها القدرة علي تحمل المسؤولية ، تعاني من صعوبات التوافق ، و الأباء المسيطرون يؤدي سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع ، فيكونون من النوع الاتكالي الخجول ، أما الأباء المتقبلون لأبنائهم فقد يطبعون شخصيتهم بطابع المتقبل للناس ( الواثق في المستقبل).

ولقد أبدت نتائج البحوث التي عنيت بهذا الموضوع الملاحظات السابقة ، حيث أشارت إلي وجود علاقة بين الأساليب التي يتبعها الأباء في تربية أبنائهم وشخصية هؤلاء الأبناء . بحيث يمكننا الآن من خلال معرفة أسلوب المعاملة الوالدية التنبؤ - إلى حد كبير - بنوع السمات الشخصية التي ترتبط بذلك الأسلوب .

تشير الدراسات التي أجريت بهدف معرفة العلاقة بين الأساليب التي يتبعها الوالدان في تنشئة أبنائهم و علاقتها بشخصيتهم، إلى أن هناك مجموعة من العلاقات السببية بين ما يتبعه الوالدان من أساليب في التنشئة وشخصية هؤلاء الأبناء .

و كما سبق الإشارة - في المقدمة - إلى أن الأسلوب الوالدي تترتب عليه نتائج في غاية

الأهمية تنعكس علي شخصية الابن فيذكر "أحمد عبد العزيز سلامة ، و عبد السلام عبد الغفار ١٩٧٠". "أن نوع المعاملة التي تنشأ بين الوالدين و الطفل و طريقة تربيتهما عامل هام يدخل في تشكيل شخصية الطفل ، فهناك فرق بين شخصية فرد نشأ في جو من التدليل والعطف الزائد و الحنان المفرط و آخر نشأ في جو من الصرامة و النظام الدقيق.

بل لقد ذهب ( محمد عماد الدين إسماعيل و زملاؤه ) إلى أبعد من ذلك فيرون أنه إذا كانت الشخصية نتاجا للخبرات الطفلية فإنه يبدو من المحتمل أيضا أن تكون أشكال السلوك المميزة للمجتمع بأكمله نتيجة لنفس السبب ويمكن بالمثل تفسيرها بنفس الطريقة.

وعلي ذلك يمكننا القول أنه إذا كان لنا أن نعدل من شخصيتنا العامة كمجتمع يتميز أفراده بصفات معينة، فإنه لابد وأن نتناول بالتبديل و التغيير تلك الأساليب غير المرغوبة التي يتبعها الآباء في تنشئة أبنائهم ، و لا سيما في المجتمع العربي بصفة عامة ، و المصري بصفة خاصة ، ولقد أوضح ذلك " فرج عبد القادر طه" عند تسليط الأضواء علي سيكولوجية الشخصية العربية قائلا " وإذا ما تأملنا السبب الجوهري وراء سيادة التفكير الغيبي في الشخصية العربية ، لوجدناه كامنا وراء أسلوبنا في تنشئة أبنائنا و تربيتهم و تعليمهم، سواء أكان ذلك عن طريق الاسرة أم المدرسة أم الوسائل المختلفة للإعلام ، فكما تغرس في نفوس الأبناء الإيمان بالغيبيات و الخرافات سواء بوعي أو بغير وعي ، وكأنا بلغنا من الصاروخية النفسية ما جعلنا نستهدف تدمير الشخصية العربية بيدنا لا بيد غيرنا.

و في تحليله لبنية و تركيب العائلة في المجتمع العربي، و العلاقات التي تقوم عليها - خاصة علاقة الوالدين بأطفالهم - انتهى " هشام عربي ١٩٨١ " إلى أن نمط السلطة الشائع هو النمط المستبد الدكتاتوري الذي يقوم علي القهر و الاستبداد ، فما القهر الذي يعانیه الفرد العربي إلا انعكاس للسلطة الان في العائلة .

و إذا كنا فيما سبق أشرنا إلى ملاحظات علماء النفس عن التنشئة في المجتمع العربي. فإن ما أفصحت عنه نتائج البحوث التي أجريت في هذا السياق تتفق مع ما سبق بحيث تتضح الصورة .

ففي دراسة أجريت في قطر لمعرفة الاتجاهات الوالدية في التنشئة المتبعة في المجتمع القطري ، تبين منها شيوع الاتجاهات اللاسوية في التنشئة مثل الحماية الزائدة و التسلط و التذبذب و القسوة و التدليل. ( عبد الفتاح القرشي ١٩٨٦ ).

و في دراسة اخري أجريت في الكويت لمعرفة الصورة العامة للاتجاهات الوالدية في التنشئة ،

السائدة في المجتمع الكويتي ، تبين أن الاتجاهات اللاسوية كانت هي الأكثر ارتفاعا ، حيث أن اتجاه التذبذب من أكثر الاتجاهات اللاسوية ارتفاعا ويليه التسلط ثم الحماية الزائدة .  
و في دراسة ثالثة أجريت في دولة الإمارات العربية و ذلك لمعرفة الفروق بين الجنسين في الاتجاهات الوالدية في التنشئة و الشخصية ، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود مناخ للتنشئة يتسم بالتفرقة بين الذكور و الإناث - حسب تقريرهم - في اتجاهات الأمهات نحوهم ، حيث وجد أن الإناث يدركن أمهاتهم أكثر تسلطا و إثارة للألم النفسي في المقارنة بالذكور ، بينما يحظى الذكور بالحماية و التدليل .

أما في تونس فيشير " ستيفن " إلى أن نمط التنشئة السائد هو القهر و الذي يتمثل في سلطة الأب المطلقة ، تلك السلطة الدكتاتورية التي تناهض الجدية و تميل إلي الخمول "لامرت والاس ١٩٨٧" .

فإذا كانت هذه هي بعض معالم الصورة لواقع أساليب التنشئة في البلدان العربية ، و التي تشير إلى وجود أساليب لاسوية ، فإن الوضع في مصر ليس أحسن حالا ، و ذلك حسبما تشير نتائج الدراسات التي أجريت في مصر ، ففي دراسة أجريت علي ألف أسرة ممثلة لمختلف قطاعات المجتمع المصري بهدف التعرف على أساليب التنشئة السائدة فيه ، و من أهم النتائج التي خلص اليها الباحثون ما يلي:

" أن قيمة الفرد و مكانته تتحددان في المقام الأول بعوامل كالسن و الجنس ، لا بما يسهم به أو ما يتحمله من مسؤوليات ، مما يدعم بناء شخصيات جامدة متسلطة ، و لا يساعد على تدعيم صفات مثل الانطلاق و التحرر والعمل الإيجابي المنتج ... وأن السلطة في الأسرة تتركز في فرد واحد هو الأب ( أو بديله ) مما يخلق جوا استبداديا ( أوتوقراطيا ) يعطل نمو القدرات المختلفة و يدعم الانصياع و السلبية " . ( محمد عماد الدين اسماعيل و زملاؤه ١٩٧٤ ) .

كذلك وجد الباحثون أن الأسلوب الذي تستخدمه السلطة لكي ينصاع الصغير لتوقعات الكبار هو أسلوب العقاب البدني باشكاله المختلفة ( العقاب البدني عند الطبقات الدنيا ، و الحرمان من الحب أو التهديد به عند الطبقة الوسطى) ، و تلتقي هذه النتائج مع ما سبق أن توصل إليه " حامد عمار ١٩٨٧ ) في دراسته للتنشئة الاجتماعية في قرية سلوا بأسوان حيث وجد أن هدف الأسرة من التنشئة هو أن تخلق لدى الطفل الطاعة و الأدب و تستخدم الأسرة في سبيل ذلك وسيلتين هما :

\*خلق الخوف لدى الطفل بواسطة كائنات خرافية.

\* العقاب البدني بأشكاله المختلفة.

و إذا كانت هذه هي بعض معالم الصورة بالنسبة لواقع التنشئة الاجتماعية في المجتمع المصري فإن السؤال الرئيسي الذي يواجهنا الآن ما هي علاقة هذه الأساليب اللاسوية في التنشئة الاجتماعية علي شخصية الفرد بصفة عامة و سمات شخصيته بصفة خاصة ؟ في الواقع بدأت الأبحاث السيكولوجية - في مصر - في السنوات الأخيرة للإجابة علي هذا السؤال ، حيث تناولت بالدراسة أساليب التنشئة الوالدية و علاقتها بشخصية الأبناء عموما ، فبينما اهتم بعض الباحثين بتناول السمات المعرفية ، أولى البعض الآخر اهتماما بالسمات المزاجية .

و غلي من البيان أن هذا الاهتمام المكثف من جانب الباحثين يعكس أهمية هذا الموضوع ، و إذا كانت تلك المحاولات قد ساعدت علي إثراء معلوماتنا في هذا الموضوع فإننا نلاحظ تضاربا بين نتائج تلك الدراسات ، الأمر الذي يعكس أهمية أخرى تتمثل في الكشف عن مصدر هذا التباين في نتائج تلك الدراسات ، و فيما يلي نعرض لنتائج بعض الدراسات بما يساعد علي ايضاح هذه الفكرة :

ففي دراسة ميدانية أجراها " سيد صبح عام ١٩٧٥ " لمعرفة أثر الاتجاهات الوالدية في التنشئة و المستوي الثقافي للوالدين علي تنمية الابتكار لدي طلبة الجامعة ، وخلص من دراسته إلى عدم وجود علاقة بين الابتكار وكل من التسلط وإثارة الألم النفسي والحماية الزائدة ، والتذبذب والتفرقة والاهمال، أى أن الابتكار لايرتبط بهذه الأساليب ؛وعلي الجانب الآخر فقد توصل البعض إلى نتائج مخالفة لتلك السابقة ؛ففي دراسة أجراها (عبدالحليم محمود السيد)(١٩٧٩ م ) لمعرفة السياق النفسي الاجتماعي الذي يساعد علي تنمية الابداع أو يعوقه وانتهى إلي أن معاملة الوالدين التي تتسم بالرفض والاكراه والقهر ترتبط بانخفاض القدرات الابداعية وإذا انتقلنا الي الدراسات التي اهتمت بدراسة أساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بالسمات المزاجية- نجد نفس التضارب بين نتائج الدراسات المختلفة فعلي سبيل المثال في دراسة قام بها (محمود عبد القادر )عام ١٩٦٦ م لمعرفة أساليب الثواب و العقاب التي تتبعها الأسر المصرية في تدريب أطفالها و شخصية هؤلاء الأبناء وانتهى إلى أنه ليست هناك علاقة بين آراء الأبناء في تصرفات الأباء معهم والسمات الشخصية لهؤلاء الأبناء وفي دراسة حديثة أجرتها (فاتن عبد الفتاح السيد )عام ١٩٨٦م ذلك بهدف معرفة

أثر اتجاهات الوالدين في التنشئة علي نمو مفهوم الذات لدي أطفالهم ؛وتوصلت الباحثة إلى أنه لا يوجد تاثير للاتجاهات الوالدية في التنشئة المتمثلة في التسلط والحماية الزائدة ؛والإهمال ؛والتدليل ؛والقسوة ؛وإثارة الألم النفسي ؛والتذبذب والتفرقة والسواء علي مفهوم الذات لدى الأطفال وفي المقابل نجد العديد من الدراسات التي توصلت إلى نتائج مخالفة لتلك السابقة ؛ففي دراستها للعلاقة بين أساليب التنشئة الوالدية للأبناء وسماتهم الشخصية وأنساقهم القيمية فقد توصلت (فايزة يوسف) عام ١٩٨٠م إلى وجود علاقة سلبية بين أساليب التنشئة الوالدية التي تتسم بالإفراط في التقبل والقسوة والتشدد والإهمال وبين السمات السوية.

كماخلص (محي الدين أحمد حسين)ومعاونوه عام ١٩٨٥م من دارستهم لأساليب تنشئة الأوسر المصرية لفتياتها الجامعيات المتمثلة في التشدد ، وعدم الاتساق و السماحة و علاقة ذلك بسلوكهن العدواني و اتجاهاتهن التسلطية .

إلى أن السلوك العدواني يبرز في مناخ التنشئة الذي يتميز بعدم الاتساق و التشدد ، بينما ينحسر أو يقل في مناخ التنشئة الذي يتميز بالسماحة .

و ربما يوحى التعارض بين نتائج الدراسات المختلفة إلى أهمية فحص منهج هذه الدراسات و التعرف علي مصادر هذا التعارض .

#### طرق البحث الملائمة لدراسة التنشئة الوالدية

علي الرغم من اتفاق السيكولوجيين المهتمين بدراسة التنشئة الاجتماعية - علي اختلاف أطرهم النظرية - علي أهمية العلاقة بين الوالدين و الأبناء في مراحل العمر المختلفة . و لاسيما في مراحل طفولتهم المبكرة ، و ارتباطها بشخصية هؤلاء الأبناء ، إلا أنهم يختلفون علي تحديد أنسب الطرق لدراسة تلك العلاقة .

و في هذه المناقشة سنحاول التوصل إلى أسلوب مناسب لدراسة تلك العلاقة بين الوالدين و الأبناء و التي من شأنها أن تؤثر علي أسلوب الأبناء بوجه عام ، وعلی سماتهم الشخصية بوجه خاص.

ونهتم بالتحديد الواضح لمفهوم التنشئة الوالدية ، لأن من شأنه أن يحدد خطى الباحث في عملية جمع البيانات بصورة ملائمة لهدف البحث ، وذلك بعد مناقشة الأساليب الرئيسية

المتبعة لهذا الغرض.

في خلال البحوث التي تناولت جهود الوالدين في تربية الأبناء يمكننا ملاحظة ثلاث مداخل

رئيسية لدراسة هذا الموضوع و هي :

أ - سلوك الوالدين الفعلي نحو الأبناء .

ب - اتجاهات الوالدين نحو أساليب التنشئة.

ج- أساليب التنشئة الوالدية كما يراها الأبناء .

و بطبيعة الحال يعتمد أنصار كل مدخل علي طريقة لدراسة الموضوع تختلف عن الاخر ،

علي أن السؤال الذي يهمننا في هذه المناقشة هو " ما هو المدخل الذي يوفر لنا طريقة

صادقة و دقيقة في دراسة هذا الموضوع".

و للإجابة علي هذا السؤال ربما يكون من المفيد أن نعرض بإيجاز لكل منها ، ونناقش

كفاءته في جمع البيانات و ذلك كما يلي:

أ - سلوك الوالدين الفعلي نحو الابناء :

قد يبدو من المنطقي و نحن بصدد دراسة أسلوب الوالدين في تربية أبنائهم ، أن نشاهد

سلوكهم الفعلي ، و تصرفاتهم مع أبنائهم في مواقف الحياة المتنوعة ، واستجابات الأبناء

لهم لذلك فقد بدأ الباحثون بعملية ملاحظة السلوك الوالدي داخل الأسرة أو من خلال إجراء

المقابلات مع الأبناء والأمهات لمعرفة ما يدوربينهم وقد حظى هذا الاتجاه باهتمام بعض

الباحثين ..bumarind; baldwin ;bbeers;chamdny; الذين قدموا بصورة تطبيقية كيفية دراسة

السلوك الوالدي داخل الأسرة ومن الثابت أن معظم معلوماتنا عن العلاقة التفاعلية بين

الوالدين والأبناء ،قد أتت إلينا من خلال الملاحظة والأسئلة الموجهة للأباء والأمهات من

خلال المقابلة ،إلا أن قيمة هذه المعلومات تتوقف علي مقدار الصدق الذي تحمله

،فالملاحظة يصعب إجراؤها علي عدد كبير من الأبناء مع والديهم في مواقف الحياة المتنوعة

.كما أن مجرد وجود ملاحظة داخل الأسرة يقلل من تلقائية سلوك الوالدين والأبناء ،هذا فضلا

عن أخطاء القائم بالملاحظة وإجابات الوالدين التي تتأثر بعواطفهم الذاتية .وبما هو مرغوب

اجتماعيا ،فالأسئلة الموجهة إليهم علي سبيل المثال ،قد تتعرض لمجالات تمنع ثقافتهم من

التعرض لها .ومناقشتها ،فعندما تسأل الأب مثلا عما يفعله حين يسمع من ابنه المراهق

ألفاظا لايجب سماعها.هل يتوقع القائم بالمقابلة إجابة غير متأثرة بحاجات الأب وقيمه عن



السلوك الوالدى ،وتوحده مع طبقتة الاجتماعية ومعايير تربية الأبناء الساندة في ثقافته والتي يرتبط بها ؟

في الواقع يصعب التحديد فيها إذا كان التحريف في البيانات التي قد يدلي بها الأباء (الأمهات)ترجع إلى أخطاء في إدراكهم ،أو إلى اختلاف في الإطار المرجعي بين الاباء والقائم بالملاحظة،أو إلى اختلاف في مستوى الذكاء .أو في مستوى التعليم .  
بصفة عامة يمكن القول بأن التحريف في البيانات التي يدلي بها الوالدين ترجع الي هذه العوامل مجتمعة،وبالتالي تقلل من صدق المعلومات التي نحصل عليها .

ب-اتجاهات الوالدين نحو اساليب التنشئة

نظرا للصعوبة العملية في ملاحظة السلوك داخل الأسرة بالإضافة إلى عدم ملائمة الملاحظة داخل الأسرة من الناحية الأخلاقية كذلك المقابلة يقابلها أيضا بعض أوجه القصور ،مما يقلل من صدق وقيمة المعلومات التي نصل إليها بهاتين الطريقتين فقد اتجه بعض الباحثين إلى الاعتماد على اتجاهات الوالدين نحو تربية أبنائهم ،من خلال تحديد مجموعة من المواقف التي رؤي أنها تمثل أهم المواقف التي يتم فيها تعليم الأبناء وإكسابهم قيم وعادات المجتمع .وهذه المواقف هي

- |           |             |
|-----------|-------------|
| ١-النوم   | ٤-الجنس     |
| ٢-التغذية | ٥-العدوان   |
| ٣-الاجراج | ٦-الاستقلال |

(محمد عماد الدين اسماعيل وزملاؤه)

ويتم معرفة اتجاهات الأباء والأمهات نحو تربية أبنائهم في هذه المواقف . وجدير بالذكر أن هذا الإجراء قد طبق علي نطاق واسع لدراسة المقارنة بين اتجاهات الأباء (الأمهات)،نحو

تربية الأبناء في مستويات اقتصادية اجتماعية متباينة أو في ثقافات متباينة ( child )  
و لكن عند محاولة الربط بين اتجاهات الوالدين و شخصية الأبناء ، فإن الأمر جد مختلف ، فالأولى متغيرات اجتماعية ، والثانية متغيرات نفسية ، و على العموم فإن معظم الدراسات التي حاولت الربط بين هذين المتغيرين فشلت في إيجاد علاقات واضحة و مستقرة ، و لعل ذلك يرجع لسببين هما :

الأول و يتعلق بمصدر المعلومات ( الأباء ، الأمهات ) .

الثاني و يتعلق بأسلوب القياس ( المواقف ) .

فالسبب الاول و يتعلق بمصدر المعلومات و هو الأباء أو الأمهات الذي يكون غير ملائم و ذلك لـ :

ميل الأباء إلي الإجابات المرغوبة اجتماعيا .

ميل الأباء إلي التحريف و التشويه .

الفرق بين الاتجاه الوالدي و ما يراه الابن و يطبع سلوكه .

و مع التسليم بأهمية آراء الأباء في تربية الأبناء ، على اعتبار أن ذلك يزودنا بمنظور الراشدين و ممثلي الضبط في المجتمع ، إلا أنه لا ينبغي في نفس الوقت تجاهل مدركات الأبناء عما يعيشونه من خبرات ، فالعلاقة بين الوالدين و الأبناء يتوقع أن تختلف تبعا لـ : سن الابن ، طريقة تلقي الابن لسلوك وتصرفات والديه معه . ففيما يتعلق بالسن هناك مثلا بعض السمات التي قد تكون ملائمة في فترة من فترات العمر ، و قد لا تكون كذلك في فترات أخرى . فالتعلق بالأم و الاعتماد مثلا ، تعد صفة إيجابية في مراحل العمر الأولى، إلا أنه إذا ظهر ذلك في مراحل تالية من العمر يعد مسألة غير عادية .

و طريقة المعاملة قد يتلقاها طفلان من نفس الوالد بطريقتين مختلفتين تماما تبعا لما يحيط بكل منهما من إطار ثقافي- اجتماعي بحيث يجعل أحدهما يتقبل من والده تصرفا معيناً بينما يضيق الاخر من نفس التصرف .

فالعبرة ليست بتصرفات الاباء أو اتجاهاتهم ، و إنما من خلال تلقي الابن لهذه التصرفات ، و يؤكد ذلك " اسماعيل . منصور " في عرضهما لمقياس الاتجاهات الوالدية حيث يري الباحثان أن إدراك الابن هو الفيصل في الحكم علي طبيعة المعاملة التي يلقاها من والديه فمثلا الحماية الزائدة و التسلط ، لا يمكن التعرف عليهما إلا من خلال رؤية الابن فإلي الحد الذي يحتمل أن يكون فيه موقف الوالدين عند ممارسة حمايتهما الزائدة معارضا لرغبة الابن في التحرر و الاستقلال ، يمكن أن نتحدث عن الحماية والتسلط ، ولكن إذا كان الاحتمال هو تقبل الابن لهذا الموقف كما هو الحال في أداء الواجب المدرسي نيابة عنه أو في الدفاع عنه مثلا فإننا يمكننا الحديث عن الحماية الزائدة فحسب .

أما في الحالات التي يكون فيها فرض الرأي علي الابن لا يتضمن فكرة أداء واجب مدرسي نيابة عنه يمكننا الحديث عن التسلط فقط ومن ثم فمن يحكم علي شعور الابن وإدراكه إلا

## الابن نفسه؟

فالصورة التي يدرك بها الابن سلوك والديه وتؤثر علي سلوكه وشخصيته ، أهم من تقارير الوالدين حسبما يري Ausble فيذكر أنه علي الرغم من كون سلوك الأب حادثة موضوعية في العالم الواقعي إلا أنها تؤثر علي نمو الذات في الحدود والصورة التي يدرك بها الابن هذا السلوك . فالسلوك الوالدي كما يراه الابن أكثر ارتباطا بنمو وارتقاء شخصيته .

السبب الثاني في عدم ملائمة هذا المنحي - اتجاهات الوالدين - حيث تعتمد الأسئلة الموجهة للوالدين علي المواقف النوعية وهذا الأسلوب قد أدي إلى فشل معظم الدراسات التي تمت بالخارج أو في مصر في إيجاد علاقات واضحة حيث أنه من المسلمات الأساسية لعملية التفاعل الأسري هو الاتصال عبر المواقف المختلفة وليس الانفصال أو التقطع بحيث أن الأسلوب الوالدي المتسامح يكون تقريبا في كل المواقف ومع تسليمنا بديناميات كل موقف علي حده إلا أن الطابع العام للمعاملة السائد في الأسرة هو الأسلوب الملائم والذي يجب فحصه .

ويوصي الباحثون بضرورة الاهتمام بالأسلوب السائد في الأسرة من أساليب المعاملة الوالدية بدلا من النظر الي المواقف الفرعية .

## ج . أساليب التنشئة الوالدية كما يدركها الأبناء :

تناولنا فيما سبق الجهود التي بذلت لقياس سلوك الوالدين وممارستهم في تربية الأبناء ، بدءا من عملية الملاحظة و رصد السلوك داخل الأسرة ، و ما يحوط بهذا المنحي من محاذير منهجية تقلل من دقة و مدى المعلومات التي نتوصل إليها ، ثم دراسة اتجاهات الوالدين إزاء تربية الأبناء من خلال التقارير اللفظية للوالدين ، و ما يواجه هذا المنحي أيضا من بعض أوجه القصور ، الأمر الذي دفع الباحثين إلى التعامل المباشر مع مدركات الأبناء أنفسهم ، عن خبرات التنشئة التي عايشوها خلال فترة طفولتهم المبكرة ، علي اعتبار أن ذلك أكثر ارتباطا بشخصيتهم ، و ذلك نظرا لأن البيئة الاجتماعية الواقعية ليست هي المحدد الأساسي لصورة التنشئة كما تنعكس علي البناء النفسي و لكن الكيفية التي يدرك بها الأبناء بيئتهم الاجتماعية هي اهم و أكثر المحددات أهمية .

فالبيئة الواقعية قد تكون واحدة بالنسبة لعدد من الأفراد و بالرغم من ذلك تؤلف بيئات نفسية

لكل منهم بحسب البيئة النفسية لكل منهم . و البيئة النفسية كما حددها " ساران Sarain "

هي البيئة كما يدركها الفرد ، و عملية الإدراك هذه يتدخل فيها عوامل متعددة مثل نوع الفرد ، سنه ، حاجاته ، ميوله ...الخ".

اذن فمن الضروري أن نتعرف علي الصورة التي يدركها الابن عن تصرفات والديه معه ، و تطبع سلوكه ، وتصرفه بدلا من الاعتماد علي اتجاهات الوالدين ، و يذكر " أحمد عبد العزيز سلامة ، و عبد السلام عبد الغفار " في هذا الصدد " أنه ينبغي أن نحكم علي المعاملة الاجتماعية التي يلقاها الشخص أو التي خبرها الشخص ، من وجهة نظر الشخص نفسه ، لا من وجهة نظر من يصدر الحكم ... فقد تقابل طفلا يعامل معاملة تبدو لنا قاسية ، و على الرغم من ذلك لا تبدو عليه الاثار السيئة التي نتوقعها".

في ضوء الاعتماد علي مدركات الأبناء عن أساليب التنشئة التي عايشوها ، فقد بدأ الباحثون في تطوير أدوات ملائمة لذلك ، و من أبرز رواد هذا الاتجاه " سيجلمان

Siegelman و هيلبرين Hellbrin و شيفارا Scheffar و برونفبرونر Born Fenbernnre .  
إجمالاً لما سبق ، فقد تناولنا أهم الطرق التي اهتمت بقياس أساليب التنشئة الوالدية ، بدءاً من الملاحظة المباشرة لكل من الوالدين و الأبناء ، فالمقابلة التي تتم مع الوالدين أيضا ، و كفييات هاتين الطريقتين بهما أوجه القصور كذلك الاتجاهات الوالدية في التنشئة و ما يقابلها من محاذير تقلل من قيمتها و صدقها ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بربط ذلك بشخصية الأبناء .

## الفصل السابع

### العدوان

تعريف العدوان .

النظريات المفسرة للعدوان:

- \* التفسير البيولوجي الوراثي .
- \* التعلم و العدوان .
- \* العوامل الموقفية و العدوان .
- \* الخصائص الشخصية والعدوان .
- \* وسائل الإعلام والعدوان .
- \* كيفية تقليل السلوك العدوانى .

### " العدوان "

لا نحتاج لأكثر من مطالعة الجرائد اليومية أو ملاحظة ما يدور حولنا لتنهمر علينا أمثلة لا تنتهي عن العدوان ، سواء على المستوى المجتمعي ( الحروب ، الغزو ، الاغتيال ) أو على المستوى الفردي ( الجرائم ، سوء معاملة الأبناء لوالديهم أو العكس ، السطو المسلح ، ..... إلخ ) . فهل العدوان جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية ؟ أم هو محصلة لظروف معينة ، إذا تغيرت فإنه يختفي أو على الأقل تقل وتيرته ؟ .  
قبل الخوض في هذه المسائل وغيرها ، يجدر بنا أن نرجع إلى نقطة البداية ؛ أي تعريف

## العدوان .

### ١ - تعريف العدوان .

مثل كثير من الكلمات التي نستخدمها في حياتنا اليومية ، ولكي ندرس العدوان أو أي سلوك آخر ، ينبغي أن نحدّد أو نعرّف ما نبحث عنه حتى يمكننا تناول الأحداث التي تسبقه ، والعواقب التي تتلو ذلك السلوك بدقة .

في موسوعة علم النفس ( الجزء الأول ) ، يذكر "رونالد بانينجر ( ١٩٩٤ ) R. Baeninger أن عالم النفس بوس A.H. Buss الذي أمضى وقتاً كبيراً من حياته في دراسة العدوان ، قد عرّف العدوان بأنه " استجابة يحوّل المرء بمقتضاها المثيرات الضارة Noxious إلى كائن آخر " . ورغم وضوح هذا التعريف وموضوعيته ، فإنه ليس مفيداً ، لنرى ذلك :

أولاً : وقبل كل شيء ، لا يشير التعريف إلّا إلى السلوك الظاهر ، فالمشاعر التي يعتبرها أغلب الناس جزءاً من العدوان - مثل مشاعر العدائية والغضب والغيظ والثورة - لا تُعدّ وفقاً لهذا التعريف " الموضوعي " عدوانية ، فالمشاعر مسألة ذاتية . افترض أنك تقف في صفّ طويلٍ لقطع تذكرة سفر وجاء شخص وانسلّ أمامك في الصف ، وكنت على وشك الوصول إلى النافذة . من المحتمل أن تشعر بالغيظ أو الغضب أو حتى العدائية نحو هذا " المخادع " . ولكن إذا لم تقم باستجابة ظاهرة نحو هـ ( بدفعة مثلاً لإبعاده أو حتى ضربه وإيذائه ) فلن تكون عدوانياً وفقاً لهذا التعريف " المقترح " للعدوان .

ثانياً : نلاحظ أن التعريف لا يشمل أي شيء عن القصد الذي يقف خلف المثيرات الضارة ، ذلك أنه لا يمكننا ببساطة قياس نوايا أو مقصد الشخص الآخر بمقياس موضوعي . ولذلك فنحن ننسب القصد للشخص الذي يؤدي غيره ، فنقول " إنه متعمد إصابته أو إلحاق الأذى به " . افترض أن تلهّفك للوصول إلى نافذة التذاكر قد جعلك - دون قصد - أن تطأ بجذائك قدم الشخص الذي يقف خلفك مباشرةً . وفقاً لهذا التعريف " الموضوعي " لا بد أن تكون عدوانياً حتى لو لم تكن تقصد إيذاء الشخص . نحن أحياناً نوذي أناساً أو حيواناً بالمصادفة دون أن

نقصد ، فدهسك لقطعة أو فأر وأنت تقود سيارتك لا يُعتبر عدواناً ، حتى لو أدت الحادثة لمقتل المخلوق المسكين ، والجنود الذين يقتلون زملائهم خطأً في ميدان الحرب ( النيران الصديقة ) لا يُعتبرون عدوانيين . بل حتى في أحيانٍ كثيرة ، يتعرّض أشخاص للأذى أو يمرّون بمحنة الألم من قبل أشخاص يقصدون إفادتهم . فطبيب الأسنان أو الجراح الذي يشق بطن مريضه يعتبر عدوانياً إذا لم نأخذ مقاصده و نواياه في الحسبان .

ومن جهة أخرى ، يمكن أن تكون هناك نية مبيتة للأذى أو الإصابة دون القيام فعلياً بمثل هذا العمل ؛ افترض أن مسلحاً يجهز عبوة ناسفة للتخلص من خصمه السياسي . فقام بوضع العبوة في سيارة الضحية المقصودة . من المفترض أنه بعد أن يركب سيارته و يدير المفتاح تنفجر السيارة ، و لكنها لم تنفجر لأسباب معينة . من المؤكد أن غالبية الناس سوف تعتبر محاولة الاغتيال هذه عملاً عدوانياً ، حتى لو لم يسفر عنه ضرر أو إصابة .في هذه الحالة ، يدلنا العمل المعتمد بتجهيز العبوة الناسفة على أن هناك قصداً ونية مبيتة . إن القصد جانب مركزي في تحديد ووصف العمل بأنه عدواني ، و لكن في معظم الحالات يصعب تحديد نوايا الشخص الآخر بصورة موضوعية . فقد يلوح الشخص الذي يرغب في التهديد بقبضة يده . رغم ذلك ، لا تعتبر هذه الإشارات عدوانية حسب التعريف الموضوعي الدقيق و الصارم .

**ثالثاً :** آخر ثغرة في هذا التعريف تتعلق بفكرة " العدوان السلبي " هنا لا يقوم العدوانيون بأي عمل ، و لكن الإحجام عن العمل يؤدي إلى إلحاق الأذى بالضحية ؛ فمثلاً ، حارس السجن الذي لا يبالي بمشاجرة تحدث بين سجينين يتصرف بعدوانية سلبية لأنه يعلم حق العلم أن وقوع الأذى بأحد الطرفين أو كليهما أمر مؤكد .

و الشخص الذي يتظاهر بأنه لم يسمع أو لم يفهم طلب المساعدة يتصرف بعدوانية سلبية من خلال إرغام المحتاج للمساعدة على تكرار الطلب منه ، أو التحدث بصوت أعلى أو صرف النظر عن المساعدة . ورغم أن الضرر في هذه الحالة يكون في حده الأدنى ، فإن النتيجة هي إيذاء مشاعر المحتاج و مضايقته .

كيف يمكننا إذن تعريف العدوان ؟ إن الأمر ليس سهلاً كما رأينا ، و لكن التعريف الأساس الذي يتفق عليه أغلب المتخصصين في المجال هو "السلوك الجسمي أو اللفظي الذي يقصد منه إلحاق الأذى أو الضرر أو التدمير ، سواء كان هذا الأذى فيزيقياً ( إتلاف الممتلكات ) أو جسدياً ( الضرب و الإصابة الجسمية ) أو نفسياً ( الإهانة و التحقير ) ."

و هكذا يجب أن نتذكر دوماً أن العدوان يضم نية إحداث الأذى ( Machie, 1995 & Smith ) . ومع ذلك ، ليست كل الأفعال العدوانية مشينة أو جديرة بالازدراء أو الشجب . يجب أحياناً أن نكون عدوانيين للدفاع عن أنفسنا أو أرضنا أو كرامتنا أو عما نعتقد أنه صواب . و في وقت الحروب ، تقوم الدول بمكافأة الأعمال ( التي تعتبر عدوانية ) بميداليات الشرف و النياشين . إن نوع العدوان الذي نهتم به هنا هو السلوك العدائي المفرط الذي يأتي دون استفزاز .

و العدوان على هذا النحو ينقسم إلى نمطين رئيسيين : العدوان الانفعالي emotional و العدوان الوسيلى instrumental . يتضمن العدوان الانفعالي الرغبة في إيذاء شخص آخر . و الواقعون في براثن العدوان الانفعالي غالباً ما يلحقون الأذى بالآخرين دون وعي - على ما يبدو - بعواقب أفعالهم . و يمكنك أن نشاهد العدوان الانفعالي في مناصري فرق كرة القدم الذين يقذفون بعضهم بعضاً بأي شيء يقع تحت أيديهم . و يتطلب العدوان الانفعالي أن يحدث في حالة الثورة و الغضب ، فالذين يسعون إلى أخذ الثأر يفعلون ذلك بأعصاب باردة ، مع أن النتيجة هي إزهاق روح إنسان . أما العدوان الوسيلى فيتم بغرض تحقيق هدف محدد مثل نقود شخص أو سرقة معطفه . ( pennington, etal., 1999 ) النظريات المفسرة للعدوان .

## ١ التفسير البيولوجي الوراثي.

### - ١ - نظرية التطور :

تُفيد نظرية دارون أن الصفات التي تساعد على البقاء تنتقل من جيلٍ لآخر ، ومن هنا يكون البقاء للأصلح . فهل للعنف والعدوان فوائد بقائية ؟ بالتأكيد نعم ، فكثير من العنف والعدوان الذي يحدث بين الحيوانات يرتبط بالمنافسة والافتراس . وقد توصلت جين جودول Jane Goodall في إحدى الدراسات الميدانية الكلاسيكية إلى أن التهديد والهجوم بين أفراد الشمبانزي ( أقرب أنواع الكائنات للبشر ) يظهر في المواقف التالية :

- ١ - المنافسة على الطعام .
- ٢ - دفاع الأم عن صغارها .



- ٣ - التحارب على تسلسل الزعامة والامتياز المرتبط بها ، حيث يرتبط الشجار بالتغير في أوضاع الزعامة .
- ٤ - إعادة توجيه العدوان ؛ حيث يقوم الفرد الذي خسر المعركة مع منافس له مركز متقدم في تسلسل الزعامة إلى تحويل عدوانه لفردٍ أقل منه قوة .
- ٥ - في حالة إجماع الحيوان من الإذعان لإشارة التحذير التي يعطيها له المعتدي .
- ٦ - المظهر الغريب ، مثل التشوه أو الإعاقة الجسدية .
- ٧ - التشاجر بين الذكور للاستئثار بالإناث .

In : Baenninger , ١٩٩٤ , P.٤٥ )

وتحدث هذه المواقف بالنسبة للبشر كذلك ، و لكن العنف أو العدوان الصريح بشأن هذه الأمور غير معتاد بين البشر الذين اكتسبوا القواعد الاجتماعية التي أقرتها الثقافات البشرية . و لكن في ظروف الظلم أو الجذب أو المجاعة يتم انتهاك هذه القواعد و في المجتمعات البدائية ، لدينا بشر يتقاتلون من أجل الطعام أو الزعامة.

ورغم أن العدوان البشري قد نشأ مبكراً في ظروف شبيهة بتلك التي يكون فيها أفراد الرئيسات أقرب أنواع الكائنات لنا كبشر ، فإننا سرنا على ما يبدو - شوطاً أبعد منها فالمبررات المعرفية المجردة ( مثل الإهانة ) قد تكون سبباً لعدوانيتنا . أي لدينا الآن مبررات نفسية و ثقافية مختلفة للقتال أو الشجار . وصارت الأسلحة التي يمكننا استخدامها الآن فعالة في التدمير وإلحاق الأذى مقارنة بالأنياب أو الأظافر التي تستخدمها الرئيسات .

## ٢- نظريات الغريزة :

تفترض نظريات الغريزة الخاصة بالعدوان البشري أن الدافع العدواني هو قوة فطرية . و إذا كان الأمر كذلك ، فنحن "مبرمجون" للاستجابة بعدوانية في مواقف معينة . و إذا كان بالإمكان تعديل السلوك العدواني ، فلا يمكن تعديل أساسه و هو " الدافع" . وكان فرويد Frued (١٩٣٠) من الأوائل الذين افترضوا التفسير الغريزي للعدوان . فقد رأى أن العدوان جزء لا يتجزأ من طبيعتنا كبشر . و قد توصل إلى هذه القناعة بعد أن عاين أهوال الحرب العالمية ( ١٩١٤ - ١٩١٧ ) و ما خلفته من دمار و إزهاق أرواح الآلاف من البشر . و قد افترض فرويد أن السلوك العدواني نابع من غريزة الموت thanatos التي تقابلها غريزة الحياة eros و

تمثل :

غريز الموت الرغبة اللاشعورية فى تحاشى صور التوتر فى الحياة بالهروب الى الموت وهى موجهة أصلا نحو الذات قبل الآخرين .وهكذا تتطلب الطاقة العدوانية الكامنة فى البشر وسيلة تتحرر بها من عقابها ،أسمائها فرويد التنفيس catharcis ويمكن أن يكون هذا التحرر مباشرا عندما يطلق الشخص النار وهو فى حالة غضب ليوقع الأذى بالآخرين .ويمكن أن يكون غير مباشر عندما يهتف مشجعو كرة القدم والملاكمة والمصارعة من أعماقهم تأييدا للمتنافسين .وعلى نحو غريب ما يرى فرويد أن تأجج العدوان وفورته حتى يصل الى التلاشى هو انتصار لغريزة الحياة حيث الدافع لحماية الذات.

وانسجاما مع آراء فرويد رأى كونراد لورنز konrad Lorenz ١٩٦٦ أن العدوان دافع غريزى .كما رأى أن حماية الذات والعدوان أمران متكاملان .وتأييدا لأفكاره أفاد لورنز أن الحيوانات تكون أكثر ما تكون عدوانية مع أفراد نوعها ونتيجة لهذا العدوان تتوزع مصادر الطعام والوليف .وفى توسيع لنظريته لتشمل البشر افترض لورنز أن الدنيا غريزة المقاتلة .ورغم أن الحيوانات لا تمتلك سوى القرون والمخالب والأسنان فان لديها مدى من الایماءات المهدئة التى تعمل على الحد من العدوان .ولكن اذا حدث ونشب نزاع عنيف بين البشر فيبدو أنهم لايعرفون متى يتوقفون فى اغلب الأحيان.

ولا تتمتع نظريات غريزية العدوان إلا بقيمة ضئيلة حاليا لأنها تتضمن فى الأساس استدلالا دائريا بمعنى أن النظرية تقول أننا نتصرف بعدوانية لأن لدينا غريزة عدوانية .ونحن نعلم أنه لابد من وجود غريزة عدوانية إذا تصرفنا بعدوانية .وادعاءات منظرى الغريزة هذه غير قابلة للتحقق التجريبي ولذلك فهى ضعيفة للغاية (Pennington, D., et al., ١٩٩٩)

### ٣- البيولوجيا الاجتماعية

يسعى الباحثون فى المجال البيولوجيا الاجتماعية Dociology الى اكتشاف العوامل البيولوجية المتضمنة فى السلوك الاجتماعى لدى كل الأنواع الحيوانية .ويعتقد علماء البيولوجيا الاجتماعية مثل ويلسون أن بعض نزعتنا السلوكية مثل الميل الى الاستجابة بعدوانية عند شعورنا بالتهديد قد تكون نتيجة مباشرة للطريقة التى يتركب بها الدفاع والجهاز العصبى الانسانى .وهذه النزاعات هى جزء لا يتجزأ من ميراثنا الجينى تم الاحتفاظ بها من خلال عملية

الانتخاب الطبيعي لأنها ساعدت أسلافنا على البقاء وقد وصف كوزاد هذه العملية النشئية بشئ من التفصيل. يجادل لورنز بأن لدى الحيوانات "غريزة المقاتلة" الموجهة نحو الأعضاء الآخرين من نفس النوع ولهذه الغريزة قيمة بقائية كبرى حيث ينتج عن الصراعات العدوانية مع الأفراد من نفس النوع أن الأقوى سيكون الأب للذرية و من ثم يتحسن النوع ككل ومن جهة أخرى يعتقد لورنز أن العنف أصبح يمثل مشكلة للبشرية لعدة أسباب منها أنه على خلاف أنواع الكائنات الأخرى لم يتطور لدى أسلافنا كبح فطري ضد اقتتال البشر فيما بينهم و فى نفس الوقت طور البشر وسائل صناعية للعدوان بدءا من الحراب والرماح وانتهاءا بالقنابل الذرية بصورة أسرع مما طوروا بها كوابح طبيعية للعدوان ضد أبناء جنسهم ،أى أن حركة التطور الثقافى قد فاقت حركة التطور البيولوجى وفى الوقت نفسه تقتضى المدنية الحديثة أن يقمع البشر العدوانية، ويعتقد لورنز أنه إذا تم إعاقة التعبير عن غريزة المقاتلة بصورة متكررة لدى أى كائن بما فيه الانسان فان الحفزات العدوانية ستنمو وقد تفرغ شحنتها فى نهاية المطاف بطرق قاسية ووحشية وقد يفسر هذا ثورتنا بما تتضمنه من انفعال شديد قد يصل لحد العنف الذى يقع من حين لآخر.

(Wortman, CB., et al., ١٩٩٢)

إذا كان العدوان سمة بيولوجية عامة وفقا لما سبق، فكيف يمكننا تفسير الفروق الواضحة بين الناس من اظهراهم للعدوان؟ فى البداية نقول أن الأفراد يبدون اتساما فى تصرفاتهم المتسمة بالعدوانية رغم اختلاف وسائل التعبير عنها فالطفل الذى يعرض أقرانه عند الخامسة قد يستخدم الضرب عند العاشرة والأسلحة النارية عند العشرين، وتوحي الفروق بين الأفراد والاتساق فى سلوك الفرد لبعض الملاحظين بأن العدوانية سمة وراثية جينية .وقد توصلت الدراسات عن العدوانية باستخدام التوائم إلى أن معامل الارتباط بين التوائم المتماثلة أى الذين يشتركون فى نفس الصفات الوراثية هو فى حدود ٤٠ ، وبالنسبة للتوائم الأخوية أى الذين يشتركون فى ٥٠% من الصفات الوراثية.

(Rushton, J. P., et al., ١٩٨٦).

ومن وجهة نظر علماء البيولوجيا الاجتماعية فالعدوان سلوك توافقى يتطور كوسيلة لزيادة إمكانية الوصول لمصادر الإعاشة والمصدر الذى يتم التنافس عليه بقوة هو الرفيق، الجنس أكثر من الطعام أو مناطق النقود فرغم أهمية الطعام ومناطق النفوذ بالنسبة للبقاء فإننتاج

الذرية أمر جوهري إذا كان الفرد يريد لمورثاته أن تبقى، وأقارب الدم يشتركون معنا في مورثاتنا وعلى ذلك يتوقع المنحنى البيولوجى الاجتماعى بأننا نتصرف بأقل قدر العدوانية مع أقاربنا ومما يؤيد ذلك أن إحدى الدراسات وجدت أن الوالدين البيولوجيين أقل احتمالاً بكثير لإيذاء أو قتل ذريتهما حيث يشتركون بالطبع فى المورثات مقارنة بزواج الأم أو زوجة الأب حيث يسيئون لأطفال الزوج.

(Wilson, 1988 & Daly)

إلا أن التفسير البيولوجى الإجتماعى للعدوان يتعرض لانتقاد شديد وربما يكون أقوى انتقاد موجه له هو أنه يدعى بأن العدوان فطرى وشامل أى ينطبق على كل المجتمعات وهذا غير صحيح فهناك قدر هائل من التفاوت والاختلاف الثقافى والتاريخى يظهر فى العدوان (Rulach & Weiner, 1995) فمثلاً فى السنوات الأخيرة يشكل الانتحار والقتل أكبر سبب للموت بين المراهقين الأمريكين (Ozer, 1998).

ولا يوجد بلد فى العالم يقترب من هذه المستويات وعلى هذا فلا يمكن أن ينشأ العدوان بصورة تامة من قيمته النشئويه البقائية فلا بد أن يكون للعوامل الاجتماعية تأثير جوهري ويوضح شكل المدى الثقافى للعدوان.

٤ - مورثات السلوك

تركز البحوث عن مورثات السلوك على الوشائج بين الارث الجينى والسلوك وهى مهمة طموحة وغاية فى الصعوبة للبيولوجيا الاجتماعية ويدرس الباحثون فى مجال الوراثة الجينية الفروق بين الأفراد و الجماعات المختلفة و من الطرق الفعالة فى بحث محصلات الوراثة دراسة التوائم و الأطفال الذين يتم تبنيهم ففى دراسات التوائم تتم المقارنة بين التوائم المتطابقة والتوائم الأخوية والتوائم المتطابقة كما عرفنا تنشأ من نفس الخلية المخصبة وتشارك بنسبة ١٠٠% من المورثات بينما تنشأ التوائم الأخوية من بويضتين منفصلتين ولا يشتركان الا بنفس القدر من المورثات التى يشترك فيها أى أخوين آخرين لهذا إذا كانت السممة موروثية ستظهر التوائم المتطابقة تماثلاً فى السممة أكبر من التوائم الأخوية ولسوء الحظ زودتنا دراسات التوائم بنتائج متضاربة بالنسبة للعدوان ومن ثم لا يمكن استخلاص استنتاجات قاطعة.

(Yashikawa, 1994).

وقد تم كشف النقاب عن نتائج مثيرة من الدراسات التي أجريت على أطفال التبني فى هذه الحالات و بالنسبة لئى سمة موروثه سيكون أطفال التبني أكثر شبةا بوالديهم البيولوجيين حيث هم الذين أمدهم بالمورثات مقارنة بوالديهم الذين تبنوهم وقد بحث مدنيل وكاندل Mednic و Kandel& السجلات الإجرامية لأطفال التبني فى الدنمارك وأيضا السجلات الاجرامية لوالديهم البيولوجيين ووالديهم بالتبني، كان الرجال أكثر احتمالا من النساء لأن يرتكبوا جرائم و لذلك تم استبعاد الإناث من الدراسة،وأوضح الباحثان أنه بالنسبة لجرائم الملكية ،السطو على المنازل ليلا الخ ارتبط سلوك الأطفال الذين تم تبنيهم إيجابيا بسلوك والديهم البيولوجى، إلا أنه بالنسبة لجرائم العنف الاغتصاب الاعتداء إلخ لم تكن هناك علاقة. وفى ضوء هذه المعطيات لا يزودنا منحى مورثات السلوك إلا بالقليل من التأييد لوجهة النظر القائلة بأن العدوان هو جزء موروث من شخصية المرء

٥: الفروق بين الجنسين

فى أغلب المجتمعات يتم تشجيع الصبيان على أن يكونوا أكثر عدوانية من البنات حيث يتعرضن للاستهجان إذا أظهرن العدوان (Ross, 1985 & Condry) وللدوار الاجتماعية تأثير قوى للغاية على السلوك العدوانى (Steffen, 1986 & Eagly) وبصورة عامة الرجال أكثر عدوانا جسديا من النساء (Niemela, 1992 & Bjorkvist) فالغالبية العظمى من جرائم العنف يرتكبها الرجال (Steffen, 1986 & Eagly) ربما لأنهم أقوى جسما إلا أنه وعلى نطاق محدود تكون هذه النزعة معكوسة فى بعض المجتمعات فى الجزر المعزولة (Cook, 1992).

وبالطبع لا يتجلى العدوان فى الصور الجسمانية فقط فنحن على وعى بالكذبة المستمرة منذ القدم القائلة العصى والحجارة يمكن أن تكسر عظامى ولكن الكلام لن يؤذنى، فإمكان العدوان اللفظى أن يسبب أذى أكثر من العدوان الجسدى و الأدلة على وجود فروق بين الجنسين فى العدوان اللفظى متضاربة إلى حد ما فقد وجد بوس وبيرى Perry&Buss 1992 أن الرجال أكثر عدوانا لفظيا بينما لم يجد ستروس وسويت Sweet 1992 فرقا بين الرجال والنساء على مقاييس العدوان اللفظى وقد تكون النساء أكثر استخداما للعدوان اللفظى المباشر مثل التحدث فى غياب الآخر بما يسوءه ونشر الإشاعات و الأكاذيب.

(Pennington, et al., ١٩٩٩)

كيف يمكن تفسير هذه الفروق بين الجنسين؟ تقوم بعض التفسيرات الممكنة على: ١\_ العوامل البيولوجية :

التي تضم الهرمونات الجنسية وبنية الجسم. فقد ربط بعض الباحثين بين مستوى التستوستيرون في الدم والعدوان. ومن المعلوم أن هذا الهرمون تفرزه الغدد التناسلية لدى كل من الذكور والإناث على السواء، ولكن يبدي الذكور معدلاً أعلى من هذا الهرمون في الدم. وبصورة عامة، تصدق المقولة القائلة بأن الذكور في أغلب أنواع الكائنات الحية (وليس كلها) تعرض مستويات مرتفعة من السلوك العدواني مقارنة بالإناث؛ ففي الفئران مثلاً، تم التأكد جيداً بأن السلوك ينخفض بعد خصاء الحيوان. ويمكن أن تعود الفئران المخصية إلى السلوك العدواني لدى طائفة من حيوانات المزرعة كالماعز والحمير والخيول. (أحمد الشافعي، ٢٠٠٠)

ومع أن هذه الدراسات تظهر ارتباطاً بين المستويات المرتفعة من التستوستيرون والسلوك العدواني، ولكن لا يمكن إثبات صلة سببية بينهما. وقد افترض بعض الباحثين أن السلوك العدواني هو الذي يزيد من مستويات التستوستيرون (Richardson&Baron). إضافة لذلك، يبدو أن للعوامل الاجتماعية تأثير على دور التستوستيرون في العدوان. فمثلاً، وجد دابيس وزملاؤه Dabbes, et al ، (١٩٩٠) أن المستويات المرتفعة من التستوستيرون ترتبط بقوة بالسلوك العدواني بين الذين ينتمون للطبقة الاجتماعية - والاقتصادية الدنيا. كذلك يمكن للبنية الجسمية الذكورية "القوية" أن تفسر الفروق بين الجنسين في العدوان.

٢\_ نظريات التعلم :

من خلال التفسيرات السابقة، ينظر إلى العدوان كمحصلة محتومة لعوامل داخل الشخص أو في بيئته. إلا أن وجهة النظر البديلة هي أن هذا السلوك مكتسب، وهذا ما يتبناه أغلب العلماء الاجتماعيين. بل إن الحيوانات الأدنى مرتبة في التطور تتعلم الاستجابات التي كنا نعتبرها "غريزية الطابع". فعلى سبيل المثال نجد صغار القطط لا تطارد الفئران من خلال الغريزة وحدها. إنها تتعلم هذا السلوك بمراقبة القطط الأكبر.. وبالنسبة للبشر، يكون تأثير التعلم أكثر شمولاً. وعلى هذا حازت نظريات التعلم الاجتماعي في العدوان على اهتمام كبير. وفي هذا الجزء سنتناول بالإضافة إلى التعلم الاجتماعي أو النمذجة المعايير التي تصنعها الثقافة

بالنسبة للسلوك العدوانى.

٣- النمذجة:

تعتبر نظرية ألبرت باندورا A. Bandura عن القدوة أو النمذجة modeling أكثر نظريات التعلم قبولاً فى الأوساط العلمية. وطبقاً لهذه النظرية، يكتسب الناس كيفية إلحاق الأذى بالآخرين من خلال تعرضهم لنماذج العنف ومن خلال التدعيم الإيجابى للعدوان. وقد اتضح مدى تأثير النمذجة فى استثارة السلوك العدوانى فى التجربة الكلاسيكية التى أجراها باندورا وزملاؤه (١٩٦١). قام تلاميذ الحضانة بمشاهدة أحد شخصين راشدين كنموذجية. أهمل الأول دمىة كبيرة وأنشغل بالعبث فى أحد المقاعد ولكن بصورة هادئة، بينما أساء الشخص الآخر للدمية، فقام بتثقيبها (تخزيمها) من وجهها وضربها فوق رأسها بمطرقة خشبية وقذفها فى الهواء بغضب وركلها بقدمه عبر أرجاء الحجرة. وكان يصرخ بين الحين والآخر وهو يهاجم قائلاً: اضربها فى أنفها... اركلها!". وتحت ظرف تجريبى يحتوى على إحباط طفيف، أظهر الأطفال الذين شاهدوا النموذج العنيف عدوانية أكبر من الأطفال الذين شاهدوا النموذج الآخر. علاوة على ذلك، مال الأطفال الذين شاهدوا النموذج العنيف إلى تقليده. فقد قاموا بثقب الدمية وضربها بالمطرقة وركلها والصرخ فيها.

وهكذا يتضح أن التعرض للنموذج العدوانى يطلق العنان للعدان ويوحى بأفعال عدوانية محددة. ومن وجهة نظر باندورا (١٩٧٧)، فإن النماذج تحرص بطريقة أو بأخرى على العدوان. وقد تتمثل هذه الطريقة فى الإيضاح أو التحريض الضمنى أو الصريح، أو بالإيحاء بأن هذا السلوك مناسب أو مرغوب فيه أو على الأقل جائز ومسموح به.

وفى المقابل، فإن ملاحظة النموذج " (اللاعوانى) تزود المرء ببديل آخر للتصرف، وقد تفيد فى تقوية مقاومة الشخص للعدوان. فالشخص الغاضب الذى يلاحظ شخصاً ما يتصرف بهدوء وعقلانية من المحتمل أن تخمد ثورة الغضب فى نفسه بدلاً من الاندفاع فى ثورة غضب.

ولكن ما هى العوامل التى تؤثر على الدرجة التى يقلد بها الشخص النموذجية العدوانية؟ إن أحد التأثيرات المهمة هى وجود الثواب أو العقاب. ففى دراسة تتبعية، وجد باندورا (١٩٦٥) أنه من غير المحتمل أن يقلد الأطفال النموذج الذى تتم معاقبته على العدوان. رغم ذلك، فالتأثير الكابح للعقاب على العدوان أمر بالغ التعقيد. وبصورة عامة، يجب

توافر العديد من الشروط حتى يتحقق الخوف من العقاب على ارتكاب العمل، حددها بانديوار (١٩٨٣) في:

لابد من توافر طرق بديلة للحصول على ما يرغبه الشخص العدوانى.  
يجب أن يتم إدراك العقاب على أنه سريع ومؤكد الحدوث.  
ألا يصل الفرد إلى درجة شديدة من الغضب.  
أن يعتقد أن القائم بالعقاب لديه الحق والتخيل بتوقيع العقاب.

(P. ٦١٠). ١٩٩٢ In : Wortman, C. et al.,)

ولكن يجب أن نأخذ في اعتبارنا أنه بمجرد إزالة التهديد بالعقاب، قد يزين العدوان للشخص مرة أخرى، وخاصة إذا كانت المكافآت المحتملة كبيرة. وتوضح البحوث أن أغلب حالات العدوان يتم مكافأتها. ففي دراسة قام بها باترسون وزملاؤه Patterson, et al. حصل ٨٠% تقريباً من الأطفال الذين شنوا هجوماً جسدياً و لفظياً على نتائج إيجابية للغاية من عدوانهم. وأحياناً تكون هذه المكافآت مادية (مثل الحصول على لعبة محبوبة)، وتكون في أحيان أخرى اجتماعية (الفوز بإعجاب الوالدين أو الإخوة أو الأقارب أو الزملاء)، وفي أحيان ثالثة تكون داخلية (تقوية إحساس الطفل بالقوة)، وفي أحيان رابعة يتلقى الطفل أكثر من صورة من صور المكافآت هذه.

والسؤال المطروح هنا هل نستخدم العقاب مع الشخص العدوانى؟ ومن الصعب الوصول إلى إجابة قاطعة لهذا السؤال. ولكننا نعرف أن المربين وعلماء النفس يتحاشون استخدام العقاب البدنى مع أطفال المدارس. ويبررون ذلك بأن المعلمين والوالدين هم رموز يحظون باحترام الأطفال. فإذا قام رموز السلطة موضع الاحترام بإيذاء الأطفال، فسيكون ذلك مسوغاً للأطفال بأن يستخدموا مثل هذه الطرق.

ومن خلال العقاب، يتعلم الناس وكذلك الحيوانات ما لا يجب عليهم أن يفعلوه أكثر من أن يتعلموا ما يجب عمله. وقد لاقت آثار العقاب على السلوك العدوانى اهتماماً كبيراً لأن هذه الآثار متناقضة إلى حد ما. فعند توقيع العقاب على الحيوان أو الشخص على تصرفه بعدوانية، فإن ذلك يعنى أن مثيراً مؤلماً يقدم له بسبب عدوانه ومن ثم، قد تخفى أفعاله العدوانية مؤقتاً، ولكن المثيرات المؤلمة هي أحد أسباب العدوان. وهكذا قد يعمل الإجراء الذى يستهدف تخفيض العدوان على زيادته فى نهاية المطاف. وقد وجدت هذه النتيجة فى



مجموعة متنوعة من التجارب التي أجريت على أنواع مختلفة من الكائنات (وكذلك الإنسان). وعلى هذا، فإن صفع الطفل على وجهه لإيذائه طفلاً آخر قد ينتج عنه مزيد من الإيذاء والضرب.

(Baemninger, R., ١٩٩٤)

## ٢- المعايير الاجتماعية

من المعايير الاجتماعية التي تحض على العدوان معيار التبادلية (أو السن بالسن) الذي يعبر عن عادة الأخذ بالثأر (إن لم يشجعها) السائدة في بعض مناطق مصر وخاصة الصعيد، رغم أن الثأر كنوع من السلوك العدواني - عمل كريبه في الثقافة اليابانية (Alcock, et al., ١٩٨٨). ويحتوي العرف الأمريكي على عبارة شهيرة تقول "من الصواب أن تحمل سلاحاً نارياً، ومن الأصوب ألا تستخدمه". ورغم أن المقصود من العبارة الدفاع عن النفس، فإن معدل القتل في هذا البلد اكبر منه في أى مكان آخر (Ozer, ١٩٩٨).

هناك معايير للعدوان تكون محصلة لثقافة فرعية معينة. فمثلاً، من الخطأ بين مراهقى شيكاغو أن تظهر عدم الاحترام للشباب الآخرين في الجيرة (Mackie, ١٩٩٥ & Smith). والاستجابة المعيارية لعدم الاحترام هو العنف المتطرف بما فيه القتل (Terry, ١٩٩٣). والصبية العدوانيون من بين أطفال المدارس يحوزون على شعبية كبيرة، ترسخ هذه الشعبية معيار تقبل العنف (Dodge, ١٩٨٩ & Price). والمعايير ليست مقصورة على الشباب، فغالباً ما تستخدم المعايير التي تحض على العدوان بين المتنافسين في عالم الأعمال من المديرين التنفيذيين (ذوي الياقة البيضاء).

ويجيز معيار العدوان الذكري كذلك السلوك العدواني بدرجة أو بأخرى، وهو معيار سائد في الثقافة الأمريكية وثقافة جنوب أوروبا، وأيضاً في مصر. ففي تلك البلدان، يعجب الذكر كثيراً بكونه "عنيفاً": أكثر مما في بلدان أوروبا الشمالية مثل إنجلترا (Block, ١٩٧٣). وهناك معيار آخر يسمى الخصوصية الأسرية. يتغاضى هذا المعيار عن العدوان في المواقف الأسرية. فنحن لا نكون في الغالب على استعداد للتدخل في المشادات الكلامية بين رجل وامرأة لأننا نفترض أنهما زوج وزوجة كذلك من غير المحتمل أن نتدخل إذا رأينا امرأة تضرب طفلاً على الملأ، مفترضين أنها أمه. ولسوء الحظ، يكفل معيار الخصوصية الأسرية

عدم التدخل لوقف العنف داخل الأسرة، بل وتشجيعه في الغالب ( Berk&Sherman ).

### ٣ العوامل الموقفية

قد يجادل علماء البيولوجيا الاجتماعية بوجود نزعة بيولوجية فطرية للسلوك العدواني. وقد يفترض منظور التعلم الاجتماعي وجود طرق يمكن من خلالها تعلم العدوان. وفي هذا الجزء، سنتناول تأثير البيئة الفيزيائية وبعض المتغيرات الاخرى على العدوان.

#### ١- الظروف البيئية:

تسهم الظروف البيئية الضاغطة بدور لا يمكن تجاهله في حدوث العدوان. وتشمل الظروف البيئية: الضوضاء والإزدحام والتلوث البيئي والطقسى. فبالنسبة للطقس، فإن حدوث أعمال الشغب نكون أكثر احتمالاً عندما يكون الطقس معتدلاً ( Richardson, ١٩٩٤ & Baron ). ذلك أن الطقس المتطرف وخاصة شديد البرودة يؤثر سلبياً على خروج الناس في الشوارع. وفي المقابل عندما تكون الحرارة مرتفعة يكون العدوان أكثر احتمالاً. ذلك أن ما يصحب ارتفاع الحرارة من تغيرات فسيولوجية (فقد نسبة من الأملاح نتيجة العرق) تعمل على زيادة درجة الاستثارة في الجهاز العصبي، وهكذا يكون الفرد مهيناً للإنخراط في العدوان. كما أن الإزدحام يؤدي إلى حدوث العدوان. فتقوم الناس في وسائل المواصلات مثلاً ينتهك خصوصيتهم ويوتر أعصابهم، وبذلك يكونون اكثر استعداداً للتشاجر وإصدار السلوكيات العنيفة. وفي ظروف إزدحام السجون يتصاعد العنف. أما الضوضاء فتجعل الفرد على استعداد للاستجابة بعدوانية من خلال تأثيرها السالب على بعضه الوظائف الحيوية كالسمع ونبض القلب، فضلاً عن إثارته للشعور بالإنزعاج (زين العابدين درويش وآخرون، ١٩٩٤). كما يؤثر التلوث البيئي على الاستجابات العدوانية وخاصة تلوث الهواء (Zillman, et al., ١٩٨١).

#### ٢- المكانة الاجتماعية:

ذكرنا من قبل أن أولئك الذين ينتمون إلى المكانة الاجتماعية - الاقتصادية المنخفضة يبدون صلة قوية بين مستويات التستوسترون والسلوك العدواني إذا قورنوا بجماعات أخرى (Morris, ١٩٩٠ & Dallis) إلا أن الظروف الاجتماعية التي يحياها الناس يمكن أن تؤثر أيضاً على العدوان ويبرز الحرمان النسبي عندما يقارن الناس وضعهم الاجتماعي - الاقتصادي بوضع غيرهم في المجتمع، ومن ثم يستنتجون أن وضعهم سيئ. وإذا كان من

المستحيل أو على الأقل من المتعذر إصلاح الخلل في التوازن بالطرق الشرعية القانونية، فقد يتصرف أعضاء الجماعة المحرومة بعدوانية. وقد اندلعت العديد من الثورات عبر التاريخ بهذه الطريقة. وقد قيل إن أعمال الشغب التي شهدتها مدينة لوس إنجلوس بعد تبرئة رجال الشرطة (البيض) من تهمة ضرب رودنى كنج (الأسود) قد تعززت بالشعور بالحرمان النسبي بين مثيري الشغب (Vaughan, 1995 & Hagg).

### ٣- الإحباط

يتم في الغالب اقتراف الأعمال العدوانية في وجود نوع من الاستفزاز أو المضايقة. ولذلك يلجأ المحامون عن القتلة إلى إثبات أن السلوك العنيف الذي أدى إلى القتل قد جاء نتيجة الإحباط. وهم في ذلك ينطلقون من فكرة أن القتل أو الضرب العنيف لم يكن ليقع لو لم يحدث الاستفزاز من جانب الضحية. وفي الحياة اليومية عندما يعيقك شخص أو شئ عن تحقيق هدف مثلا ، عندما تقود سيارتك وأمامك شخص يقود سيارته ببطء وأنت متأخر عن موعد المحاضرة ، أو جارك الذي يعزف الموسيقى أو يفتح جهاز التسجيل بصوت مرتفع وأنت تستذكر دروسك ليلة الامتحان ، في كلتا الحالتين ستشعر بالإحباط في العادة.

في الثلاثينيات من القرن العشرين ، افترض مجموعة من علماء النفس في جامعة ييل Yale وعلى رأسها دولارد Dollard (1939) - أن العدوان هو دوما نتيجة للإحباط ، وأدت أعمالهم إلى صياغة فرص الإحباط - العدوان. وجادل دولارد وزملاؤه بأن الدافع للعدوان هو دافع نفسى يستثيره الإحباط. والإحباط هو التدخل غير المتوقع الذى من شأنه عرقلة السلوك الموجه نحو الهدف. وعلى هذا ، فعندما تعاق محاولات الشخص للحصول على الطعام أو المأوى أو الاعتراف ... الخ يصبح عدوانيا. ولكن هذا لا يعنى أنه سيندفع على الفور تأثرا بسبب الإحباط ، بل إن الإستجابة العدوانية - من وجهة نظر دولارد - قد تتأخر أو تتقنع أو تتحول نحو أناس آخرين أو موضوعات أخرى أو تنحرف عن هدفها المنطقى المباشر. فالموظف الذى يتخطاه زميله فى الترقية قد يروج شائعة تسمى إلى سمعة زميله هذا ، أو قد يوجه الإهانة (أو حتى الضرب) لزوجته أو ابنه بدلا من توجيهها لمن اغتصب حقه. أى أن الإحباط من وجهة نظر دولارد يؤدي دائما إلى نوع من السلوك الذى يستهدف إطلاق الحفزات العدوانية. وقد تم تبني القول القديم القائل "إذا رجعت إلى المنزل فى يوم كان مليئا بالإحباط ، فاركل القطة" ثم تبنيه بطريقة أكثر إنسانية من جانب بعض الشركات اليابانية ، حيث تضع

تمثالا طبق الأصل لرئيس الشركة ، وتسمح للعمال المحبطين بضربه.

(Pennington, et al., (١٩٩٩))

وقد وجهت الإنتقادات لفرص الإحباط - العدوان. فالعدوان طبقا لهذا الغرض هو رد الفعل الوحيد على الإحباط ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك. فمثلا ، ينسحب بعض الناس عند إعاقة جهودهم ، بينما يعمل آخرون بجدية أكبر لتحقيق هدفهم. ومن الإنتقادات الأخرى أنه على نقيض ما يقترحه دولارد ، فالإحباط ليس السبب الوحيد للغضب والعدوان. ففي مقابلات أجريت عن خبرات الناس الحياتية الفعلية فيما يتعلق بالغضب ، كشفوا عن أنهم يصبحون غاضبين لعدد متباين من الأسباب بما فيه جرح كرامتهم أو تقدير الذات لديهم أو انتهاك الآخرين للمعايير الاجتماعية المتعارف عليها أو حدوث إهانة شخصية.

وكما يذكر زين العابدين درويش وزملاءه (١٩٩٤) ، توصل الباحثون إلى وصف الشروط التي فى ظلها يؤدي الإحباط إلى العدوان. منها أن تكون مثيرات الإحباط مقبولة للعدوان (الأعداء أو أبناء الأقلية فى مجتمع عنصرى) أو حين يعتقد الشخص أنه لن يتعرض للعقاب ، أو حين يشعر الفرد بأن الإحباط نتج عن سلوك غير مشروع أو متعسف قام به العائق. فعلى سبيل المثال ، الطفل الذى يحرمه والده من المصرف حين يتقاعس عن إكمال الواجب المدرسى لن يتساوى إحباطه مع طفل حرم من مصروفه على الرغم من قيامه بأداء ذلك الواجب.

زين العابدين درويش وآخرون ، (١٩٩٤).

وقد جاءت نظرية بديلة من التجارب المعملية على الحيوان ، حيث وجد أن الاستثارة المؤلمة فى حضور فرد آخر من أفراد نفس النوع كاف لحدوث هجوم فوري. وثم تم مطابقة هذه النتيجة على مجموعة متنوعة من الحيوانات شملت كل طائفة الفقاريات تقريبا. حتى حمام المعمل سعى إلى الهجوم على الحمام الآخر عند تلقيه صدمات كهربية. وقد اقترح العديد من المنظرين أن الخوف أو الرعب هو أهم محرض على العدوان. ويجادل البعض بأن الخوف متهم فى العدوان بالمعيار الوطنى ، كما يحدث عندما تعتقد كل دولة متحابة أنها فى خطر من مهاجمة الدولة الأخرى. لهذا تلجأ هذه الظروف إلى ما يسمى "بالضربة الاستباقية".

وعلى كل الأحوال ، ما يزال لغرض الإحباط - العدوان صدى فى الأوساط العلمية. وفى مراجعة للأبحاث فى هذا المجال ، وجد ليونرد روكفيتش L.Rorkuitz (١٩٨٩) أن لب افتراض دولارد

صحيحاً ، ولكن يجب تعديله على النحو التالي : إن الإحباطات لا تخلق العدوان إلا بالمقدار الذى يشعر به الشخص على أنها غير مريحة فالإحباطات أحداث منفرة ، ولذلك ينتج عنها مشاعر سلبية ، ومن المحتمل أن تستثير المشاعر السلبية كالعدوان. ويوسع بركوفيتش هذه الفكرة بافتراض أن أى نوع من المشاعر السلبية - كالحزن والاكتئاب وكذلك العدائية وسرعة الاستثارة - سوف ينتج عنها الغضب والسلوك العدوانى.

( Berkowitz, & Fimman ١٩٨٩ )

#### ٤ الخصائص الشخصية

:السلوك هو محصلة كل من البيئة والفرد ، فالخصائص الشخصية هى أحد مصادر التأثير فى السلوك العدوانى. وفى هذا الصدد سنتناول ثلاثة أمور : الشخصية العدوانية والضبظ المعرفى وانعدام الكف.

#### ١- الشخصية العدوانية

إذا تأملت فى الناس الذين تعرفهم ، فقد تعتبر أن واحداً أو اثنين منهم لديه "شخصية عدوانية ، حيث يبدو أن رد فعله حاد بالنسبة لأى شئ تقرب ، ويعتبر بصورة عامة شخصية "سيئة الخلق" Touchy مثال ذلك الشخص السادي الذى يتلذذ بتعذيب الآخرين دون أى استفزاز من جانبهم. كما أن هناك فى كثير من المجتمعات من يتم استنجاؤهم بهدف القتل ، أو المرتزقة الذين يحارون مع أى جيش فى مقابل المال. إذن يبدو أن هناك شخصيات "عدوانية" بطبيعتها.

وفى شرح مستفيض تم بناء على أعمال بحثية ، يصف لنا هانزتوك Hans Toch الباحث فى علم الجريمة فى كتابه Violent Men المنشور عام ١٩٨٤ خصائص الدوافع لدى أولئك الذين يستخدمون العنف دون استفزاز واضح على النحو التالى.

(Through : Barnninger, ١٩٩٤, PP. ٤٤-٤٥)

الدفاع عن السمعة : يتوقع كثير من الناس أن يدافع بطل الملاكمة أو المصارع عن سمعته خارج الحلبة مثلما يدافع عنها داخل الحلبة. والشخص الذى يعتقد أن لديه هذه الشهرة أو شهرة مشابهة وهى عرضة للضياع - سواء كان ذلك حقيقياً أو متخيلاً - فإنه يستخدم

العنف.

دعم المعايير والتأكيد عليها : من الناس من يحددون لأنفسهم رسالة تتمثل فى التأكيد على معايير وقواعد للتصرف يعتقدون أنها شاملة. ويمكن أن نجد أمثلة من التاريخ العربى فى الصعاليك الذين كانوا يشنون الغارات - فى الجاهلية قبل الإسلام - على الأغنياء ويسلبون من أموالهم ليعطوها للفقراء .

ج- الدفاع عن الذات : فى الحياة البدائية ، حيث تكون بيئة الشخص فى الغالب خطرا جسيما عليه من أشخاص يناصرونه العداة أو من آخرين ، فإن مهاجمة أو ترويع الآخرين قبل أن يلحقوا به الأذى هو أمر يمكن توقعه وتفهمه.

د- إزالة الضغط : إن مخاوف ومطالب وضغوط وإحباطات الحياة الاجتماعية أو الظروف الاقتصادية قد تتضخم لتصل إلى النقطة التى عندها يبدو أن الانفجار هو الخيار الوحيد المتاح.

هـ- الاستئساد : يتمثل الأمر ببساطة لبعض الناس فى الضغط من خلال تخويف أو ترويع الآخرين بوسائل عنيفة.

ز- الانغماس الذاتى : يمثل إلحاق الأذى بالآخرين مبعث رضا الشخص السادى. ويكون اشباع رغبة ذلك الشخص هو الشئ الأهم فى تفاعلاته الاجتماعية.

ح- التنفيس : إذا قام المرء بأفعال عدوانية وعنيفة ، فإنه يمر بخبرة التنفيس ، ومن ثم تميل مثل تلك الأفعال للتكرار. فقد كانت انفعالات جمهور الحضور فى اليونان القديمة تتدافع عند مشاهدة التراجيديات الكلاسيكية ، ومن ثم يحدث لهم "تطهير".

هذه الدوافع التى حددها توك ليست من النمط الحصرى ، بمعنى أنه إذا وجد دافع ينفى باقى الدوافع بل إن وجودها لا يستبعد إمكانية وجود أسباب أخرى كالإحباط مثلا.

## ٢- التحكم المعرفى

تخيل نفسك تشق طريقك وسط حشود من الناس فى أحد الأسواق الشعبية ، واصطدم واحد منهم بك بشدة، إن أول خبرة تمر بها هى الضيق ، وتضايك هذا أمر يمكن تفهمه. ولكن كيف يكون شعورك إذا قدم لك اعتذارا ؟ رغم أنك ما تزال تشعر بالضيق ، فإنك أقل احتمالا بكثير للإستجابة بعدوانية بعد تقديم الاعتذار (Ohbuchi, et al., ١٩٨٩). هذا لأن قول "آسف" تزودنا بمعلومات ملطفة mitigating توضح أن الفعل لم يكن مقصودا. وفى القانون ،

يستخدم المعلومات الملوطة عند الحكم على الشخص بأنه غير مسئول عن أفعاله بسبب الجنون. وفي المواقف اليومية ، نميل لأن نكون متساهلين نحو الناس الذين يضايقوننا إذا علمنا أنهم يمرون بظروف شخصية صعبة.

وإحدى المؤثرات القوية على التحكم المعرفى هو تعاطى الكحول؛ فللكحول مثلا دور أساسى كسبب للاعتداء الجنىسى. ذلك أنه يقلل من قدرات المعالجة المعرفية لأنه يجعل الشخص يفقد الإشارات التى تقمع السلوك العدوانى (Jasephs & Steele ١٩٩٠). رغم ذلك ، ترى النظرية البديلة أن الضغوط هى التى تسهم فى كل من تعاطى الكحول والعدوان ، وأن الأشخاص المتسمين بالعنف يميلون إلى تعاطى مقادير كبيرة من الكحول (Bradbury, ١٩٨٤).

### ٣- انعدام الكف

إن أحد أسباب استخدام الناس للكحول فى المناسبات الاجتماعية (فى الغرب عادة) هو أن جرعات صغيرة منه تقلل الكف الاجتماعى ، مما يسمح للناس أن يقيموا تفاعلات بسلاسة وحرية. أما الجرعات الكبيرة فيمكن أن تؤدى إلى انعدام الكف بصورة تامة. ويشير المصطلح إلى تقلص المؤثرات الاجتماعية التى تمنع الناس من إتيان السلوك العدوانى. ويحدث انعدام الكف فى حالة العدوان الجماعى (حيث لا يمكن التعرف على أحد كمسئول عما يحدث) وفى حالة تجهيل المسئولية الفردية، فإذا استطاع الناس التملص عن تحمل المسئولية عن أفعالهم ومن ثم يمكنهم الإفلات من العقاب ، فإنهم أكثر احتمالا لارتكاب الأفعال العدوانية. فقد وجدت سلسلة من الدراسات أن ضمانة عدم ذكر أسماء المبحوثين يؤدى إلى تزايد العدوان (Zimbardo, ١٩٦٩) ، وأن الرجال يتصرفون بعدوانية مع النساء عندما تجهل أسماءهم (Prentice, Lightadal & ١٩٩٤). وقد يؤدى تغييب المسئولية الشخصية إلى ارتكاب أفعال مرعبة يعجز اللسان عن وصفها مثل مهاجمة الجنود الأمريكين للنساء والأطفال فى فيتنام ، والمذبحة التى وقعت منذ عدة اعوام للآلاف من التوتسى على يد خصومهم الهوتو فى رواندا.

::إن إحدى القضايا الخلافية التي تدور حول تفسير التعلم الاجتماعي للعدوان تتمثل فى آثار مشاهد العنف التي تعرض على الشاشة بصورة واسعة الانتشار. ولقد وضع تأثير وسائل الإعلام - وخاصة التلفزيون - تحت الفحص المكثف كسبب محتمل للعنف. ورغم كثرتها ، تعاني البحوث فى هذا المجال من مشكلات منهجية ، حيث أن اختبار تأثيرات العنف فى وسائل الإعلام. يشتمل - فى العادة - على رؤية المشاركين لعدوان خفيف لفترة قصيرة من الوقت (Freedman, ١٩٨٤).

ويتمحور الجدل فى هذا الخصوص حول وجهتي نظر ، تفيد الأولى بأن شاشة التلفزيون بعرضها لمشاهد العنف تولد الأفعال العنيفة لدى المشاهدين ، وترى وجهة النظر الأخرى بأن مشاهد العنف ينتج عنها تنفيس لدى المشاهدين ومن ثم تنخفض انفعالات الغضب والعداء لديهم تماما كما تفرغ التمرينات الرياضية الطاقة الزائدة فيشعر الشخص بالاسترخاء ويتخلص من عدوانيته فى نهاية المطاف. ولنتوقف الآن لاستعراض بعض تلك الدراسات.

فى إحدى الدراسات ثم سؤال الوالدين عن مقدار الوقت الذى يقضيه أطفالهم الصغار أمام التلفزيون، وبعد ذلك تم زيارة هؤلاء الأطفال الذين يتصرفون بعدوانية أكثر هم الأطفال الذين يشاهدون البرامج التي تحتوى على العنف (Singer & Singer, ١٩٨١). وفى دراسة طولية ، تم تتبع عينة من الناس بالنسبة لعادات المشاهد على مدار اثنين وعشرين (٢٢) سنة. وكانت النتيجة اللافتة أنه كلما شاهد الشخص مشاهد عنف عند الثامنة من عمرة ، فإنه أكثر احتمالا لأن يرتكب أفعالا عنيفة عند الثلاثين (Huesmann & Eron, ١٩٨٦). وتوضح بعض الدراسات الارتباطية أن العنف التلفزيونى لا يؤدي بالضرورة إلى تقليد مباشر ولكنه يرفع بصورة عامة من مستوى السلوك العدوانى، فمثلا : تميل مستويات القتل فى المجتمع إلى الارتفاع بصورة دالة بعد مباريات الملاكمة للأبطال الشعبيين المحترفين (Wortman, et al., ١٩٩٢). والمربك فى المسألة أن للعنف التلفزيونى أثر مضاعف للعنف ، بمعنى أنه كلما شاهدنا العنف أكثر كلما تعودنا عليه. والنتيجة يكون الناس أكثر قبولا للسلوك العدوانى الفعلى وأقل ميلا أن ينفروا منه بمعنى آخر أنه بينما قد تنخفض المشاعر العدوانية بمشاهدة العنف ، فإن المرجح أن تزيد وتيرة الأفعال العدوانية.



ويرى رونال باينجر Baenninger (١٩٩٤) أن التليفزيون يؤثر جوهريا لا محالة على العدوانية. ففي سلسلة من التجارب المعملية ، وجد ليونارد بيركوفيتش L. Berkoutiz وزملاؤه أن الأسلحة - أو حتى صورة الأسلحة يزيد بصورة دالة من التعبير عن الغضب و وسائل الإعلام عموما ليست الوحيدة المتهمة بترويج العنف والعدوان. فقد وجد شيهان Sheehan (١٩٨٣) أن مشاهدة العنف التليفزيونى قد ارتبط بتقديرات الرفاق عن السلوك العدوانى لدى الأولاد (الذكور) فى سن ٨-١٠ سنوات، رغم ذلك لم يوجد تأثيرات لعادات المشاهدة على العدوان اللاحق لدى الأطفال صغار السن. أما أفضل العوامل تنبؤا بالعدوان اللاحق فهو الممارسات الأبوية ، أى تقديرات الطفل عن عدوان والديه واستخدام اللعب التخيلى العنيف ، لهذا فمشاهدة العنف التليفزيونى هو ببساطة واحد من عدد من المتغيرات التى تسهم فى السلوك العدوانى. (Pennington, et al., ١٩٩٩, pp. ٣١٠ - ٩٠٣)

#### كيفية تقليل السلوك العدوانى:

اقترح العلماء والمعالجون النفسيون عددا من الأساليب التى تستهدف مواجهة العدوان والعمل على التحكم فيه أو على الأقل تقليله. ويمكن تصنيف هذه الأساليب فى ثلاث فئات كالتالى :

تفريغ الطاقة : ينصح بعض المعالجين الناس أن يطلقوا حفاتهم العدوانية بالإنهماك فى أشكال غير ضارة من العدوان مثل التمرين البدنى العنيف ، أو لكم "كيس" الملاكمة ، أو حتى مشاهدة المباريات الرياضية الحافلة بالتنافس (Huffman, K., et al., ١٩٩٧).

ولكن الدراسات التجريبية (e.g. Mckenie - Mahr, ١٩٩٠, Zanna, ١٩٩٠) توحى بأن "استنزاف مستودع العدوان" لا يساعد فى الواقع على تخفيضه، والواقع أن التعبير عن الأنفعال أو الغضب .. الخ يؤدي إلى تكثيف الشعور أكثر من تقليله.

الاستجابات المنافسة : يقترح بارون Baron (١٩٨٣) أن تقديم استجابات انفعالية معينة مثل التعاطف مما يعمل على تقليله أو التحكم فيه (Huffman, K., et al., ١٩٩٧).

تحسين المهارات الاجتماعية : يهدف هذا الأسلوب إلى التحكم فى العدوان من خلال تحسين المهارات الاجتماعية ومهارات الاتصال، فقد وجدت بعض الدراسات (e.g., Baron, ١٩٨٨) أن

الناس الذين يعانون من نقص مهارات الاتصال يميلون إلى ارتكاب الأفعال العنيفة في المجتمع. ولسوء الحظ ، لا نبذل إلا القليل من الجهد في المدارس والبيت لتعليم مهارات الاتصال وأساليب حل الصراع.

## الفصل الثامن المعاودة الاجتماعية

\*سلوك المعاضدة الاجتماعية

\* مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية

\* التفسير البيولوجي

\*التعلم الاجتماعي

\*العوامل الموقفية

\*عوامل الشخصية

## ١. سلوك المعاضدة الاجتماعية

حتى عهد قريب كانت دراسة السلوك البناء ( السلوك الإيجابي ) مجالاً لا يلقى الاهتمام الكافي، ووفقاً لايزنبرج Eisenberg فإن بداية الاهتمام بالسلوكيات الإيجابية مثل الامبائية(١)

(١) اصطلاح استخدمه/بيترز ( ١٩٠٣ ) ليدلل على انغمار المرء في عمل فني أو منظر طبيعي مما أدى إلى إدخال المفهوم في العديد من نظريات علم الجمال واستخدام التحليل النفسي هذا الاصطلاح عند "أوتورنك" ليدلل على ضرب من الحب الذي يقوم في العلاقة الطرحية في شقها الحبي مما يمكن من التعرف الموضوعي غير الشخصي في مقابل التعاطف Sympathy . ويشير "كمال دسوقي" إلى أن الإمبائية ( الإعتفاف) تشير إلى " العلم بحال عقل شخص آخر

Empathy والمشاركة Sharing والمساعدة Helping بدأت في عقد السبعينيات من القرن الماضي ؛ الأمر الذي يمكن فهمه من خلال التوجه الإنساني للعلوم الاجتماعية والذي أحدث تغيرات واسعة في أساليب التفاعل البشري . علي الرغم من أن الوحشية موجودة عبر الزمن فإن وحشية النوع الإنساني ضد ذاته تقل بازدياد الاهتمامات الخيرة، وبازدياد تبني الاتجاهات الإيجابية نحو الحفاظ علي كرامة الحياة الإنسانية ، فضلاً عن ذلك فزيادة الاتجاهات الخيرة . بات يوازيه زيادة مماثلة في الاهتمام بالفئات الخاصة من الضعفاء والعجزة والمرضى والجماعات الأخرى من ذوي الحاجة للرعاية مثل الأطفال . ولعل مثل هذا التحول في النظرة قد أدى إلي استثارة الاهتمام بتطوير السلوكيات الإيجابية والاهتمام بها ( Eisenberg, ١٩٨٢ ) أيا ما كانت الأسباب الدافعة لهذا الاهتمام فإن الملاحظ هو تنامي الاهتمام بدراساتها علي المستويين العالمي والإقليمي (في العالم العربي عموماً ومصر خصوصاً) ومن المؤسف أن الدراسات العربية لم تهتم بدراساتها إلا بعد أن بدأ الاهتمام بها في الغرب (سيد احمد عثمان ١٩٨٦ : ٦٠) (علي الرغم من أن فئات السلوك الإيجابي مثل المساعدة ، الكرم ، المشاركة، البذل..... الخ جميعها تعد تاريخياً ودينياً أهم سمات الشخصية العربية والإسلامية.

وبصورة تاريخية نلاحظ أنه منذ السبعينيات بدأت الدراسات التي عنيت بالسلوكيات الإيجابية في الظهور مثل دراسة دارلي ولاتنية ماكوبي ( Darly & Latante Macouby, ١٩٧٠ ) ، وعند منتصف السبعينيات نشرت عدة كتب لبارتال ( Bartal, ١٩٧٦ ) وموسين وايزنبرج (Mussen & Eisenberg, ١٩٧٧) ، بل صدر عدد خاص عام ١٩٧٢ في دورية Journal of Social Issue, واستمر التراث البحثي في الامتداد وبدأت تظهر بحوث عن سلوك المعاضدة الاجتماعية Pro social والإيثار Altruism (Eisenberg, ١٩٨٢,p.٣).

ونظراً لحدائة الاهتمام نسبياً بهذا الموضوع فإن هناك الكثير من القضايا المفاهيمية والنظرية التي مازالت موضع جدل ، مثل تعريفات وتصنيفات سلوك المعاضدة والفرق بينه وبين الإيثار ، كذلك دور العمليات النوعية في تطور سلوك المعاضدة الاجتماعية مثل التنشئة وتأثير الارتقاء في الوجدان والمعرفة.

---

من غير شعور كما في التعاطف " والذي يشعر به الشخص الآخر . كمال دسوقي . ذخيرة علوم النفس . ص ٤٧٣ الجزء الأول .

ويتفق الباحثون في مجال التنشئة علي أن سلوك الفرد هو دالة لعملية التنشئة الوالدية التي خضع لها في الطفولة السوية فالرعاية الوالدية بما تضمنه من إشباع الحاجات الأساسية للطفل وغيرها من أشكال الرعاية السليمة هي بمثابة الأساس لنمو ثقة الطفل في نفسه وبالتالي ثقة الآخرين من حوله وهذا النمو يصبح قاعدة لقدرة الطفل علي فهم مشاعر الآخرين (Erikson, 1963) و في المقابل يشير "آدلر Adlar" إلي أن عواقب إهمال الطفل وعدم رعايته أو القسوة والإساءة إليه قد تفضي إلي شخصيات لديها تصورات خاطئة عن العالم الخارجي وبالتالي تتبني سلوكيات مضادة للمجتمع (كالفين هول، جاردرن لندي، 1971، 1973).

فتمية السلوك الايجابي لدي الأطفال تتم أولاً في سياق الأسرة ، فالعلاقات الوالدية التي تتسم بالحب والقبول تجاه الطفل ترسخ لديه وتضع الأساس لعلاقاته واتجاهاته الإيجابية نحو الآخرين ، فتعلم قبول وحب الآخرين يتم جنباً إلي جنب مع قبول الذات في إطار العلاقات الأسرية (مدوحة سلامة، 1990، 133) ، فالشعور بالآخر يسبق الشعور بالذات ، والوعي بالآخر باعث علي الوعي بالذات ، وهذه الذات بدون الآخر الذي تنتمي إليه تظل وجوداً غافلاً وخالياً من المعني وتظل إمكان بالقوة لا يتحقق بالفعل إلا من خلال الآخر وبإيجابية العلاقة معه (فرج أحمد، 97، 1980).

ووفقاً لبارتال ونسيم Nissim & Bartal فالسلوك الايثارى الذي يقدمه الفرد هو سلوك مركب يتطلب مستوى معيناً من النمو الخلقى والمعرفي والاجتماعي ، فالقدرة علي تأجيل إشباع حاجاته الذاتية ، وأن يضع نفسه موضع الآخر ، والتنبؤ بعواقب السلوك الذي يقوم به كلها متطلبات مهمة للقيام بهذا السلوك . (Bartal & Nissim 1984, 329).

وقبل الخوض في التراكبات البحثية التي عنيت بالمفهوم وطرق دراسته تجدر الإشارة الى المفارقة المثيرة للدهشة وهي علي الرغم من أن فئات السلوك الإيجابي مثل المساعدة ، الكرم ، المشاركة، البذل ..... الخ جميعها تعد تاريخياً ودينياً أهم سمات الشخصية العربية والإسلامية. الا انه لم ينتبه أحد لدراسته إلا بعد تناوله فى الدراسات الغربية.

. ومن أمثلة ذلك :النبأ الذى نقلته وكالة أسوشيتد برس فى ٢٦ نوفمبر : قرأ عامل بريد من ولايةفرجينيا عمره ٥١ عاما متزوج ويعول ودخله السنوى ثلاثة عشرة ألف دولار ، قرأ مقالا صحفيا عن طالب فى مدرسة ثانوية فقير ولا يمتلك المال الذى يقتات به ، قام بإرجاع (٤٠) دولار وجدها ملقاه فى أتوبيس المدرسة. وأشار المقال إلى أن الطالب تعرض للسخرية على

صنيعه هذا من جانب كثير من زملائه. هنا قرر عامل البريد أن يكافئ هذا الطالب على أمانته ، فقرر منحه مبلغ ألف دولار. إلى هنا والخبر قد يبدو عاديا ، ولكن ذكرت وكالة الأنباء أن عامل البريد يعيش حياة الشظف ليقطع من راتبه ألف دولار أخرى سنويا لصالح مؤسسه تعيد تأهيل المسجونين وألف دولار ثالثة لصبي مصرى فى حاجة لعملية جراحية باهظة التكاليف، ورغم أن أفعال هذا الشخص المحسن فى أمريكا خارج نطاق المؤلف ، فإنها تعكس جانبا على قدر كبير من الأهمية فى الشخصية الإنسانية. وهناك أفعال أقل شأنًا من هذا وأكثر اعتيادية تحدث يوميا. ففي حياتنا اليومية نرشد الناس الذين ضلوا طريقهم ، ونساعد قاندى السيارات المعطلة بدفعها والآخذ بيد شخص كيف لعبور الشارع ... الخ. ما الذى يدفع البشر إلى القيام بمثل هذه السلوكيات؟ هذا هو موضوع هذا الفصل ، حيث سنتناول مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية والنظريات المختلفة لتفسيره سواء كانت عوامل شخصية أو وراثية أو موقفية.

#### مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية

هناك عدة مصطلحات يستخدمها بعض المعنيين بمجال علم النفس الاجتماعى تدل على السلوكيات الإيجابية منها: سلوك المساعدة ، الإيثار ، سلوك المعاضدة الاجتماعية. ورغم محاولة بعض الباحثين التمييز بين مثل هذه المصطلحات ، إلا أن أغلب الباحثين يستخدمونها بالتبادل ، وهذا يعكس الغموض والخط الذى يكتنف هذا المفهوم حتى اليوم. وفي هذا الجزء ، سنحاول إلقاء الضوء على الجوانب المختلفة لهذا المفهوم.

#### بعض تعريفات المفهوم :

تتفق بل تجمع كل التعريفات على أن سلوك المعاضدة الاجتماعية Prosocial behavior هو سلوك اجتماعي إيجابي . وسنعرض فيما يلي بعضا من هذه التعريفات التي تعكس هذه الحقيقة :

١. تعريف مورجان وكنج (١٩٧٥) : يشار إلى دراسة سلوكيات مثل المساعدة ، الإيثار ، الكرم ، الاستدلال الأخلاقي بمفهوم "سلوك المعاضدة الاجتماعية .

( Morgan & King, ١٩٧٥ : ٤٢٤ )

٢. تعريف برفن Pervin (١٩٧٨) : يمكن النظر إلى المساعدة على أنها شئ نبيل أو إثاري بقدر انعدام توقع المكاسب الخارجية ، وبقدر ما يتكبده القائم بالمساعدة من عناء أو تكلفة In ( Phares, ١٩٨٨ : ٥٢٥ )

٣. تعريف صامويل (١٩٨١) : يمكن تعريف سلوك المعاوضة الاجتماعية - أو سلوك المساعدة - بأن القصد منه تغيير الحالة الجسمية أو النفسية لمتلقي المساعدة بطريقة يدرك بها القائم بالمساعدة أن هذا الشخص أصبح أكثر صحة أو رضاء سواء من الناحية المادية أو الجسمية ( Samuel, W, ١٩٨١ : ٣٠٨ )

٤. يرى أندروود و مور Moore & Underwood (١٩٨٢) : أن سلوكيات المعاوضة الاجتماعية هي السلوكيات التي تنفذ بقصد واضح هو إفادة الآخر أكثر من إفادة الذات : In ( Eisenbry, ١٩٨٢ : ٥ )

٥. تعريف فيرز (١٩٨٨) : يطلق على سلوك المعاوضة الاجتماعية مسميات أخرى مثل : سلوك المساعدة الإيثار ويطبقونها على آلاف السلوكيات التي تتراوح من المساهمة بالمال كنوع من الإحسان إلى فتح الوقت لخدمة دور المسنين ؛ ومن إبطال مفعول قنبلة في حي سكنى إلى مساعدة صديق في دراسته ، ومن الاستجابة لطلب شخص يارشاده إلى الطريق الصحيح إلى إعادة بطاقة تأمين فقدتها صاحبها. ( Phares, E., ١٩٨٨, ٥٢٤ - ٥٢٥ )

٦. تعريف ميدلارسكى (١٩٩١) : يشير سلوك المعاوضة الاجتماعية أو المساعدة إلى الأفعال التي يتم التعهد بها لمصلحة الآخرين. ( Midlarsky, ١٩٩١ : ٢٣٨ )

٧. تعريف كليرى (١٩٩٤) : سلوك المعاوضة الاجتماعية هو الأشكال الإيحائية من السلوك التي تتضمن إفادة الآخرين ، وهو مفهوم يقابل السلوك المضاد للمجتمع (٩٣ : ١٩٩٤ Clary,

( anti-social behavior ) وهكذا ، يتضح من هذه العينة من التعريفات أن سلوك المعاضدة الاجتماعية يضم أغلب السلوكيات الإيجابية التي تتراوح من المساعدة والكرم والإيثار .. إلى مجرد التعاطف أو الاستدلال الأخلاقي . ولكن يكمن في هذا التوسع الفضفاض للمفهوم فوضى مفاهيمية (إن جاز هذا التعبير) . وتؤيد رادك يارو وزملاؤها (١٩٧٦) هذا الاستنتاج ، فيتذكرون أن هذا المصطلح الغريب تستظل به مجموعة متنوعة من الاستجابات مثل : المشاركة ، المساعدة ، الحماية defending ، التعاطف ، الإنقاذ ، التعاون .... وغيرها. ( Radhe – Yarrow, etal., ١٩٧٦ ) .

بل يمكن القول بأن تاريخ علم النفس لم يشهد مصطلحا فضاضا مطاها يفوق مصطلح سلوك المعاضدة الاجتماعية ليس هذا فحسب ، بل إن ألفاظه تبدو غريبة. فكما يذكر دالي ، فإن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو مثال مثير على مصطلحات علماء النفس ، حيث حل مفهوم المعاضدة Prosocial محل مفهوم المساعدة helping . ( Darley, J., ١٩٩١, Footnote ١ : ٣٢٦ ) .

تحليل مقترح للمفهوم :

أسهم التشابك المفاهيمي في مجال سلوك المعاضدة الاجتماعية البحثي بدور فعال في الخلط التنظيري والامبريقي لكثير من القضايا المتعلقة بهذا المجال البحثي. ويكفي لتوضيح هذا التشابك المفاهيمي أن نذكر المصطلحات والمتغيرات التي يضمها مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية ، فهو يشمل ما يسمى بـ : الاستجابة الانفعالية البديلة vicarious emotional response ، اتخاذ المنظور perspective taken ، التقمص empathy ، التعاطف sympathy ، الضيق الشخصي Personal distress ، الإيثار altruism ، المساعدة helping ، المشاركة sharing ، الإزاحة comforting ، التعاون Cooperation .. الخ. فإذا كان مفهوم واحد يضم كل هذه المصطلحات ، فكيف يعالجه الباحثون على المستويين التنظيري والمنهجي ؟ وكيف يتم استخراج البيانات الإمبريقية ومعالجتها وتأويلها في ضوء هذا التشابك المفاهيمي ؟ بالنظر إلى المفاهيم السابقة التي يضمها مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية ، يمكن تحديد



ثلاثة جوانب رئيسية تبدو منفصلة - على الأقل من الناحية النظرية - وهي :

١- الموقف المثير ٢- العمليات الداخلية ٣- الاستجابة النزوعية .

وفيما يلي توضيح لهذه الجوانب الثلاثة :

١. الموقف المثير : لا تصدر استجابة المعاضدة الاجتماعية إلا عن موقف يستثيرها ، وحتى المواقف غير الطارئة تكون فيها دلائل wes على وجود حاجة إلى المساعدة . والاستثناء الوحيد قد يكون العمل التطوعي ، الذي يبدو أنه ناتج من غير استثارة، ولكن المدقق يكتشف أن المتطوع لابد أن يكون قد أدرك مدى الحاجة لجهوده التطوعية لخدمة أفراد ومؤسسات في حاجة إلى المساعدة.

هذا ، وينقسم الموقف المثير إلى نوعين : الموقف الطارئ ، وتكون فيه الحاجة إلى المساعدة واضحة وملحة في نفس الوقت - سواء جاء ذلك عن طلب بالمساعدة أو لم يأت - مثل شخص ينزف ملقى على الرصيف والموقف غير الطارئ حيث لا تكون الحاجة إلى المساعدة ملحة وعاجلة ، ولا يتسبب عن عدم وجودها ضرر مباشر مثل التبرع لبناء مدرسة أو مستشفى أو مساعدة شخص يستجدي في الطريق، ومثل النوع قد يأتي الطلب بالمساعدة في الموقف غير الطارئ أو لا يأتي.

٢-العمليات الداخلية : يستتبع تعرض الشخص لموقف أو شخص يتطلب المساعدة عمليات داخلية أو وجدانية ومعرفية) استجابة للموقف المثير. وتمثل هذه العمليات الداخلية المتغير (أو المتغيرات) الوسيط ، الذي يتوسط بين المثير وقيام الشخص بالاستجابة.

وهناك أشكال متعددة للعمليات الداخلية هذه : فقد يشعر الفرد بدرجة ما بنفس شعور الواقع في محنة وهو ما يسمى بالتقمص empathy ، أو قد يتعاطف معه فيشعر بالتأسف أو الانشغال نحو الشخص الآخر ، أو قد يشعر بالضيق الشخصي ويريد أن يتخلص من الموقف المثير له. وكل هذه الأشكال من الاستجابة الوجدانية يسميها المتخصصون في المجال بالاستجابة الانفعالية البديلة vicarious emotional response ولكن هناك شكل آخر مغاير يأتي استجابة للموقف المثير يطلق عليه اتخاذ المنظور perspective-taken ، ويعنى أن الشخص يفهم أفكار

ودوافع ومشاعر الشخص المكروب ، وإن لم يستجب له انفعالياً .

٣- الاستجابة النزوعية : إذا مر الشخص بشكل أو بآخر من هذه الخبرات الداخلية (التقصص ، التعاطف ، الضيق ، اتخاذ المنظور) فقد يبادر بمد يد المساعدة لذي الحاجة. وتتخذ المساعدة هذه أشكالاً متعددة منها الإيثار كأن يعطى الطفل طعامه وهو جائع إلى طفل آخر أدرك أنه جائع ، أو المشاركة في عمل يعجز الشخص ذو الحاجة عن القيام به بمفرده كدفع سيارة معطلة من قارعة الطريق أو الإراحة كإزالة ألم أو ضرر لحق بالشخص أو أشكال أخرى تنسم بمساعدة الشخص ذي الحاجة.

ملاحظات على ما سبق:

بعد التعريفات المبدئية والمخطط التنظيمي الذي تم اقتراحه لسلوك المعاوضة الاجتماعية ، يمكن استنتاج ما يلي :

١. تتفق التعريفات السالف ذكرها على أن سلوك المعاوضة الاجتماعية هو سلوك إيجابي.  
٢. كذلك تتفق كل التعريفات على أن سلوك المعاوضة الاجتماعية هو السلوك الذي يقصد منه (أو على الأقل ينتج عنه) صالح فرد آخر (أو أفراد آخرين).  
٣- يفرق بعض العلماء بين سلوك المعاوضة الاجتماعية والإيثار ، فالإيثار لا يقصد منه سوى إفادة شخص آخر (أو مجموعة أشخاص) مع انتفاء المنفعة المادية للشخص الذي يقوم بهذا الفعل ، أما سلوك المعاوضة الاجتماعية فلا يشترط هذا.

٤- يستخدم أغلب الباحثين مصطلح المساعدة helping كمرادف لمصطلح سلوك المعاوضة

الاجتماعية (على سبيل المثال : ( Samuel, ١٩٨١ ؛ Midlarsky, ١٩٩١ ; Phares, ١٩٩١, ١٩٨٨ ;

: Dorley, ١٩٩١ )

٥- هناك خلط في التراث البحثي بين سلوك المعاوضة الاجتماعية من ناحية ، وسوابق antecedents هذا السلوك (أي العمليات الداخلية التي تسبق حدوث المعاوضة الاجتماعية ، والتي يعتبرها بعض الباحثين مثل باتسون ١٩٩١ مسؤولة عن حدوث سلوك المعاوضة الاجتماعية) من ناحية أخرى، ولعل المخطط التنظيمي السابق يوضح ذلك.

وقبل محاولة استخلاص تعريف لسلوك المعاوضة الاجتماعية ، سنحاول إلقاء مزيد من الضوء على هذه الملاحظات.

١. هل المعاوضة الاجتماعية سلوك إيجابي ؟

وبالرغم من اتفاق الغالبية العظمى والباحثين على إيجابية سلوك المعاوضة الاجتماعية كما سبق وأوضحنا ، إلا أن بعضهم يشكك في هذه الإيجابية . فإذا كان الإيثار - كأحد أنماط أفعال المساعدة (أو المعاوضة الاجتماعية) - كما يعرفه بارتال ورافيف . Bartal & Rhaviv ، بأنه عند أعلى مستوى من الجودة ، فإن هناك من يدعون بأن الإيثار هو أمر سئ ، فهو في نظر هؤلاء يميل إلى تطوير شخصية اعتمادية ، تفتقر إلى حب المغامرة والعمل مستسلمة للعواطف ( Encyclopedia American, ١٩٩٠ )

وأكثر من هذا ، يتساءل المنتقدون : إذا لم يلزم المرء نفسه أخلاقيا بجلب السعادة ، فلماذا ينبغي على شخص آخر أن يلزم بجلب السعادة له ؟

( New Encyclopedia Britannica, ١٩٩١ )

على أن جمهرة يعتبرون وجهات النظر المنتقدة هذه ماهي إلا مجرد أفكار فلسفية تجاوزها علم النفس الحديث ، ويؤكدون على إيجابية سلوك المعاوضة في كل من العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي.

٢. هل القصد ضروري في تمييز سلوك المعاوضة الاجتماعية ؟

يصر أغلب الباحثين على إدراج "القصد" كأمر جوهري في تعريف سلوك المعاوضة الاجتماعية. وكما يذكر صمويل ، فالقصد أمر مهم وأساس. افترض مثلا أن صبيا سقط من يده بعض الطعام في حديقة المنزل حيث يكون بمقدور كلب الأسرة العثور عليه. هل نعتبر ذلك معاوضة اجتماعية من جانب الصبي لصالح الكلب ؟ إن الأمر يتوقف على نية أو قصد الصبي؛ فإذا سقط الطعام منه عفويا دون أن يدري ، فإن ذلك لا يعتبر سلوك معاوضة اجتماعية حتى ولو استفاد منه الكلب، أما إذا تعمد الصبي أن يلقي بالطعام للكلب ، فإن ذلك يعتبر اجتماعيا حتى لو لم يعثر الكلب عليه.

إلا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في استخدام كلمة "مقصد" في تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية . فعندما يحاول المرء تطبيقه على مواقف الحياة الواقعية ، لا يستطيع ذلك إلا بقدر مقدرتنا على ملاحظة المعايير المستدخلة. ولكننا نستطيع الاستدلال على النوايا من السلوك الملاحظ ؛ فيإمكان الناس التطوع ، وبإمكاننا نحن ملاحظة سلوكهم هذا. كذلك نستدل على سلوك المساعدة من تكراره. ففي المثال السابق ، إذا كان مقصد الصبي مساعدة الكلب ، فإنه سيكرر الفعل " إسقاط الطعام " ، أو يجد طريقة لجذب انتباه الكلب الطعام. ( Samuel, 1981 )

ومن جهة أخرى ، يرى فريق من الباحثين أن القصد ليس شرطا ضروريا في تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية . وكما يذكر فيرز ، قد ينتج عن سلوك المعاضدة الاجتماعية إفادة للشخص الآخر دون أن يوجد أي مقصد حقيقي للمساعدة ، أو قد توجد حتى بعض المكاسب المادية يتوقعها القائم بالسلوك. فالشخص الذي يخصص مبلغا كبيرا من المال لمؤسسة خيرية لأنه يعرف حق المعرفة أن ذلك يعفيه من الضرائب ، فهذا يطلق عليه سلوك المعاضدة الاجتماعية ، ولكنه ليس إيثارا ( Phares, 1988 ) لأن الإيثار لابد أن يتضمن القصد والإرادة. وعموما فمسألة "القصد" في تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية لم ينته الجدل والخلاف حولها.

### ٣. تصنيف فئات سلوك المعاضدة الاجتماعية :

كما لاحظنا منذ قليل ، أن الفرق بين الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية هو في "القصد" ، فإذا كان القصد من المساعدة حاضرا كان السلوك إيثارا ، وإذا لم يكن الشخص يقصد المساعدة كان السلوك معاصرة اجتماعية.

وبالإضافة إلى عنصر القصد ، يجب على القائم بالإيثار ألا يتوقع أي منفعة شخصية بأي شكل من الأشكال فعلى حد زعم بوك وجينسبورج Ginsbug & Buck يعرف الإيثار بأنه نزعة الكائن الحي إلى التصرف على نحو يزيد من رفاة welfare كائن حي آخر ، بدون فائدة ظاهرة ، بل وغالبا بتكلفة يتحملها القائم بالتصرف.

ويضرب لنا فيرز Phares (1988) مثلا على السلوك الإيثاري بذلك الشخص الذي يغوص في

نهر ثلجي لإنقاذ كلب جانح فى النهر الثلجي ، فأى مكسب هذا الذي يجنيه من عمل كهذا ، اللهم إلا تعريض حياته للهلاك !  
وتضيف دائرة المعارف البريطانية بعدا آخر للإيثار هو الجانب الأخلاقي. فإذا أخذ المصطلح على أنه جلب اللذة وانتقاء الألم ، فإن الإيثاريين يتفقون على أن العامل الأخلاقي له قوة إلزام بالقيام بجلب اللذة وتخفيف الألم عن الآخرين.

( New Encyclopedia Britannica, ٩١ )

علاوة على ما سبق ، يضيف فيلدمان Feldman (١٩٧٨) عنصر التضحية الذاتية. فالإيثار فى نظره المساعدة التي يستفيد منها الآخرين ، ويتطلب تضحية ذاتية واضحة. وهناك فريق آخر لا يحبذ التمييز بين الإيثار والمعاضدة الاجتماعية. فمثلا يقول جيلفاند وهارتمان Hartman & Gilfand - من المنظور السلوكي - ما نصه : "يحدونا توجه نظريتنا في التعلم الاجتماعي إلى الشك في جدوى تعريفات الإيثار التي تستبعد احتمالية التدعيم الخارجي . ويوحى بدل ذلك بأن هذه التعريفات يجب أن تتجرد من خصائصها غير القابلة للملاحظة " .

( In : Eisenberg , ١٩٨٢ , P.٤ )

ما قيمة التصنيفات ؟ يجيب دارلى Darly (١٩٩١) بأنها تركتتنا من القيام بالتنبؤات المختلفة التي ينظمها - بصورة دقيقة - نظام تصنيفي نوعي. علاوة على ذلك كما تذكر أيزنبرج Eisenberg (١٩٨٢) ، فإن سبب وجود فروق هامة بين مختلف أشكال الاستجابة بمعاضدة اجتماعية ، مثل : المشاركة ، المساعدة ، .... الخ ، تؤدي إلى الحصول على بيانات خاصة بمجموعة متنوعة من سلوكيات المعاضدة الاجتماعية إذا رغب المرء في إجراء تعميمات واسعة عن سلوك المعاضدة الاجتماعية وتطوره.

ومن هذا المنطلق ، أجريت محاولات لتصنيف فئات المعاضدة الاجتماعية ، لعل أبرزها تصنيف أينوتى Iannotti (١٩٨٥) وفيه أربع فئات هي :

. المشاركة sharing : وتشمل عند الأطفال بصورة خاصة إعطاء أو تقديم لفظي لشيء كان في حوزة الشخص .

. التعاون Cooperation : ويختلف عن فئات المعاوضة الاجتماعية الأخرى في أن كلا الطرفين يستفيد من انشغالهما معا ، بينما لا يستفيد سوى طرف واحد وهو المتلقي في الفئات الأخرى كالمساعدة أو الإراحة. وبالنسبة للتعاون ، يشترط وجود شخصين على الأقل منخرطين - بصورة متبادلة - في مهمة أو نشاط.

. المساعدة helping : تحدث عندما يقوم شخص آخر كتزويده بالمعلومات ، أو القيام بعمل من شأنه تسهيل استمرارية نشاط الشخص الآخر.

. الإراحة Comforting : عندما يبدي المتلقي ( أو الضحية) ضيقا أو ألما ، يقوم الشخص بإراحته من خلال المواساة اللفظية أو الجسمية أو التعاطف أو إظهار المودة أو إعطاء شئ للشخص المكروب أو استدعاء آخرين يمكنهم المساعدة.

ومقابل هذه الفئات الأربع ، تأتي الاستجابة النقيضة وهي الرفض . ويحدد الرفض بأنه الامتناع عن التصرف بصورة اجتماعية عندما يتطلب الأمر ذلك بصورة صريحة. على أننا لا نحبذ تفتيت سلوك المعاوضة الاجتماعية إلى فئات كثيرة لسببين : أن تأصيل المفهوم وتحديد معالمه وارتباطاته النظرية والإمبريقية ما يزال في بداياته. ويرتبط السبب الثاني بواقعا في مصر. فهذا المجال البحثي ما يزال يكتنفه الجهل ، علاوة على نقص البيانات الإمبريقية النابعة من البيئة المصرية. ولذلك ، فأى محاولة لتفتيت المفهوم في الثقافة المصرية دون بصيرة قائمة على البيانات الإمبريقية والتأصيل النظري قد تضر أكثر مما تفيد من خلال تشويه البيانات والتحليلات . وعلى ذلك يمكن تصنيف سلوك المعاوضة الاجتماعية ثنائيا : السلوك الإيثاري من ناحية وسلوك المساعدة التي تضم أشكالاً مثل : الإراحة ، التعاون ، المشاركة ، الكرم ، ... الخ . ( أحمد الشافعي ، ١٩٩٦ ) .

#### ٤ . تعريف سلوك المعاوضة الاجتماعية

بناء على المناقشات السابقة ، يمكن استخلاص التعريف التالي (نقلا عن أحمد الشافعي) :  
(سلوك المعاوضة الاجتماعية هو ذلك السلوك الإيجابي اجتماعيا ، حيث أن فردا (أو مجموعة أفراد) يستفيد منه سواء ماديا أو معنويا - ويكون عادة في محنة distress أو في حاجة إلى

المساعدة. ويتخذ هذا السلوك أشكالاً متعددة ، فإذا تضمن قصد وإرادة المساعدة ، وكان عنصر التضحية الذاتية فيه واضحاً ، مع عدم وجود ( أو مجرد توقع ) منفعة أو مكاسب شخصية ، عد هذا الشكل إثارة. أما إذا لم يضم كل هذه العناصر (مع أنه قد يضم بعضها) عد سلوك مساعدة. وقد يتخذ سلوك المساعدة أشكالاً متعددة حسب ما يقتضيه الموقف وحالة ذي الحاجة للمساعدة ، مثل : المشاركة ، التعاون ، الإراحة ، إظهار الود أو المساندة الوجدانية ، الكرم ، ... الخ . (المرجع السابق : ٣٩).

٥- هل هناك فرق بين الإيثار وسلوك المعاوضة الاجتماعية ؟

(ب) مفهوم الإيثار :-

لعل التشابك المفاهيمي في مجال سلوك المعاوضة الاجتماعية أسهم بدور فعال في الخلط التنظيري والامبريقي لكثير من القضايا المتعلقة بهذا المجال البحثي ويكفي لتوضيح هذا التشابك المفاهيمي أن نذكر المصطلحات والمتغيرات التي يضمها مفهوم سلوك المعاوضة الاجتماعية فهو يشمل ما يسمى ب : الاستجابة الانفعالية البديلة vicarious emotional response ، اتخاذ المنظور Taken perception ، الإمبائية empathy ، التعاطف sympathy ، الضيق الشخصي ،personal distress ، الإيثار altruism المساعدة helping ، المشاركة sharing ، الإراحة comforting ، التعاون Cooperation .... الخ . فإذا كان مفهوم واحد يضم كل هذه المصطلحات فكيف يعالجه الباحثون على المستويين التنظيري والمنهجي ؟ وكيف يتم استخراج البيانات الامبريقية ومعالجتها وتأويلها في ضوء هذا التشابك المفاهيمي ؟

يرى اندروود مور (Underwood & Moore, 1982) أن سلوكيات المعاوضة الاجتماعية هي تلك السلوكيات التي تُنفَّذ بقصد واضح هو إفادة الآخر أكثر من إفادة الذات (Eisenberg, 1982).  
٥) وطبقاً لفيرز (1988) : يطلق على سلوك المعاوضة الاجتماعية مسميات أخرى مثل : سلوك المساعدة و الإيثار، ويطبّقونها على آلاف السلوكيات التي تتراوح بين المساهمة بالمال كنوع من الإحسان إلى التضحية بالوقت لخدمة دور المسنين ومن إبطال مفعول قنبلة في حي سكني إلى مساعدة صديق في دراسته ومن الاستجابة لطلب شخص لإرشاده إلى الطريق

الصحيح إلى إعادة بطاقة تأمين فقدتها صاحبها (phares, E., ١٩٨٨, ٥٢٤ - ٥٢٥) .  
وترى "ميدلارسكى" : أن سلوك المعاوضة الاجتماعية أو المساعدة يطلق على الأفعال التي  
يتم التعهد بها لمصلحة الآخرين (Midlarsky, ١٩٩١ : ٢٣٨) وترى كليرى أن سلوك المعاوضة  
الاجتماعية هو أحد الأشكال الإيجابية من السلوك التي تتضمن إفادة الآخرين وهو مفهوم  
يقابل السلوك المضاد للمجتمع (Clary, ١٩٩٤ : ٩٣) .

ومن ثم يتضح من هذه العينة من التعريفات أن سلوك المعاوضة الاجتماعية يضم أغلب  
السلوكيات الإيجابية التي تتراوح من المساعدة والكرم والإيثار .. إلى مجرد التعاطف أو  
الاستدلال الأخلاقي . وقد أنتج هذا التوسع الفضفاض للمفهوم فوضى مفاهيمية (إن جاز هذا  
التعبير) .

وتؤيد رادك - يارو وزملاؤها (١٩٧٦) هذا الاستنتاج فيذكرون أن هذا المصطلح الغريب  
تستظل به مجموعة متنوعة من سلوكيات المعاوضة الاجتماعية والإيثار : قد يكون من المفيد  
تلمس التعريفات التي قدمت لسلوك المعاوضة الاجتماعية بصفة عامة بوصفه سلوكاً إيجابياً  
والإيثار خاصة وكذلك تتفق كل التعريفات على أن سلوك المعاوضة الاجتماعية هو السلوك  
الذي يقصد منه (أو على الأقل ينتج عنه ) صالح فرد آخر ( أو أفراد آخرين) .

ويفرق بعض العلماء بين سلوك المعاوضة الاجتماعية والإيثار ، فالإيثار لا يقصد منه سوى  
إفادة شخص آخر (أو مجموعة أشخاص) مع انتفاء المنفعة المادية للشخص الذي يقوم بهذا  
الفعل ، أما سلوك المعاوضة الاجتماعية فلا يشترط هذا.

ويستخدم أغلب الباحثين مصطلح المساعدة helping بوصفه مرادفاً لمصطلح سلوك المعاوضة

الاجتماعية (على سبيل المثال (Samuel, ١٩٨١ : phares, ١٩٩١, ١٩٨٨, Midlarsky)  
هناك إذن خلط فى التراكمات البحثية بين سلوك المعاوضة الاجتماعية من ناحية ، وسوابق  
antecedents هذا السلوك (اي العمليات الداخلية التي تسبق حدوث المعاوضة الاجتماعية والتي  
يعتبرها بعض الباحثين مثل باتسون ١٩١٩ مسئولة عن حدوث سلوك المعاوضة الاجتماعية )  
من ناحية أخرى.

إن الفرق بين الإيثار وسلوك المعاوضة الاجتماعية هو في " القصد " فإذا كان القصد من  
المساعدة حاضراً كان السلوك إيثاراً ، وإذا لم يكن الشخص يقصد المساعدة كان السلوك



معاوضة اجتماعية ، وبالإضافة إلى عنصر القصد يجب على القائم بالإيثار ألا يتوقع أي منفعة شخصية بأي شكل من الأشكال. فعلى حد زعم بوك وجينسبورج Buck & Ginsbug يعرف الإيثار بأنه نزعة الكائن الحي إلى التصرف على نحو يزيد من رفاهية Welfare كائن حي آخر بدون فائدة ظاهرة بل وغالباً بتكلفة يتحملها القائم بالتصرف .

ويضرب لنا فيرز(Phares, 1988) مثلاً على السلوك الإيثاري بذلك الشخص الذي يغوص في نهر ثلجي لإنقاذ كلب جانح في النهر الثلجي ، فأى مكسب هذا الذي يجنيه من عمل كهذا اللهم إلا تَعْرِضَ حياته للهلاك !

وتضيف دائرة المعارف البريطانية بعدا آخر للإيثار هو الجانب الأخلاقي . فإذا أُخِذَ المصطلح على أنه جلب اللذة وانتفاء الألم ، فإن الإيثاريين يتفقون على أن العامل الأخلاقي له قوة إلزام بالقيام بجلب اللذة وتخفيف الألم عن الآخرين (New Encyclopedia Britannica, 1991) علاوة على مما سبق يضيف فيلدمان (Feldman, 1978) عنصر التضحية الذاتية ، فالإيثار في نظره هو المساعدة التي يستفيد منها الآخرون ويتطلب تضحية ذاتية واضحة وأخيراً

يضيف بارتال ورافيف عنصر الإرادة فيعرفان الإيثار على أنه نمط من أنماط أفعال المساعدة الذي هو عند أعلى مستوى من الجودة يتحدد كسلوك إرادي مقصود يتم تنفيذه بهدف إفادة شخص ما كنتيجة للقناعة الأخلاقية بالعدالة وبدون توقع مكاسب خارجية(In, Eisenberg). ويمكن تلخيص العناصر التي يشترطها الباحثون في الإيثار في القصد أو النية وعدم توقع منفعة شخصية وأن الذي يوجه السلوك هو محدد أخلاقي كما يستلزم أيضاً عنصر التضحية الذاتية وأن يتم الفعل بكامل إرادة المرء دون إكراه . ومن وجهة النظر هذه لابد من توافر هذه العناصر في السلوك حتى يمكن وصفه بالإيثارية بينما لا يشترط توافر هذه العناصر في سلوك المعاوضة الاجتماعية .

وتؤكد اينوتى innotti على أن هناك شواهد جوهرية على أن الاستجابة لانفعالات الآخر يرتبط بسلوك المعاوضة الاجتماعية ، كما توجد أدلة على أن الأطفال حساسون لحاجات الآخر ، والاستجابة لحاجة الآخر دون طلب صريح لذلك، كما أن الأطفال يفهمون مشاعر ودوافع الآخرين أو ما يسمى باتخاذ المنظور ويتصرفون من هذا الوعي (innotti, 1985: 53).

وباستخدام تحليل الانحدار ارتبط سلوك المساعدة بصورة دالة بالنزعة الإمبائية ، وتجدر

الإشارة إلى أن المكون الانفعالي الأولي للزرعة الإمبائية إنما هو محدد رئيسي من محددات الشخصية لسلوك المساعدة (Mehrabion & Epstein , ١٩٧٦ : ٥٤٢-٥٤١) . ويمكن تعريف الإمبائية empathy بأنها استجابة انفعالية لمحنة الآخر وفهمها . ورغم الجدل المستمر ، فهناك اتفاق عام على أن الإمبائية تضم مكونين ؛ أحدهما معرفي والآخر انفعالي ، ويتمثل الجانب المعرفي في اتخاذ المنظور أي القدرة علي اتخاذ وجهة نظر الأخر أما الجانب الانفعالي فهو لا يصل إلى حد التعاطف المستمر .

ما علاقة الإمبائية بسلوك الإيثار ؟ يجادل باتسون بما يسمى بفرضية الإمبائية - الإيثار . فالشعور بالإمبائية يثير الدافعية التي تقف وراء هدف محدد هو إفادة الشخص الذي تم الشعور نحوه بالإمبائية . وإذا كان هذا صحيحا ، فإنه يتعارض مع الافتراض الشائع في علم النفس بأن الدوافع كلها موجهة بصورة جوهريّة نحو هدف أناني هو زيادة الرفاهية الذاتية ، بل إنه يناقض الافتراض الضمني بأن الطبيعة البشرية مجبولة علي خدمة الذات أساسا . وتوحي هذه الفرضية

بأننا نتفاعل مع الآخرين ، ليس لأنهم مصادر المكافأة والمعاقبة ، أو لأنهم مصادر للتسهيل والمنع في كل مسعى يستهدف صالحا ، بل أننا قادرون بالفعل حسب الفرضية هذه - علي السهر علي رفاهية الآخرين لذاتها وليس من أجل نواتنا (Batson & Oleson, ١٩٩١).

ولكن كيف تساعد الإمبائية علي نمو السلوك الايثاري ؟ يجيب فيرز ( Phares, ١٩٨٨ ) بأن للإمبائية دورا مهما في الحفز علي الإيثار ، فالشخص المتعاطف يكون مدفوعا بمساعدة ذي الحاجة ، فإذا مررت بخبرة محزنة ، فأنا بالتأكيد مدفوع إلي تقبلها وإذا كان لدي تعاطف نحو شخص آخر يمر بخبرة محزنة ، فسيكون لدي الرغبة في تخفيفها حيث أنني أمر بهذه الخبرة بدرجة ما . وعندما تطلب المنظمات الخيرية المساعدة ، فإنها تؤثر بشدة علي مشاعرنا؛ إنها لاتفعل ذلك لمجرد تذكيرنا بوجود أطفال جوعي ، إنها تعرض علينا صورا لأولئك الجوعي ، وتحاول استثارة الاستجابة الإمبائية التي ترفع من الدافع للقيام بإسهام ما .

من العرض السابق يمكننا استخلاص بعض المكونات الرئيسية للإيثار والتي تتمثل في الجانب المعرفي والوجداني ثم الجانب الأدائي لهذا السلوك . وقد يكون من المفيد تناول كلٍ منها من منظور ارتقائي.

أولا: ارتقاء الجانب المعرفي للإيثار:

أجري الباحثون في هذا الجانب ، سلسلة من الدراسات ، عنيت برصد التغيرات الارتقائية التي تطرأ مع زيادة العمر من الطفولة إلي المراهقة ، وقد انتهت هذه الدراسات في معظمها الي ما يؤكد حدوث زيادة في المظاهر الدالة علي التعاطف والإمبائية ، بتقدم العمر.

وقد ، أوضحت نتائج الدراسات التي أجراها بنجتسون جونسون ( Bengtsson& Johnson, ١٩٨٧). علي ٤٨ طفلا سويديا ، تراوحت أعمارهم بين ٦ و ١١ سنة ، أن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا أظهروا تعاطفا مع أقرانهم الذين يحبونهم مقارنة بالذين لا يحبونهم ، في حين لم يظهر ذلك الفرق لدي الأطفال في المجموعة الأصغر سنا . و تبدو مظاهر هذا الارتقاء في بزوغ القدرة علي تبني منظور الآخر لدي الأطفال في سن الحادية عشرة ، بينما لم تظهر هذه القدرة لدي الأطفال في سن السادسة.

وفي الدراسة الطولية - التتبعية - التي أجراها ديفز وفرنزو ( Davis& Franzoi, ١٩٩١) ، علي ٢٠٥ تلميذا بالصفوف من التاسع وحتى الثاني عشر ، وذلك بهدف الكشف عن مظاهر الاستقرار والتغير في الوعي بالذات والإمبائية خلال مرحلة المراهقة ؛ كشفت النتائج عن درجة كبيرة من الاستقرار تحقق بقلتا السمتين مع التقدم في العمر . ورغم عدم وجود فروق بين مجموعات المراهقين في درجات الوعي بالذات ، فان النتائج أظهرت زيادة واضحة في بعض مكونات الإمبائية شملت : القدرة علي تبني منظور الآخر، والتعاطف.

قام ريكارد وكيليسي ( Ricard& Killicci, ١٩٩٥) بإجراء دراسة علي ٤٨ طفلا ، استهدفت الكشف عن مظاهر ارتقاء التعاطف عند الأطفال . وقد توزعت عينة الدراسة علي مجموعتين عمريتين ، حيث بلغ متوسط العمر في المجموعة الأولى ٨,٥ سنة ، في حين كان في الثانية ٧,٨ سنة . وأوضحت النتائج إن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا، كانوا أكثر قدرة علي طرح هاديات شخصية ، ومبررات نفسية لتفسير انفعالات الآخرين ، في حين أظهر الأطفال في المجموعة الأصغر تعاطفا متزايدا مع عواطف وانفعالات الآخرين.

كما أجرت سترراير ( Strayer, ١٩٩٧) دراسة علي ٧٣ طفلا ، وذلك بهدف رصد الفروق بين ثلاث مجموعات عمرية (١٩.٩.٥ سنة علي التوالي). في التعاطف . وقد أشارت النتائج إلي وجود فروق في التعاطف بين المجموعات الثلاث ، حيث كانت المجموعة الأكبر سنا أعلي في

التعاطف من المجموعتين الآخرين؛ كذلك بينت النتائج أن الإناث أعلى في التعاطف من الذكور، سواء فيما يتعلق بالاستجابات اللفظية أو الاستجابات التعبيرية علي حد سواء.

وتشير نتائج الدراسات التي أجرتها سترابير وروبرتس (Strayer & Roberts, 1997) ، علي عينات من الأطفال والمراهقين إلي أن العلاقة بين التعاطف والعمر تزيد قوة في ظل وجود علاقات صداقة مع الآخرين.

كذلك تؤكد دراسة جورثري وزملائها (Gurthrie et al., 1997) أهمية أن تكون لدى الأطفال درجة عالية من التنظيم والمرونة لحدوث التعاطف مع الآخرين.

وأظهرت نتائج الدراسات التي أجراها فاندربولت وتيليجن (VanderBolt & Tellegen, 1997) ، علي ١٩٨ طفلا ومراهقا وجود علاقة بين قراءة الكتب الأدبية وارتقاء كل من : التعاطف والإمباثية ، حيث تبين إن المراهقين الذين يقرؤون هذه النوعية من الكتب ، كانوا أعلى في الإمباثية والتعاطف ، وذلك عند مقارنةهم بأقرانهم الذين يقرؤون هذه الكتب بقدر أقل أو الذين لا يقرؤونها، من ناحية أخرى وفي إشارة لتأكيد الدور المهم لعمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء الإمباثية والتعاطف عند الأطفال والمراهقين ، أجرت أيزنبرج

وزملائها (Eisenberg et al., 1992) دراسة علي ٧١ طفلا ومراهقا من الجنسين ، بالإضافة إلي والديهم ، بهدف فحص العلاقة بين التعاطف عند الوالدين واستجابات التعاطف لدى أبنائهم . وقد أوضحت النتائج إن تعاطف الوالدين ، ارتبط إيجابيا بالمستوي المنخفض من الشعور بالمحنة الشخصية لدى أبنائهم ولديهم هم شخصا ؛ في حين ارتبط ظهور التعاطف لدي الأبناء بتأكيد الآباء استراتيجيات مواجهة المشكلات عندما يتعرض أبنائهم لمشكلات؛ كذلك ارتبطت القيود التي تضعها الأمهات علي أبنائهن فيما يتعلق بالإيذاء الانفعالي للآخرين ، بظهور مؤشرات غير لفظية للتعبير عن المحنة الشخصية . وفي دراسة تالية أجراها كل من

كريفانز وجبس (Krevans & Gibbs, 1996) علي ٧٨ طفلا ومراهقا تراوحت أعمارهم بين ١١ ، ٥ و ١٤,٣ سنة ، واستهدفت الكشف عن العلاقة بين القواعد التي يقرها الوالدان ، وبين استجابات التعاطف ، والسلوكيات الاجتماعية الإيجابية عند الأطفال ؛ انتهت النتائج إلي أن استخدام الآباء لمبادئ التفكير الاستقرائي إبان عمليات التنشئة ارتبط بظهور التعاطف والسلوك الاجتماعي الإيجابي عند الأبناء ؛ كما تبين أن التعاطف توسط العلاقة بين القواعد

الو الدية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ؛ وفي الوقت نفسه كشفت النتائج عن وجود ارتباط منخفض بين الشعور بالذنب وظهور سلوك اجتماعي إيجابي.

كذلك كشفت الدراسة الطولية التي أجرتها ايزنبرج وزملاؤها ( Eisenberg et.al., ١٩٩٥ ) ، علي ٣٢ مراهقا، عن وجود علاقة إيجابية بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي، وظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لدي هؤلاء المراهقين.

وأجري كل من جانسنز وديكوفيتش ( Janssens&Dekovic, ١٩٩٧ ) دراسة علي ١٢٥ طفلا ، تراوحت أعمارهم بين ٦ و ١١ سنة ، وذلك بهدف الوقوف علي العلاقة بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي المرتبط بقضايا اجتماعية إيجابية ، وبين ظهور السلوك الاجتماعي الإيجابي لديهم ، وقد أشارت النتائج إلي وجود علاقة إيجابية بين الاستدلال الأخلاقي والسلوك الاجتماعي الإيجابي لدي الأطفال الأصغر سنا ، في حين لم تتأكد هذه العلاقة لدي الأطفال الكبار . كذلك أوضحت نتائج الملاحظات السلوكية لأساليب التنشئة الأسرية إن التنشئة التي تتسم بالدعم الاجتماعي والتسامح تيسر للأطفال تفكيرا يتسم بالأخلاقية ، ومزيديا من السلوكيات الاجتماعية الإيجابية فيما يتعرضون له من مواقف ومشكلات.

ومن الأهمية أن نذكر أنه من خلال استعراض دراسات ارتقاء التمثل الوجداني والتعاطف هذه نجد أنها أجريت علي عينات تنتمي إلي مراحل عمرية مختلفة ،بدءا من الطفولة المبكرة وانتهاء بالرشد ؛وقد استعانت هذه الدراسات بالمناهج التتبعية والمستعرضة - علي حد سواء - وانتهت نتائجها إلي ما يؤ كد حدوث تغيرات ارتقائية تطراً علي التمثل الوجداني خلال الانتقال من الطفولة إلي المراهقة ،تتمثل في زيادة القدرة علي تبني منظور الآخر ، والتعاطف ، والقدرة علي تفسير انفعالات ومشاعر الآخرين .

كذلك أوضحت النتائج أن التنشئة الأسرية تؤدي دورا فعالا في ارتقاء وعي الطفل بالآخرين وزيادة قدرتهم علي رؤية منظور الآخر ،وتبني وجهة نظره والتعاطف معه. من ناحية أخرى تباينت أساليب قياس وتقدير التمثل الوجداني والتعاطف ، فبينما استعانت بعض الدراسات بمقاييس التقدير الذاتي ، والتقدير اللفظي ، استخدمت دراسات أخرى أسلوب الملاحظة ، واعتمدت علي تقارير الوالدين عن سلوك أبنائهم ، في حين استعانت دراسات ثالثة ببعض المؤشرات الفسيولوجية المصاحبة للتمثل الوجداني والتعاطف مثل : معدل ضربات القلب ، ونشاط الجلد ، وتعبيرات الوجه . وقد أعاق هذا التباين في أساليب القياس التوصل إلي نتائج

متسقة ، كما صعبَ من إمكانية عقد مقارنات فيما بين نتائج هذه الدراسات وبعضها البعض .  
ثانيا: ارتقاء الجانب الوجداني:

اتجهت مجموعة الدراسات في هذه الفئة إلى فحص العلاقة بين الفعل الأخلاقي ، وكل من: التمثل الوجداني والتعاطف ؛ وكشفت نتائجها عن صور من التعارض فيما بينها ؛ فعلى حين انتهت بعض الدراسات مثل دراسة (Krebs, ١٩٧٠, Batson et al., ١٩٨١, Coke et al., ١٩٧٨, Hoffman, ١٩٨٢, Eisenberg et al., ١٩٨٣, Batson, ١٩٨٧) ،

إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين سلوك الإيثار ، والإمبائية والتعاطف، أشارت دراسات أخرى (Underwood & MOOR, ١٩٨٢; Knudson & Kagan, ١٩٨٢) إلى عكس ذلك وحيث لم تكشف نتائجها عن مثل هذه العلاقة بين المتغيرات.

وفيما يلي نعرض لبعض الدراسات الممثلة لهذه الفئة من الدراسات ، ومنها الدراسة التي أجراها كل من نودسون وكاجان (Knudson & Kagan, ١٩٨٢) على ٨٨ طفلا من الجنسين موزعين على مجموعتين ؛ تراوحت أعمار الأطفال في المجموعة الأولى بين ٥,٦ و ٧,٤ سنوات ، في حين تراوحت الأعمار في المجموعة الثانية بين ٧,٥ و ٩ سنوات. وقد استهدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين الإمبائية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، وأشارت النتائج إلى حدوث ارتقاء في الإمبائية ، حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى في الإمبائية من المجموعة العمرية الأصغر ، بينما لم تكشف النتائج عن وجود علاقة دالة بين التمثل الوجداني والسلوك الاجتماعي الإيجابي .

وقام كل من ايزنبرج وميللر (Eisenberg & Miller, ١٩٨٧) بإعادة تحليل نتائج ١٣٠ دراسة تتصل بالعلاقة بين الإمبائية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، باستخدام أسلوب التحليل المركب (meta-analysis) وانتهت إلى أن العلاقة بين الإمبائية والسلوك الاجتماعي الإيجابي تراوحت بين العلاقة الإيجابية المنخفضة والمتوسطة الدرجة ، كما أظهرت النتائج أن أسلوب قياس التمثل الوجداني له تأثير كبير في تشكيل صورة هذه العلاقة ؛ فقد أشارت نتائج الدراسات التي استعانت بأسلوب الصورة / القصة لقياس الإمبائية إلى عدم وجود ارتباط بين الإمبائية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، في حين ظهرت علاقة إيجابية بين المتغيرين في حالة الدراسات التي استخدمت أساليب قياس أخرى شملت : التقارير الذاتية ، والاستخبارات ، ورصد

التغيرات الفسيولوجية ، وتعبيرات الوجه.

وفي الدراسة التي أجرتها ايزنبرج وزملاؤها (Eisenberg et al., ١٩٨٩) علي ٧٩ مراهقا من الجنسين ، وقد هدفت إلي فحص العلاقة بين التعاطف وسلوك المساعدة ، تبين وجود ارتباط دال بين الدرجة علي مقياس التعاطف والقيام بسلوك المساعدة ، وتسهم الحالة المزاجية في سلوك المساعدة فمن خلال دراستها قدمت ميدلارسكي (Midlarsky, ١٩٩١) نموذجا يربط بين تقديم المساعدة وتخفيف الضغوط عن الأشخاص الذين يقدمون المساعدة وشعورهم بأنهم أفضل حالا . وتذكر ميدلارسكي أن النمط الأكثر قوة للنتائج الامبريقية هو أن مساعدة الآخرين يؤدي إلي زيادة في الصحة Well-being بين الناس الواقعين تحت الضغوط أكبر منه بين الناس غير الواقعين تحتها. وبافتراض وجود تفاعل بين المزاج الطيب وسلوك المساعدة . فلا عجب أن يؤثر المزاج الطيب في سلوك المساعدة . فأولئك الذين يكونون في مزاج سئ منشغلون بصعوباتهم وصور قلقهم ، ومن ثم يكونون اقل انشغالا بمصاعب الآخرين ، وإذن يكونون أقل ميلا لتقديم المساعدة (pennington etal., ١٩٩٩) .

ثالثا : ارتقاء الجانب الادائي للإيثار :

ركزت بحوث هذه الفئة على ارتقاء السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ، كما تتمثل في صور سلوك المساعدة ، وتقديم العون (الإيثار ، المشاركة، التطوع، الخ). ومن ثم ينصب اهتمامنا على استعراض مجموعة الدراسات التي عنيت بارتقاء هذا الجانب من السلوك عند الأطفال والمراهقين ، وتوضيح أهم المتغيرات التي ترتبط بارتقائه. ففي الدراسة التي أجراها كل من جرين وشneider (Green&Schneider, ١٩٧٤) على ١٠٠ طفل ومراهق تراوحت أعمارهم بين ١٥:٥ سنة ، وذلك بهدف معرفة العلاقة بين العمر وبعض صور الإيثار . أشارت النتائج إلي أن سلوكيات المشاركة والمساعدة تزداد مع التقدم في العمر من الطفولة إلي المراهقة ، في حين لم يكن العمر متغيرا دالا بالنسبة لسلوك التطوع . كما أجرى كل من رويشتون ووينر (Rushton&Wiener, ١٩٧٥) دراسة على ٦٠ طفلا موزعين على مجموعتين (تمثل الأولى أطفالا في سن السابعة ، في حين تضم الثانية أطفالا في سن الحادية عشرة) وذلك بهدف رصد الفروق بين المجموعتين في سلوك الإيثار وقد كشفت النتائج عن وجود فروق دالة بين مجموعتي الأطفال ؛حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى إيثارا من مجموعة الأطفال

الأصغر وذلك في جميع مظاهر سلوك الإيثار .

وانتهت دراسة كل من سكارين ومولى (Skarin&Moely, 1976) إلى ما يدعم النتائج السابقة . فقد أجرى الباحثان دراستهما على ١٩٢ طفلا من الجنسين بين ١٢:٥ عاما ، وذلك بهدف فحص علاقة كل من العمر والجنس بارتقاء سلوك الإيثار حيث كشفت النتائج أن الإيثار كان أعلى لدى المجموعات العمرية الأكبر ، كما تبين أن الإناث كن أكثر إيثارا من الذكور .

وفي الدراسة التي أجرتها يارو و زان واكسلر (Yarrow&Zahan-Waxler, 1976) على ١٠٨ طفلا ، تراوحت أعمارهم بين ٣ و٦,٧ سنة ، واستهدفت معرفة أكثر السلوكيات الاجتماعية الإيجابية شيوعا خلال هذه المرحلة العمرية ، أوضحت نتائج ملاحظة الأطفال -في عدد من المواقف التجريبية والطبيعية - إن سلوك المساعدة كان هو أكثر شيوعا وتكرارا بالمقارنة بسلوكيات المشاركة والعمل التطوعي ؛ كما لم تظهر علاقة واضحة بين كل من العمر والسلوك الاجتماعي الايجابي .

وأجرى ما و لونغ (Ma&Leung, 1991A) دراسة على ١٠٩٥ تلميذا بالصفوف من الثاني إلى السادس الابتدائي ، بهدف الوقوف على مظاهر ارتقاء سلوك الإيثار لدى هذه المجموعات العمرية ؛ وقد كشفت النتائج عن وجود علاقة سلبية بين العمر والإيثار ، حيث كان الأطفال الأصغر سنا أعلي في توجهاتهم الايثارية من الأطفال في الأعمار الأكبر . كما أوضحت النتائج كذلك وجود ارتباط إيجابي بين التوجه الايثارى وكل من الذكاء وتقدير الذات .

وفي دراسة تالية أجراها كل من ما و لونغ (Ma&leung, 1991B) علي ١٤٤ تلميذا بالصفوف من الأول وحتى السادس الابتدائي ، بهدف فحص العلاقة بين العمر وسلوك الإيثار ، وذلك في ظل ثلاث سياقات من العلاقات الاجتماعية تضمنت التالي :

أ- شخص يفضلهُ الطفل في مقابل شخص لا يفضلهُ .

ب- شخص ينظر إليه الطفل علي أنه متفوق دراسيا في مقابل شخص آخر ضعيف دراسيا .

ج- شقيق الطفل في مقابل طفل آخر لا يعرفه .

وقد كشفت النتائج عن أن الأطفال يسلكون بشكل إيثارى مع أولئك الذين يفضلونهم بالمقارنة بالذين لا يفضلونهم ، ومع الأشخاص الذين يدركونهم بوصفهم متفوقين دراسيا ، عن الأشخاص الذين تم إدراكهم بوصفهم ضعفاء دراسيا ، ومع أخواتهم أكثر مما يسلكون مع الأشخاص الذين لا يعرفونهم . كما أوضحت النتائج وجود علاقة ايجابية بين العمر والإيثار ،



حيث كان الأطفال الأكبر سناً أكثر ميلاً للإيثار . وتطرح هذه النتائج وجود علاقة مركبة بين العمر والإيثار ، مؤداها أن هذه العلاقة تقوم في ظل وجود علاقات صداقة ، ووجود ترابط وجداني وقرابي بين المانح والمستفيد .

وتؤكد دراسة لو رينسو (Lourenso, ١٩٩٣) العلاقة الإيجابية بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي . فقد أجرى الباحث دراسته على ٧٢ طفلاً يمثلون ثلاث مجموعات عمرية ( ١٠,٧,٥ سنوات) بهدف الوقوف على اتجاه وقوة العلاقة بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي . وقد كشفت نتائج الدراسات المستعرضة ، والطولية (التتبعية) لنفس العينة ، عن زيادة ظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية مع التقدم في العمر .

من ناحية أخرى ، عنت بعض الدراسات بالوقوف على الدور الذي تؤديه عمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء السلوك الاجتماعي الإيجابي ؛ ومنها الدراسة التي أجراها هوفمان (Hoffman, ١٩٧٥) على ٨٠ طفلاً من الجنسين بالإضافة إلى والديهم ؛ واستهدفت تحديد أثر العلاقة بين الطفل والوالدين في ارتقاء سلوك الإيثار. وقد كشفت النتائج عن وجود ارتباط إيجابي بين سلوك الطفل الإيثاري ، والقيم الإيثارية للوالدين ؛ كما أظهرت النتائج أن الإيثار عند الأطفال الذكور قد ارتبط بمبدأ محاكاة إيثار الوالدين للآخرين . وتدعم هذه النتائج عموماً ما يسهم به الوالدان من قيم ومبادئ تساعد في ارتقاء الإيثار عند الأطفال .

كما أجرت أيزنبرج وزملائها (Eisenberg et al., ١٩٨١) دراسة على ٣٣ تلميذاً بهدف رصد أثر التنشئة الاجتماعية على السلوك الاجتماعي الإيجابي داخل الفصل الدراسي ذلك كما **تبتدى** في ردود أفعال المدرسين والأقران تجاه السلوك الإيثاري الذي يقوم به المبحوث . وقد كشفت النتائج عن أن نمط الاستجابة التي استقبلها المبحوث كرد فعل لسلوكه الإيثاري ، كان له تأثير في تكرار أداء السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ؛ فكلما كان رد الفعل إيجابياً ومدعماً ساهم في زيادة سلوك الإيثار الصادر عن المبحوث .

وتدعم هذه النتائج في مجملها الدور الإيجابي لعملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من توفير نماذج قدوة ، وتدعيمات سلوكية في ارتقاء سلوكيات المساعدة والإيثار .

وفى دراسة أجريت على عينة من (١٢) مفردة تم توزيعهم وفقاً لمتغير السن إلى ثلاث مجموعات :- مجموعة الطفولة المتأخرة (ن = ١٢٠) بمتوسط عمري قدره ١٠,٤ سنة ، مجموعة المراهقة المبكرة (ن = ١٤٢) بمتوسط عمري قدره ١٣,٤ سنة ومجموعة المراهقة

المتأخرة (ن = ١٥٠) بمتوسط قدره ١٦,٣ سنة ، قامت رجوات متولى (١٩٩٩) بدراسة لمعرفة ارتقاء الأبعاد الأساسية لسلوك تقديم المساعدة لدى الأبناء الذكور. وقد طُبِّقَ في هذه الدراسة مقياس سلوك تقديم المساعدة واستمارة بيانات ديموجرافية ، ولقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة ( الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة) فى الدرجة الكلية لسلوك تقديم المساعدة والأبعاد الفرعية ( المساعدة في مواقف الحياة اليومية ، مواقف الخطر ، التعاطف مع الآخرين ، استشعار مشاعر الآخرين ) والفروق لصالح مجموعة مرحلة المراهقة المتأخرة . (رجوات متولى، ١٩٩٩). عموماً ، يبين لنا الفحص الدقيق لدراسات ارتقاء المساعدة والإيثار ، أن الباحثين استعانوا بأساليب قياسية متنوعة لرصد مظاهر هذه السلوكيات عند الأطفال والمراهقين ؛ فقد طلب هوفمان (Hoffman, ١٩٧٥) من جمهور التلاميذ تحديد الأشخاص الأكثر تقديماً للمساعدة والعون ، وذلك باستخدام اختبار سوسيومترى ، في حين قدم يارو وزملاؤها (١٩٧٩, Bar-tal & Raviv) (See: Bar-tal & Raviv, ١٩٧٩) صوراً تعبر عن موقف حزن أو شدة يمر به أحد الأشخاص ، ثم طلب من المبحوثين تقديم العون لهذا الشخص ؛ كما درست يارو و زان واكسلر أيضاً (١٩٧٦, Yaroo & Zahan-Waxler) استجابة الأطفال للمساعدة من خلال تعريضهم لمواقف طبيعية ، وأخيراً درس كل من روشتون ووينر (١٩٧٥, Rushton & Winner) سلوك المساعدة في مواقف معملية ، من خلال إعطاء المبحوثين فرصة لمنح جائزة تخصهم لأحد الأشخاص .

### النظريات المفسرة لسلوك المعاوضة الاجتماعية

#### ١\_ التفسير البيولوجي :

تحاول نظريات البيولوجيا الاجتماعية تفسير السلوك الاجتماعي ( بما فيه العدوان كما سبق أن أوضحنا ) في ضوء الإرث الوراثي والنشئوي . فقد أكدت بعض الدراسات - حسب كاجان وسيجل - أن كثيراً من الأطفال يظهرون نزعات قوية للقيام بأفعال إيثارية فى وقت مبكر من الحياة ، حتى قبل سن سنتين؛ فالأطفال فى عمر ١٨ شهرا يعطون الطعام إذا شعروا أن شخصا جائعا ، ويحاولون الوصول لإنقاذ الضحايا ، ويواسون الكبار المكروبين ، ويظهرون

مشاعر الأسي لمحنة طفل آخر.

( Kagan & Segal, ١٩٨٨ ) .

بل ويدعى المناصرون لنظرية الوراثة أن الإيثار وسلوك المعاوضة الاجتماعية ليس مقصورا على البشر. فالعلماء الذين يدرسون سلوك الحيوان يعرفون أن بعض أفراد من أنواع الحيوان تخاطر أحيانا ، وتضحى ولو بحياتها من أجل غرض واضح هو إنقاذ الأعضاء الأخرى أو النوع إجمالا ؛ فأفراد النمل الأبيض أو النمل الذي ينتمي إلى فئة الجنود للمعركة عندما يتم مهاجمة المستعمرة ، ويخاطرون بأنفسهم حتى الموت . وأنماط مثل هذه السلوكيات لدى الحشرات الاجتماعية هي فطرية أكثر من كونها متعلمة. ( Samuel, ١٩٨١ ) . وعندما يعتدى المتطفلون على خلايا النحل ، فإن النحل يهاجم رغم أن في ذلك هلاكاً له. وتحمى الطيور صغارها أحيانا بالتظاهر بأنها جرحت لتغرى المفترسين بالابتعاد عن العش والاتجاه نحوها. وتحقق طيور أخرى نفس الهدف بإصدار أصوات لجذب المفترسين والابتعاد عن العش .

( Phares, ١٩٩١ ) .

عندما يرى طائر أبو الحنا صقرا يتقدم ، فإنه يطلق استغاثة تحذير لكل أعضاء السرب ليدفعهم إلى البحث عن الملجأ. واستغاثة التحذير هذه قائمة على نزعة فطرية غير مكتسبة فجميع طيور أبو الحنا نطلق هذه الصيحة عند الخطر ، وتفعل ذلك ولو كانت في عزلة تامة عن باقي رفاقها. وليس من شك في أن هذا التحذير يستفيد منه طيور أبو الحنا حيث تختبئ ، بينما يضع الطائر الذي أطلق الصرخة نفسه في خطر عظيم من خلال زيادة احتمال أن يكتشف الصقر مكانه. وهكذا يقوم هذا الطائر بدور البطل بدلا من التسلسل بهدوء بعيدا وترك

رفاقه يواجهون مصيرهم. ( Gleitman, ١٩٨٦ )

. وبينما يستفيد من هذه الإشارات القطيع بأكمله ، فمن المحتمل أن تعيق هذه الإشارات الظبي أو تسترعى انتباه الحيوان المهاجم الذي قد يسمع أو يرى إشارة التحذير ، وهكذا يزيد من احتمال أن يصبح الحيوان الذي يصدر الإشارة هدفا لهجوم المفترس . وتزودنا الشمبانزي بمثال آخر على سلوك المساعدة عندما تصدر إشارة إلى باقي أعضاء الجماعة بأنها اكتشفت مصدرا للطعام. فالشمبانزي بإصدارها هذه الإشارة إما تعرض نفسها للخطر ، أو على الأقل

تشرك الآخرين في الطعام الذي اكتشفته هي. ( Samuel, W., ١٩٨١ )

وبالنسبة للبشر ، فإن كثيرا من الأفراد الذين ينشئون في مجتمع ذي توجه أناني ، يتصرفون - مع ذلك - بإيثارية. وتبدو مثل تلك السلوكيات قسرية في الغالب وغير مكتسبة ، لا يبدو أنها محاولات معنوية للحصول على استجابة الآخرين .

( Phares, ١٩٨٨ )

من كل هذه الأمثلة وغيرها يرى بعض العلماء في سلوك الحيوان وكذلك الإنسان مؤشرا على الأساس الوراثي للإيثار . ولكن كيف يتم تفسير ذلك ؟

توجد عدة ميكانيزمات مقترحة لتفسر الإيثار أو سلوك المعاوضة الاجتماعية منها بقاء الصفات الوراثية ، التوافق أو التبادل ، انتقاء القرابة . ونعرض فيما يلي لتلك الميكانيزمات. بالنسبة لميكانيزم بقاء الصفات الوراثية ، يرى عالم البيولوجيا الاجتماعية إدوارد ويلسون E.Wilson (١٩٧٥) أنه يمكن تفسير الإيثار من خلال الوراثة . فهذا الميكانيزم يفسر المهام الانتحارية وظاهرة شهداء الدين الذين يجودون بالروح في سبيل مبدأ أو عقيدة . ويدعى ويلسون أنه بالقيام بمثل هذه الأفعال ، فإن الفرد يساعد في التأكيد والاطمئنان على بقاء الجماعة ، ومن ثم بقاء موروثاته الخاصة ، حيث أن الجماعة تضم في الغالب عشيرة الفرد.

فالبطل كفرد يموت ، ولكن صفاته الوراثية تبقى . ( Glietman, ١٩٨٦ )

وبالنسبة لميكانيزم التوافق أو التبادل ، فحسب زيمباردو ، يكون الإيثار عاملا توافقيا من الناحية البيولوجية عندما يزيد سلوك المساعدة من إمكانية المساعدة المتبادلة مستقبلا بين القائم بالمساعدة ومتلقيها يمكن أن يكون توافقية كذلك إذا هي ازدادت في جودة التمثيل الجيني للفرد في الأجيال المقبلة ، والتي يمكن تحقيقها من خلال المآثر الإيثارية نحو عشيرته وأولئك الذين يتشابهون معها. (Zimbardo, ١٩٨٨)

أما الميكانيزم الثالث فيطلق عليه ويلسون اسم " انتقاء الأقارب " . وحسب فيزر ، فالتصرف

بإيثارية يزيد من احتمالية انتقال مورثات الكائن الإيثاري إلى الذرية عن طريق أقاربه الذين يشتركون معه في الموروثات والذين استفادوا من التصرف الإيثاري ( Phares, ١٩٨٨ ) .  
إن ميكانيزم انتقاء القرابة يمكن أن يمنح قيمة توافقية نشوءية لأفعال المساعدة . فمثلا ، إذا نجح الحيوان الذي قام بالتحذير من قرب وصول المهاجم في إنقاذ عشيرته الأقربين - حتى لو كلفه ذلك حياته - فإن الإسهام الصافي لأن تنتقل مورثاته للأجيال التالية قد لا تزال إيجابية . فإذا أنقذ الفرد الإيثاري - عن طريق التضحية بالذات - اثنين من أشقائه وأربعة أبناء لأشقائه ، فالإيثار في هذه الحالة - كسمة محكومة بالوراثة - قيمة تكيفية من الناحية النشوءية للنوع إجمالا . ( Samuel, ١٩٨١ )

#### - نقد التفسير البيولوجي

:لا يسلم التفسير " البيولوجي " لسلوك المعاوضة الاجتماعية من الانتقاد ، ليس من علماء التعلم والبيئة فحسب ، بل من داخل هذا التيار " الوراثي" أيضا . فبالنسبة لميكانيزم التوافق - وكما أشار ويلسون نفسه (١٩٦٦) ، لا يبدو أن لسلوك المساعدة إلا القليل من القيمة النشوءية ، لأن أفعال الفرد الإيثاري تفيد كل فرد في الجماعة ، بما فيهم أولئك الأعضاء الذين يعوزهم " المورث الإيثاري". ولأن المخاطر وافتقار المصادر هما أمران قائمان ، تقل احتمالات بقاء الحيوان الإيثاري ، بينما يتمتع باقي أعضاء الجماعة بالمزايا التي تقدمها أفعال المساعدة مع عدم تكبدهم أي تكاليف. وتبعاً لذلك ، فالإيثار (كسمة محددة وراثياً) هو أمر لا توافقي وهكذا ، لا يبدو إطلاقاً أنه يتكرر أكثر من مجرد الصدفة لدى شرائح الحيوانات العليا . وقد يكون النمل والنحل الأبيض استثناء لهذه القاعدة ، لأن كل الأفراد ضمن أي نوع من الحشرات الاجتماعية هم أخوة وأخوات جاءوا من بيض رقدت عليه الملكة .

( Samuel, W., ١٩٨١ )

وبالنسبة لميكانيزم التبادل أو التوافق ، يتساءل صامويل samuel (١٩٨١) : من ذا الذي يضمن أن يكون سلوك الإيثار متبادلاً ؟ فيما يتعلق بالحيوانات العليا ، هناك ادعاء مؤداه أن أفراد النوع يصبحون غاضبين إذا أدركوا أن الإيثاريين تم "خداعهم". ومثل هذا الترتيب الاجتماعي المعقد - والمبنى على دوافع نشطة وراثياً للانخراط في إيثار متبادل و"معاينة المخادعين" - له فائدة قائمة على الاعتماد المتبادل أساساً لكل من الفرع والنوع بصورة

إجمالية، ويمكن الرد بسهولة على هذا الادعاء ، إذا هلك الحيوان الإيثاري ، فإن مسألة الإيثار المتبادل و"معاقبة المخادع" تصبح غير ذات موضوع. والبديل المطروح لهذه التفسيرات - والذي يأتي من داخل المعسكر الوراثي - يقدمه بوك وجينسبورج يؤكد هذا البديل على وجود الأساس الوراثي ، ولكنه ليس خاصا بالإيثار ، بل بما هو أعم ، ويتمثل في ما يسمى بنظرية " المورث التواصلي". والمورث التواصلي هو الميكانيزم المسئول عن الرابطة الاجتماعية التي تميز كل صور الحياة مثل الصحبة ، الأبوة ، الاندماج مع الأتراب. وعلى ذلك ، فالأنظمة الوراثية التواصلية - وفقا لنظرية المورث التواصلي - هي أصل الإيثار ، بل وكل السلوك الاجتماعي في الواقع. ( Buck & Gainesborg, ١٩٩١ )

## ٢. التعلم الاجتماعي.

إن الغموض الذي يكتنف البحوث في الوراثة عن الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية قد أفتق العلماء الاجتماعيين بأن التفسير المنطقي لمثل هذه السلوكيات لدى البشر هو المبنى على التعلم . وسنتناول في هذا الجزء التدعيم والنمذجة ونظرية العالم العادل والمعايير الاجتماعية.

### ١ . التدعيم

يرى ميوسين وايزنبرج - برج Eisenberg-Berg&Mussan (١٩٧٩) أنه سواء كان الإيثار سمة إنسانية فطرية أم لا ، فمما لا شك فيه أن وجوده يتوقف على التشجيع أو عدم التشجيع من خلال التعلم والمؤثرات الاجتماعية ( Kagan & Segal, ١٩٨ ) وقد توجهت عدة دراسات أن التدعيم الإيجابي يمكنه أن يحسن سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار لدى الأطفال في أجواء الفصول المدرسية . ( Ma & Leung, ١٩٩١ ) .

قد أوضحت جريوسيك Grusec (١٩٨٢) أنه إذا تم مكافأة الافراد على سلوك المعاضدة

الاجتماعية في سياقات طبيعية ، فإنهم يميلون لتكرار هذا السلوك حسب ما تتنبأ به نظرية الإشراف الكلاسيكي ، وإذا لم يتلقوا مكافأة عن السلوك ، فهم أقل احتمالا للاستمرار فيه.

وقد أجرى رشتون وتشماني Techman & Ruston (١٩٧٨) دراسة جمعت بين التشريط والملاحظة. وفي سياق التجربة لاحظ الأطفال شخصا يتبرع بسخاء آخر. قام الأطفال تلقائيا بتقليد هذا السلوك في موقف لعب تجريبي ، ومن ثم تعرضوا إما إلى العقاب أو المكافأة على كرمهم هذا ، وفق ذلك تبرع الذين كوفئوا بما معهم أكثر من الأطفال الذين عوقبوا ، وظل التأثير واضحا بعد أسبوعين .

## ٢. النمذجة

يمكن استثارة سلوك المعاضدة الاجتماعية بملاحظة ما يفعله الآخرون. ففي المواقف الغامضة ، يزودنا الآخرون بعلامات على السلوك المناسب . حتى إذا هرع شخص لمساعدة شخص مصاب ملقى في الطريق ، فإن الآخرين يتبعونه عادة . فهذا الشخص يعمل كنموذج model للآخرين بتجديده للسلوك الملائم في الموقف . ففي دراسة أجراها بريان وتست Bryam Test & (١٩٦٧) ، وظهرت تأثيرات النمذجة على إبداء المساعدة. ففي الدراسة ، مر المبحوثين في أحد الظروف التجريبية على رجل يساعد امرأة في تغيير إطار سيارتها عند أحد الطرق السريعة الخطرة . وبعد ربع ميل مروا على امرأة أخرى تحاول تغيير سيارتها ، ولكن كانت هذه المرة بمفردها ويبدو أنها في حاجة للمساعدة . وكان السؤال التجريبي : كم عدد الناس الذين سيتوقفون لمساعدتها في هذه المجموعة التجريبية ، مقارنة مع مجموعة تجريبية أخرى لم تمر من قبل بالنموذج الذي يقوم بالمساعدة . أوضحت النتائج أن النموذج كان فعالا . ففي المجموعات التي لم تشاهد النموذج ، توقف ٣٥ فقط من أربعة آلاف شخص بينما توقف أكثر من ضعف هذا العدد لتقديم المساعدة للمرأة من المجموعة التي شاهدت النموذج. ( In : Feldman, R., ١٩٨٧ )

وقد أوضح هورنشتاين Hornstein (١٩٧٠) أن التقليد يعتمد جوهريا على ما يحدث للنموذج ،

فإذا كوفئ إيجابيا فسلوكه أكثر احتمالا أن يقلد مما لو عوقب. ففي الدراسة ، أعاد النموذج " محفظة جيب مفقودة ". ثم أبدت النماذج إما سعادتها لتقديم المساعدة أو امتعاضها أو لم تظهر أي انفعال وطبقا للظروف التجريبية ، عثر المشاركون على محفظة ضائعة. كان أولئك الذين لاحظوا النماذج " السعيدة بتقديم المساعدة " أكثر احتمالا أن يعيدوا المحفظة لصاحبها من الذين كانوا في الظرفين الآخرين. وتعرف هذه الحالة بتعلم الخبرة البديلية vicarious experience ، أي التعلم من خلال مشاهدة عواقب الفعل الذي يقوم به الآخرون.

علاوة على ذلك ، فلدى أغلب الإيثاريين أحد الأبوين (عادة الأب) يعتبر " نموذجا " للقيم الإيثارية ، وعلى استعداد للسير في طريق مساعدة الآخرين الواقعين في مأزق Samuel, (1981). ومن المحتمل أن يكون للنموذج الذي هو في وضع قوة وسلطة بالنسبة للطفل تأثير أكبر في الطفل من تلك النماذج التي لا تملك القوة أو السلطة . وبالمثل ، فالنموذج الذي يقدم الدفاء والاهتمام بالطفل سيكون أكثر تأثيرا ، ولا داعي للقول بأن النماذج التي لا تكتفي بتقديم الوعظ والإرشاد ، بل وتمارس الإيثار سيكون لها تأثير أكبر ( Phares, 1988 )

### ٣- نظرية العالم العادل

إن أحد المحددات الرئيسية لسلوك المعاضدة الاجتماعية هو الحكم الذي نصدره عن الشخص ذي الحاجة ، فأحيانا يحجم الناس عن المساعدة بل وقد يلومون الضحية. ووفقا لفرضية العالم العادل Just World hypothesis ، يعتقد الناس أن ما يحدث للآخرين يستحقونه ، بمعنى أن الأشياء السيئة لا تحدث إلا لمن يستحقها ، بينما لا يحدث للناس الطيبين إلا الأشياء الحسنة . ويصدق هذا بالنسبة للضحايا الأبرياء الذين يتعرضون للسرقة بالإكراه أو الاغتصاب .. فالفتاة التي تتعرض للاغتصاب وهي تسير ليلا ، قد تقول إنها تستحق ذلك لخروجها ليلا من بيتها بمفردها. ( Pemington, et al., 1999 ) . والشخص الذي لديه اعتقاد قوى بالعالم العادل يرفض - منطقيا - تقديم المساعدة. وقد بحث ميلر Miller (1977) هذه النقطة في دراسته ، طلب فيها من الطلبة أن يتبرعوا بما حصلوا عليه من مشاركتهم في التجربة لأسر محتاجة . وقد أجريت الدراسة قبل أعياد الميلاد مباشرة ، وأخبر بعض الطلبة بأن قسم علم



النفس سيرسل المال للأسر المحتاجة في أعياد الميلاد ، وأخبر فريق ثان من الطلبة بأن المال سيرسل للأسر المحتاجة بانتظام على مدار العام . أعطى الطلبة ذوو الاعتقاد الضعيف بالعالم العادل نفس القدر من المال بصرف النظر عن المعلومات التي تلقوها عن من يأخذ المال . أما الذين لديهم اعتقاد قوى بالعالم العادل فقد خصصوا قدرا أكبر من المال للحاجة النوعية الطارئة (أي في أعياد الميلاد) ، وقدرا أقل للذين يتلقون إعانات مالية مستديمة طوال العام . وقد وجد بحث أحدث ( Warren & Walker, ١٩٩١ ) نتائج مماثلة . فالذين لديهم اعتقاد قوى كانوا أقل احتمالا لإعطاء المال في حالات الحاجة المستمرة لأنهم يشعرون بأن الفقراء قد جلبوا حظهم العاثر بأنفسهم.

#### ٤- المعايير الاجتماعية

عادة ما نشعر بأننا ملزمون أخلاقيا بمساعدة طفل في محنة أو شيخ كبير ضعيف أو شخص غريب يركب دراجة بخارية وقعت له حادثة . فالمعايير الاجتماعية تحدد نمط السلوك الطبيعي والمتوقع . ونحن غالبا نقدم يد العون للآخرين لأننا نعرف أن ذلك متوقعا منا ، وهذه التوقعات مكتسبة اجتماعيا من خلال ما يفعله الآخرون ويقولونه . وهناك عدة معايير سنتناولها فيما يلي :

أول المعايير هو معيار التبادل . ووفقا لهذا المعيار ، علينا أن نساعد من ساعدونا . إضافة لذلك ، إذا أسدى لنا شخص ما معروفا يتضمن تضحية شخصية كبيرة ( مثل التبرع بأحد أعضائه أو بيع جزء من ممتلكاته لتسديد دين علينا ) ، فإننا نشعر بواجب قوى لرد الجميل ، مما لو قدم لنا معروفا صغيرا كالطلب منه شراء شئ ما يمر عليه في طريقه . ويفترض معيار المسؤولية الاجتماعية أن علينا دوما تقديم المساعدة لمن هو في حاجة إليها بصرف النظر عن إمكانية ردها في المستقبل فإعطاء نقود لمستجد في الطريق هو مثال على هذا المعيار . ويرى كامبل Campbell (١٩٧٥) أن البشر يطورون معيار المسؤولية الاجتماعية التي تنتقل بواسطة الموعظة والقدوة الحسنة من جيل إلى الذي يليه . وهذا يقلل عمل الميول البيولوجية النشوئية نحو الأنانية والعدوان اللذين يهددان بتدمير الحياة الاجتماعية ( Samuel, ١٩٨١ ) ويستلزم معيار المسؤولية الاجتماعية أن نقدم المساعدة على أساس الحاجة ، ولكن

يعتمد تطبيق هذا المعيار فعليا على معيار العدالة ، أي عندما نصدر أحكاما تتعلق بلماذا هؤلاء الناس في حاجة لمساعدة .

وهناك اختلافات ثقافية واسعة في سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار . فمثلا يوجد تقليد لدى الإسكيمو بأن يضحى كبار السن بحياتهم لصالح باقي أفراد الأسرة. ففي الشتاء القارس ، حيث تشح مصادر الطعام . ينسحب كبار السن بهدوء في البيئة الجليدية حتى يلقوا مصرعهم وذلك لتوفير طعامهم لباقي أفراد القبيلة (Phares, ١٩٨٨) . ويذكر فيسك Fiske (١٩٩١) أن بعض المجتمعات في أفريقيا الغربية (في بوركينا فاسو بالتحديد ) فيعطي أفرادها أعز ما يملكون - الأرض والمياه في وقت الندرة - لمن هم في حاجة حتى لو كان غريبا . وفي المقابل ، وجد ميلر وزملاءه Miller, etal (١٩٩١) أن الأمريكيين أقل احتمالا كثيرا للاعتقاد في الالتزام الأخلاقي لمساعدة المحتاجين . وعلى الجانب الآخر ، فالهندي ( في الهند ) يشتهرون بهذا الالتزام ، فهم لا ينتقون من هم في حاجة بالطريقة التي يتصرف بها الأمريكيون.

ورغم قوة المعايير الاجتماعية ، فأغلب الناس يولون اهتماما لتفسيرهم الشخص الذي يؤثر في مقدار ما تساعد به الآخرين. ومن المفيد أخذ دور المعايير الشخصية في الاعتبار عند تفسير سلوك المساعدة . فأولئك الذين يضعون أنفسهم بصورة روتينية في خطر من أجل الآخرين يتصرفون بطريقة تخرق المعايير الاجتماعية . وهم في ذلك يمثلون لمعاييرهم الشخصية. فالمعايير الشخصية الإيثارية ترتبط بقوة مع القيم الوالدية عن المساعدة . وقد أوضحت الدراسات ( E.g., London, ١٩٧٠ ) أن أولئك الذين يبذلون مجهودا لمساعدة الآخرين - مثل الذين أنقذوا اليهود من النازية خلال الحرب العالمية الثانية - قد تأثروا بقوة بمعايير والديهم .

### ٣ . العوامل الموقفية :

وقعت حادثة مأساوية في مارس ١٩٦٤ في مدينة نيويورك كانت إيذانا ببدء موجة عارمة من

البحوث عن سلوك المساعدة ركزت في البداية على العوامل الموقفية . فقد كانت الأنسة كيتي جينوفيز Genovese عائدة لمنزلها من العمل في وقت متأخر من الليل. وخلال سيرها في منطقة سكنية راقية ، قام رجل بمهاجمتها بسكين . وقام المهاجم بطعنها بصورة متكررة ، وظلت تصرخ وتقاوم حتى **مر**. وعندما لم يجد أحدا جاء لنجدها ، عاد لمهاجمتها بل والاعتداء عليها جنسيا . وخلال نصف ساعة من الهجوم إلى أن تم قتلها لم يتحرك أحد لمساعدتها رغم صراخها اليائس طلبا للمساعدة. وعندما قامت الشرطة بسماع شهادة الشهود في اليوم التالي ، اعترف ما لا يقل عن ٣٨ شخصا برؤية وسماع هذه الجريمة ، ولم يحرك أحد منهم ساكنا ويهب لنجدها . وقد سببت الحادثة احتجاجا قوميا عنيفا . وفي استجابة لحادثة كيتي جينوفيز ، شرع الباحثون في تناول سلوك المساعدة في مواقف الطوارئ لتشمل دراسات المساعدة في مواقف الحياة الفعلية وفي هذا الجزء نتناول ما توصلت إليه تلك الدراسات.

١. التكلفة – العائد

يوجد في كل موقف مساعدة ثمن ما يتكبده القائم بالمساعدة . فمساعدة قطة محصورة فوق شجرة يعني أنه قد يتمزق قميصك أو على الأقل تعلق به الأتربة . ومساعدة زوجين من المسنين لإيجاد القطار المناسب لسفرهما قد ينتج عنه فوات قطارك . كل شيء له ثمن . وبصورة عامة ، يقع الفرد في مثل هذه الظروف في حيرة بين هدفين ، مصلحته الشخصية أو الإيثار . ووفقا لفيرز (١٩٩١) ، أوضحت بعض الدراسات هذا الصراع ، ففي دراسة تايمز وآخرين Times, etal., (١٩٧٦) ، تم الاتصال هاتفيا بطلاب جامعة ذكور، وطلب منهم الإجابة على استخبار للاتجاهات. وقد تم وصف الاستخبار بصورة مختلفة من حيث المدة المطلوبة لإنجازه ، حيث تراوحت من عشرين (٢٠) دقيقة إلى ثلاث ساعات . ولا غرابة أن ارتفع معدل الراضين بارتفاع المدة المحتملة لإكمال الاستخبار (Phares, ١٩٩١) وهكذا ترتفع نسبة الإحجام عن تقديم المساعدة أو التدخل في موقف الطوارئ إذا كانت التكاليف المتوقعة باهظة ، وإن لم توجد معوقات أخرى لتقديم المساعدة . والتكاليف قد تكون إنفاق الوقت أو المصادر (كالمال) أو المخاطرة بالتعرض للأذى الجسدي أو المعنوي ... الخ . (Samuel, W, ١٩٨١) . وبجانب التكلفة التي يتحملها الشخص المحسن ، توجد مزايا عديدة للقيام بالمساعدة ، وتشمل : الشعور بالكفاءة ، إعجاب الآخرين ، السمعة الحسنة ، المكافآت. ويفترض دوفيدو

وزملاؤه Douvidio, et al., (١٩٩١) أنه كلما زادت التكلفة الصافية للمساعدة ( أي بعد خصم المزايا ) ، كلما قل التدخل .

إلا أن هناك عاملا يحد من تعويق التكلفة ، فقد استنتج أوتن و كيد Kidd & Utne أن المساعدة تكون أكثر احتمالا عندما تدرك على أنها تحسن بصورة فعالة من حالة الآخر .  
٢. الوضوح - الغموض

يرجح تقديم المساعدة إذا كان الموقف يستدعي بصورة واضحة التدخل ، وهذا ما يسمى بعامل "الوضوح - الغموض" . فالمواقف التي تظهر بوضوح أن شخصا ما يحتاج إلى المساعدة هي الأكثر احتمالا لحفز الناس على اتخاذ خطوة باتجاه المساعدة من تلك المواقف المتسمة بالغموض . وبمعنى عام ، نتوقع بالتأكيد أن الناس الذين يشاهدون شخصا في خطر محقق هم أكثر احتمالا لتقديم المساعدة . أما إذا كان الموقف يتسم بالغموض ، فهناك احتمال أقل لتقديم المساعدة . ففي سلسلة من الدراسات ، أوضح سولومون وزملاؤه Solomon, et al., (١٩٧٨) أنه عندما يسمع المارة مجرد أصوات الضحية وسط حالة طوارئ ، فإنهم أقل احتمالا لتقديم المساعدة منهم عند سماعهم ورؤيتهم لموقف الطوارئ ، وقد تم التوصل إلى تلك النتائج سواء في المعمل أو في الأجواء الميدانية.

ويرى صامويل (١٩٨١) أنه عندما تكون المواقف الطارئة غير غامضة وغير مهددة نسبيا للقائم بالمساعدة ، كما هو الحال عندما يسقط شخص فجأة في طريق جانبي أو يتلقى صدمة كهربية عنيفة على مسمع ومرأى المارة ، فإن الضحايا تتلقى مساعدة في أكثر من ٩٠% من التجارب بصرف النظر عن عدد الشهود الحاضرين.

والمواقف التي تستدعي بوضوح تختلف في كيفية إظهارها لتحديد نوع المساعدة المطلوبة. وقد أوضحت البحوث أن الناس هم أكثر احتمالا لتقديم المساعدة عندما يعرفون بالضبط ما هو نوع المساعدة المطلوبة كذلك ، فإن تقديم المساعدة يرتفع بصورة دالة . وهذا ما اتضح في دراسة شوراتز وكلوذن Clausen & Shwartz (١٩٧١) - (عن : Phares, ١٩٨٨, ٥٤١) ففي الدراسة ، عندما طلب شخص مكروب المساعدة في إخراج قرص دواء من جيب معطفه ، كانت المساعدة أكبر منها عندما لا يكون من الواضح ما الذي يمكن للقائم بالمساعدة عمله.

### ٣. وجود أو غياب " نماذج" للمساعدة.

لقد سبق أن تناولنا تأثير النمذجة في الحث على تقديم المساعدة. ذلك أن وجود أو غياب أشخاص "ك نماذج" يظهرون سلوك المساعدة من العوامل الموقفية المؤثرة في تقديم المساعدة. ففي إحدى الدراسات ، وجد أن التبرعات لمتولي الأرصفة في أعياد الكريسماس كانت تقريبا الضعف بعد أن يقوم شخص " نموذج " بالتبرع منها في حالة غياب النموذج . ويمكن أن يكون التأثير الإيجابي " لنموذج المساعدة " ناتجا عن عدة عوامل منها : تذكير الفرد بالشيء "الصحيح" الذي يجب القيام به ، ورفع مستوى شعوره بالذنب لإحجامه عن المساعدة

Margan & King, ١٩٧٥.

### ٤ - عدد المارة

نتذكر أن كثيرا من الناس قد شاهدوا الهجوم على كيتي جينوفيز ولكنهم لم يحركوا ساكنا . وقد أوضحت البحوث أن سلوك المعاوضة الاجتماعية يتأثر جذريا بما إذا كان شخص واحد أو عديد من الأشخاص قد شهدوا الموقف . فيبدو أن فرص الحصول على مساعدة تكون أكبر عندما يوجد شخص واحد فقط مما لو كان هناك أشخاص عديدون. ويعرف هذه الظاهرة بتأثير المارة . وقد بحثها إمبريقيلا تانية ودارلي Darley & Latane (١٩٧٠) إن الجانب الأساسي في تحديد الموقف هو ملاحظتنا لكيفية رد فعل الآخرين . فحيث أن كل شخص يحاول تجنب الظهور وكأنه أحمق ، أو يحاول الاحتفاظ ببرود أعصابه وهدوئه ، قد يستنتج الجميع أن كل شخص آخر قد قرر أن الموقف ليس طارئاً.

### ٥. تفسير الموقف على أنه طارئ

بالطبع يحجم أغلب الناس عن المساعدة إذا لم يفسروا الموقف على أنه طارئ . ولكن إذا تم تفسيره على أنه طارئ تزداد احتمالية التدخل . افترض أنك في منزلك في وقت متأخر من الليل ، وسمعت صوت ارتطام مرتفع . أمامك الآن أن تفسير ما حدث : هل هو مجرد فرقة محرك إحدى السيارات فى الشارع ، أو أنه طلق ناري ؟ في الحالة الأولى يمكنك أن تعتبر أن الأمر عادى وتصرف ذهنك عنه ، أما فى الحالة الأخيرة ، فقد تدرك أنه يوجد موقف طارئ من نوع

ما . وبذلك تكون أكثر احتمالا لأن تتدخل مقارنة بالحالة الأولى.

#### ٦. تشتت المسؤولية:

تشتت المسؤولية diffusion of responsibility يعنى أن الشخص الذي يمر بموقف طارئ يتملص من مسؤوليته الشخصية عن التدخل ليلقيها على بقية الحاضرين أو على الأقل لا يشعر أنه المسئول الوحيد عن القيام بالتدخل . وهناك عامل يبدو مؤثرا في حدوث تشتت المسؤولية هو نمط الدلائل الانفعالية التي ينقلها المارة الآخرون . فإذا تصرفوا بلا اكتراث في الموقف الطارئ ، فإنهم يؤسسون نماذج " للبرود " ، بحيث يكون المار على الحدث أقل احتمالا لأن يتدخل مما لو لم يكن يوجد مارة آخرون ( Sonuel, ١٩٨١ )

ومن خلال دراسة رائدة أجراها دارلى ولاتانيه Latane & Darly (١٩٦٨) تم تقديم نموذج من ضمن مراحل لتقديم المساعدة في الموقف الطارئ. فلا بد من شهود الموقف وتفسيره على أنه طارئ ، ثم تحمل المسؤولية عن القيام بعمل ما ، ثم تقرير أفعال المطلوبة ، وأخيرا تقديم المساعدة . وفي كل مرحلة تبرز معوقات : فشهود الموقف يركن أن يتشتت الانتباه عنه بالانشغالات الذاتية ، وتفسير الموقف على أنه طارئ يمكن أن يشوبه الغموض أو الخصوصية الأسرية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق (العدوان) أو الإهمال الجمعي . وتحمل المسؤولية يمكن أن يعترها التشتت. وفي الخطوة الرابعة يمكن أن يعيق تقديم المساعدة نقص القدرات الشخصية. وعند تقديم المساعدة (في آخر خطوة) قد يعيقها كف الحضور.

#### ٧. التشابه

يرى مورجان وكنج King & Morgan (١٩٧٥) أن التشابه بين الشخص الذي يطلب المساعدة والشخص المسئول عن تقديمها قد يكون محددًا مهما في تقديم المساعدة أو الإحجام عنها . وفي دراسة تجريبية ، وجد أن الأفراد لا يطلبون المساعدة من شخص آخر مشابه لهم عندما لا يتوقعون أن يبادلوه المساعدة بمثلا . كذلك في نطاق البحوث الخاصة بردود فعل متلقي المساعدة ، شعر المتلقون بعدم الارتياح لتلقيهم من شخص مشابه لهم ، وخاصة عندما تكون المهمة متركزة على الأنا. فالاعتراف بالنقص لشخص آخر مشابه للمرء من خلال طلب

مساعدته يحدث مقارنة سلبية يحاول الأفراد تجنبها. ومع ذلك ، فهذا الإحجام عن طلب المساعدة من شخص آخر ذي علاقة وثيقة لا يحدث إلا عند وجود تهديد مرتفع محتمل للذات .

( Nadler, A., ١٩٩١ )

٨. العلاقة السابقة

توضح البحوث أن النزعة للمساعدة تتأثر بما إذا كانت هناك علاقة سابقة بين القائم بالمساعدة ومتلقيها فقد وجد أن العلاقات المستقرة من قبل - حتى ولو كانت تلاشت بسرعة - تغير بصورة حادة من استجابات الأفراد ( Darley, ١٩٩١ ) ومن خلال معيار التبادلية ، يرى جولدنر Gouldner (١٩٦٠) أن الناس لا بد أن يساعدوا الذين ساعدوهم أو على الأقل لا يمكنهم أن يؤذوا الذين ساعدوهم . ( In : Ma & Leung, ١٩٩١ )

٩. الخطورة

بالطبع إذا تم تفسير حالة الشخص ذي الحاجة للمساعدة على أنها خطرة ، فإن احتمالية تدخل المارة بهدف المساعدة تزداد . وقد تم معالجة بعد الخطورة هذا في عدة دراسات وفي إحداها ادعى شخص أن لديه مشكلة جسمية في الشارع ؛ فقد أمسك بقلبه وهو ينهار على الأرض . وفي مرة أخرى ، تحسس رقبته وهو ينهار على الأرض . وقد لاحظ الباحثون أن المارة كانوا أكثر احتمالاً لتقديم العون للشخص الذي يدعى وجود أزمة قلبية من الشخص الذي يدعى وجود مشكلة في رقبته ( Phares, ١٩٨٨ ) .

١٠. التعرض المستمر للمواقف التي تحتاج المساعدة

ماذا لو تعرض المرء باستمرار لمواقف تتطلب مساعدة كما في حالة التسول ؟ بالنسبة للمتسولين - كما يرى دارلي Darley (١٩٩١) - يبدو أن النزعة تكون في اتجاه مساعدة هؤلاء الناس في البداية ثم الإحجام عن مساعدتهم وبعد ذلك يتطور الأمر إلى عدم "ملاحظتهم" (اللامبالاة) . وإذا تطور الأمر أكثر من ذلك ، يحدث أحد أمرين إما نلزم أنفسنا بإجراء تحسين لحالتهم (مثل إيجاد وظيفة) ، أو اعتبار أن المرشدين هؤلاء مختلفون عنا " لا يستحقون الخدمة ، وربما أقل إنسانية منا .

## ٦. عوامل الشخصية:

تناولنا حتى الآن التفسير البيولوجي وتفسير التعلم الاجتماعي والتأثيرات الموقفية في تشكيل سلوك المعاضدة الاجتماعية. ولكن من الأهمية بمكان أن نعي أن السلوك محصلة كل من البيئة والفرد . فعوامل الشخصية يمكن أن تؤثر بدورها في سلوك المعاضدة الاجتماعية . وسنتناول هنا أهم عوامل الشخصية المؤثرة في ذلك السلوك وهي التقمص والحالة المزاجية والتوجه الديني وسمات الشخصية وأخيرا الفروق بين الجنسين.

### ١. التقمص

لم يحظ أي متغير ضمن مجال سلوك المعاضدة الاجتماعية بمثل ما حظي به متغير التقمص من دراسة وتنظير وجدل ، ويمكن تشبيهه بغرض الإحباط - العدوان - الذي تناولناه في الفصل السابق . ويقرر باتسون وأوليسون Oleson & Batson ١٩٩١ أن التقمص هو المصدر الذي اقترح عبر القرون لتفسير الإيثار. وبينما تفترض معظم النظريات النفسية أن المساعدة هي في جوهرها توجه ذاتي egoistic أي محكومة بالاهتمام بالذات ، يعتقد باتسون وأوليسون (١٩٩١) أن بعض سلوكيات المساعدة ذات طابع إيثاري حقيقي.

ويمكن تعريف التقمص empathy بأنه استجابة انفعالية لمحنة الآخر وفهمها. ورغم الجدل المستمر ، فهناك اتفاق عام على أن التقمص يضم مكونين معرفي وانفعالي Esenberg, et al., (١٩٩٤) يتمثل الجانب المعرفي في اتخاذ المنظور Perspective taking أي القدرة على اتخاذ وجهة نظر الآخر أما الجانب الانفعالي فيتمثل في الانشغال التقمصي empathetic concern أي التعاطف والشفقة.

### ما علاقة التقمص بسلوك المعاضدة الاجتماعية ؟

يجادل باتسون بما يسمى بفرضية التقمص - الإيثار، فالشعور بالتقمص يثير الدافعية التي تقف وراء هدف محدد هو إفادة الشخص الذي تم الشعور نحوه بالتقمص . وإذا كان هذا



صحيحاً ، فإنه يتعارض مع الافتراض الشائع في علم النفس بأن الدوافع كلها موجهة بصورة جوهرية نحو هدف أناني هو زيادة الرفاهية الذاتية. بل إنه يناقض الافتراض الضمني بأن الطبيعة البشرية مجبولة على خدمة الذات أساساً. وتوحي هذه الفرضية بأننا نتفاعل مع الآخرين ، ليس لأنهم مصادر المكافأة والمعاقبة ، أو لأنهم مصادر للتسهيل والمنع في كل مسعى يستهدف صالحنا ، بل إننا قادرون بالفعل حسب الفرضية هذه - على السهر على رفاهية الآخرين لذاتها وليس من أجل ذواتنا . ( Batson & Oleson, ١٩٩١ ) .

ولكن كيف يعمل التقمص على حدوث سلوك المعاضدة الاجتماعية ؟ يجب فيرز Phares (١٩٨٨) بأن للتقمص دوراً مهماً في الحفز على الإيثار ، فالشخص المتقمص يكون مدفوعاً بمساعدة ذي الحاجة . فإذا مررت بمستجدة محزنة ، فأنا بالتأكيد مدفوع إلى تقبلها وإذا كان لدى تقمص نحو شخص آخر **مر بخبرة غير محزنة** ، فسيكون لدى الرغبة في تخفيفها حيث أنني أمر بهذه الخبرة بدرجة ما . وعندما تطلب منظمات الإحسان المساعدة ، فإنها تلعب بشدة على مشاعرنا . وهي لا تفعل ذلك لمجرد تذكيرنا بوجود أطفال جوعي ، إنها تعرض علينا صوراً لأولئك الجوعي ، وتحاول استثارة الاستجابة التقمصية التي ترفع من الدافع للقيام بإسهام ما ، والمراهق الذي يرغب في أخذ بعض المال من والد غير متعاطف ، يسأله : "ألم تحتج أبداً لمال عندما كنت في مثل عمري؟"

## ٢. الحالة المزاجية

هناك تأثير للمزاج على تقديم المساعدة . ومن الناحية النظرية ، فإن المزاج الجيد يزيد من احتمال المساعدة . والأبناء يدركون هذا الحدس ، حيث يتحينون فرصة أن يكون الأب أو الأم في حالة مزاجية جيدة ليطلبوا منهم زيادة المصروف أو بعض المال الإضافي . كما أن الطلبة الناجحين ساعة معرفتهم بالنتيجة يكونون أكثر استعداداً لتقديم بعض المال للمستجدين في الشوارع منه في أي وقت آخر. وفي إحدى الدراسات وجد أن كلا المزاجين : الإيجابي (حيث عثر المبحوثين على مال) أو السلبي (حدث للمبحوثين شعور بالذنب) قد أفاد في زيادة تقديم المساعدة مقارنة بضابطة ( Phares, ١٩٨٨ ) .

قدمت ميدلارسكي Midlarsky (١٩٩١) نموذجاً يربط بين تقديم المساعدة **منهجه** وتخفيف

الضغوط عن الأشخاص الذين يقدمون المساعدة وشعورهم بأنهم أفضل حالا. وتذكر ميدلارسكى أن النمط الأكثر قوة للنتائج الإمبريقية هو أن مساعدة الآخرين يؤدي إلى زيادة في الصحة Well-being بين الناس الواقعين تحت الضغوط أكبر منه بين الناس غير الواقعين تحتها.

وبافتراض وجود تفاعل بين المزاج الطيب وسلوك المساعدة ، فلا عجب أن يؤثر المزاج السئ عكسيا على تقديم المساعدة . فأولئك الذين يكونون في مزاج سئ سينشغلون بصعوباتهم وصور قلقهم ، ومن ثم يكونون أقل انشغالا بمصاعب الآخرين ، وإذن يكونون أقل ميلا لتقديم المساعدة ( Pennington, etal ) والاستثناء الوحيد من هذا هو الشعور بالذنب.

ولكن لماذا يكون الذين لديهم شعور بالذنب مدفوعين لتقديم المساعدة ؟ يفترض بومستير وزملاءه ، Baumeister, etal., ( ١٩٩٤ ) أن وظيفة الشعور بالذنب هو العمل على تماسك العلاقات البين شخصية ولهذا الرأي بعض الرواج ، فالشخص الذي يضايق صديقه دون أن يقصد ، ينتهز أقرب فرصة لمساعدته حتى يصلح ما فسد من علاقتهما.

### ٣ . الالزام الدينى :

للوهلة الأولى يميل معظمنا إلى الاعتقاد بأن الأشخاص المتدينين هم أكثر احتمالا لأن يكونوا إيثاريين ومساعدين إذا قورنوا بغير المتدينين. ولكن لا يبدو هذا صحيحا على طول الخط؛ فقد استنتجت دراسة قام بها باتسون وجرى Gray & Batson ( ١٩٨١ ) أن نوع التدين هو الذي يتحكم في الاستعداد لتقديم المساعدة . فالذي ينظر إلى الدين كغاية في حد ذاته يكون أقل إقبالا لتقديم المساعدة وفقا لهذه الدراسة بالطبع من الذين ينظرون إلى الدين باعتباره جانبا إصلاحيا يركز على مساعدة ذوى الحاجة . وذلك أن الذين ينظرون إلى الدين كغاية في حد ذاته يعتقدون بقوة بأن العالم عادل (حيث أن الله هو خالقه وهو إله عادل ، وإذن لابد أن يكون العالم عادلا ) . وقد عرفنا سابقا أن الذين لديهم اعتقاد قوى بأن العالم عادل لا يميلون إلى تقديم المساعدة ، ويحملون ذوى الحاجة والضحايا المسئولية عما يحدث لهم من كرب أو ضيق.

وقد وجد روكيتش ( ١٩٦٩ ) - اتساقا مع ما سبق - أن المبحوثين الذين وضعوا تقديرا عاليا

للخلاص ( كمؤشر على التدين ) كانوا أقل احتمالا بصورة دالة من الذين قاموا بتقدير الخلاص بصورة منخفضة لإظهار الشفقة على المحرومين في المجتمع الأمريكي ( مثل : الفقراء ، متلقي الإعانات الاجتماعية ، السود ) . بل إن الذين قدروا الخلاص بصورة مرتفعة مالوا إلى الاعتقاد بأن مارتن لوثر كنج - داعية حقوق الإنسان الذي تم اغتياله - هو الذي جلب الموت لنفسه . واستنتج روكيش أن الأشخاص شديدي التدين لا يظهرون في الحقيقة سوى شفقة أقل من الأشخاص الأقل تدينا أو غير المتدينين ( In : Sorrentino, 1981, P. 270 ).

وقد توصل سورينتينو Sorrentino ( 1981 ) إلى نتائج متناقضة ، حيث لم يظهر الأشخاص المتدينون إلا القليل من الشفقة كما يتضح من إجاباتهم على المؤشرات الاجتماعية (مثل إعطاء الخدمة الصحية المجانية للفقراء) ، ولديهم حاجة إلى الاعتقاد بأن العالم عادل أكبر من الأشخاص الأقل تدينا . ومع ذلك ، فعندما يتلقى الشخص صدمات كهربية مؤلمة (كجزء من التجربة) ، فإن الأشخاص قليلي التدين هم الذين يرتدون القبعات السوداء!

أما عندنا في مصر ، فإن الأمر يختلف ، فرغم عدم ارتباط الدين كقيمة بالتقمص لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية ، فقد ارتبط جوهريا بالدوافع المتمركزة حول الذات المفسرة لسلوك المعاضدة الاجتماعية ( بالنسبة لطلبة ر = 0.199 دالة عنده . وبالنسبة للطالبات ر = 0.424 ، دال عند 0.001 ) . وهذه النتيجة تتسق إلى حد ما مع التدين كغاية في حد ذاته التي ظهرت في دراسة باتسون وجرى . ولكن ارتبط الدين كقيمة كذلك بالدوافع الإيثارية ( ر = 0.26 ، دال عند 0.01 ولدى البنين ، ر = 0.325 ، دال عند 0.001 ولدى البنات ) . بالإضافة إلى ارتباط القيمة الدينية بسلوك المعاضدة الاجتماعية ، ولكن لدى البنات ( ر = 0.233 دال عند 0.005 ) دون البنين ( أحمد الشافعي 1996 ) . وعموما ، فهذا الموضوع في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

#### ٤. سمات الشخصية

طبقا للبيانات الواردة من دراسات القوائم التي توضح وجود ارتباط في سلوك المعاضدة الاجتماعية بين التوائم المتماثلة ( التي تأتي من بويضة واحدة ) ، يعتقد روشتون Rushton ( 1981 ) أن الشخصية الإيثارية ليس لها أساس وراثي . إلا أن لاتانيه ودرالى أخفقا في

إيجاد ارتباط بين عدد من مقاييس الشخصية مثل التسلبية ، الثقة ، الحاجة للاستحسان ، الاغتراب من جهة وسلوك المعاوضة الاجتماعية من جهة أخرى . ووجدت أيزنبرج- برج Eisenberg-Berg (١٩٧٩) أن سلوك المساعدة يرتبط ارتباطا إيجابيا مع وجهة الضبط الداخلية والحكم الأخلاقي الناضج ومتغيرات شخصية أخرى ، ولكن تظل الأدلة غير قاطعة. وبالمثل ، استنتج أحمد الشافعي (١٩٩٦) من دراسته على طلاب وطالبات المرحلة الثانوية في مصر أن النتائج الحالية لا تؤيد ولا تنفي وجود مجموعة من متغيرات الشخصية المرتبطة بمفهوم المعاوضة الاجتماعية ، فأغلب معاملات الارتباط لم تكن دالة ومع ذلك ، ظهر من التحليل العاملى ثلاثة عوامل ترتبط بمفهوم المعاوضة الاجتماعية ، يضم كل عامل تجميعا من متغيرات الشخصية . وربما يكون لدى نايت وزملائه. Knight, etal. (١٩٩٤) أفضل إجابة حتى الآن . فقد اقترحوا أن هناك عدداً من السمات الاستعدادية تحدد سلوك المعاوضة الاجتماعية كالتقصص ، ولكن السمات المسيطرة تختلف وفقاً للموقف . ويجمع هذا الرأي - بصورة بارعة - بين المؤثرات الموقفية والشخصية فى سلوك المعاوضة الاجتماعية.

جميع الحقوق المادية للمؤلف ولا يجوز طباعة الكتاب او تداوله